

برتراند رسل

التربية والنظام الاجتماعي

ترجمة
سمير عبده



منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

التربية والنظام الاجتماعي

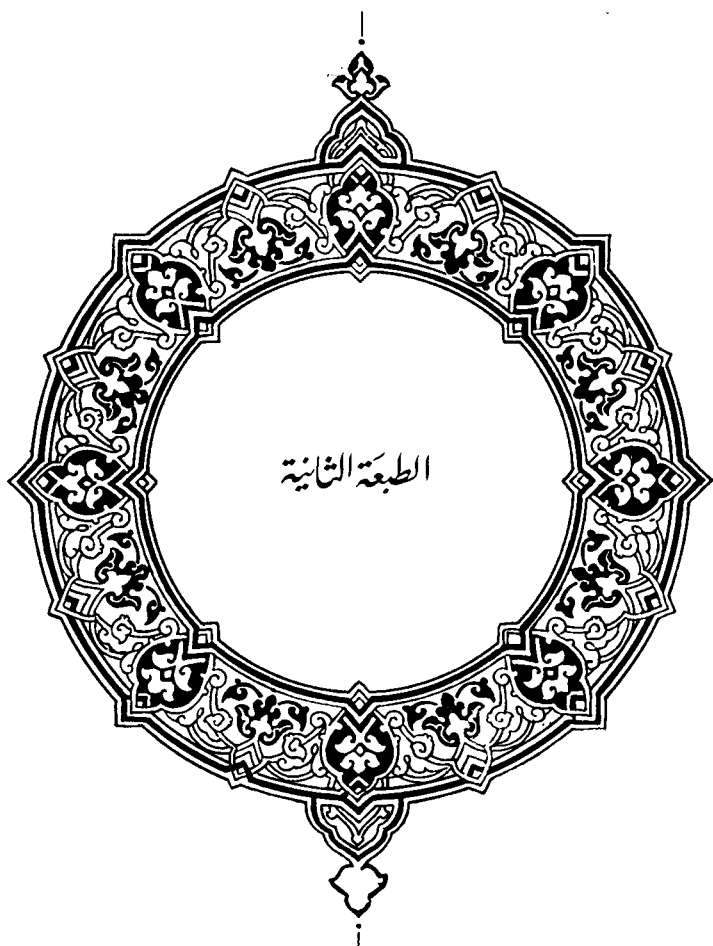
برتراند رسل

التربية والنظام الاجتماعي

ترجمة
سمير عبده



منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت



هذه ترجمة لكتاب

Education and the Social Order

by

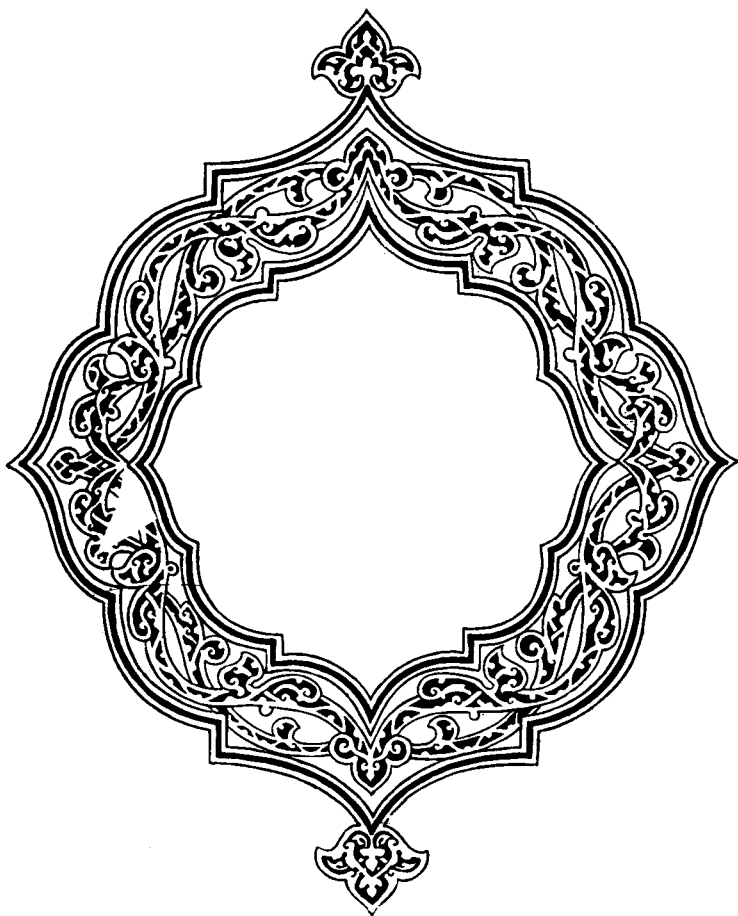
BERTRAND RUSSELL

L O N D O N

GEORGE ALLEN & UNWIN LTD,

Museum Street

ان حقوق الترجمة العربية لكتب برتراند رسل
محصورة بالترجم

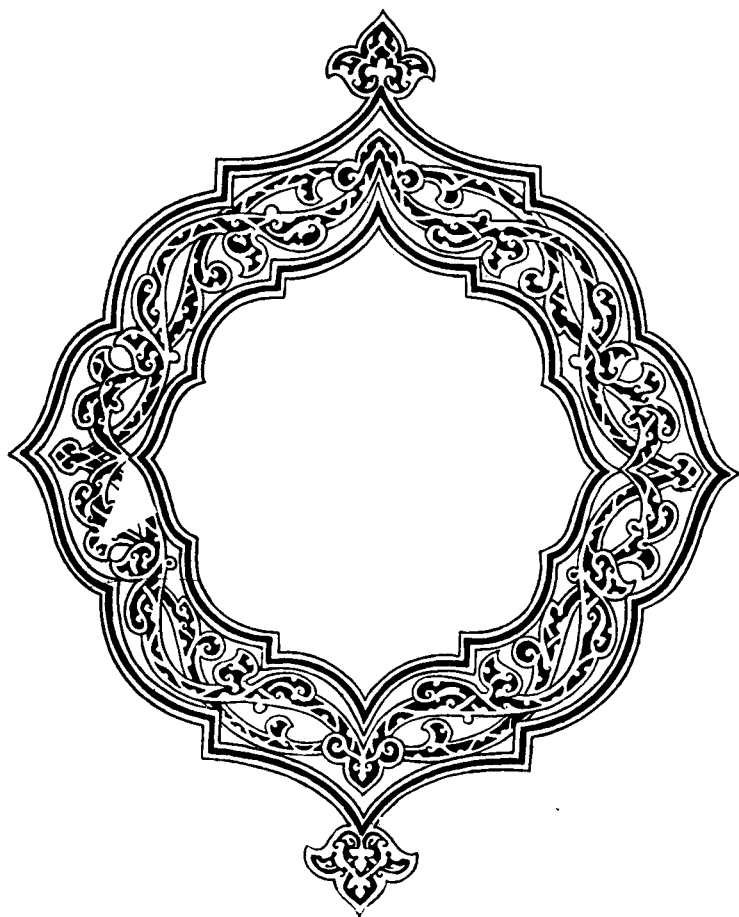


مقدمة الناشر

ان من غايات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر ان تبقى مجلية في كل مضمار يرتبط بالكتاب ، مهما اختلف نوعه ومنحاه ، شرط ان يكون ذا قيمة انسانية ، يسهم في البناء الثقافي العربي المعاصر . وقد ألف القراء مفاجآت هذه المؤسسة النشيطة بكتب التراث العربي الضخمة من امثال « الاغاني » لأبي الفرج الاصبهاني و « محاضرات الادباء » لأبي القاسم حسين محمد الراغب الاصبهاني و « مجمع الامثال » للميداني و « عيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن ابي اصيبعة ، واخيراً الموسوعة التاريخية الادبية الضخمة « تروح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد . كما نشرت « معجم متن اللغة » للشيخ احمد رضا في خمسة مجلدات . و « الضوء اللامع » في ستة مجلدات للسخاوي و « الحلل السندسية » في ثلاثة مجلدات للأمير شكيب ارسلان ، مع عشرات الكتب الماثلة في الادب والفكر والتاريخ ، يقابلها ثروة من الترجمات العالمية لمفكرين أمثال : اشبنغلر ووايتهد وبرتراند راسل وجان بول سارتر وكامو وجون ديوي وكثيرين غيرهم في حقول مختلفة من اقتصاد وعلم وسياسة وفلسفة وفن الخ .. وغاياتها من هذا النشاط الرصين هي اغناء المكتبة العربية وتهيئة الجوار فيها للكتب العالمية ، الآمنة الجوار .

وهي اذ تقدم كتاب « التربية والنظام الاجتماعي » في ترجمته الدقيقة هذه فانما تعتبره حلقة من سلسلة دراسات عالمية تواصل بها رسالتها لخدمة الثقافة العربية وإغنائها بكل مفيد .

دار مكتبة الحياة - بيروت



مقدمة

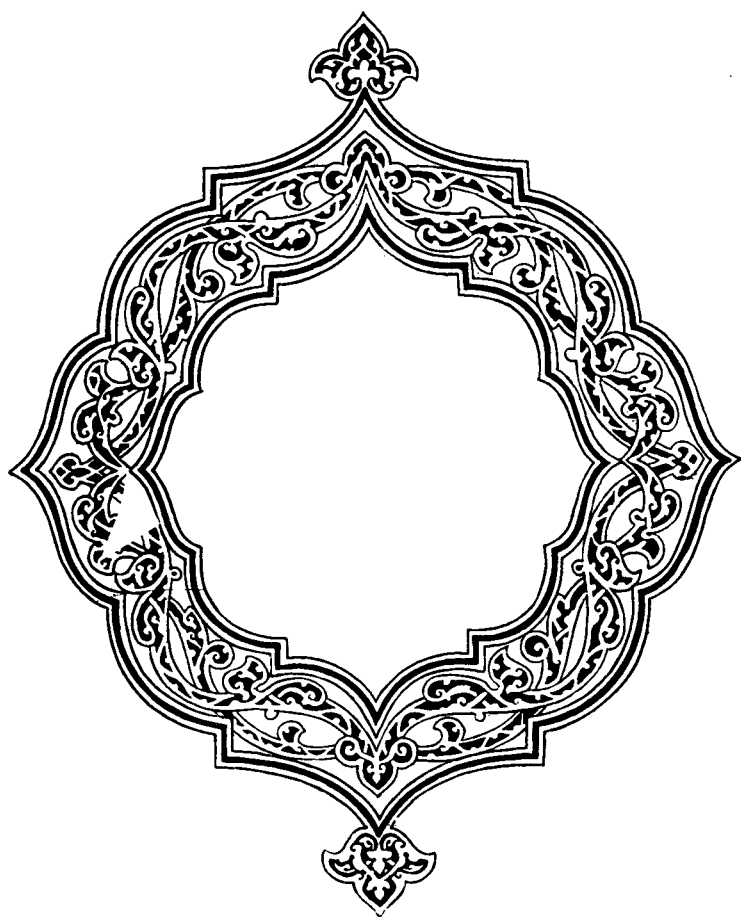
كان النجاح الذي حازه كتاب برتراند رسل (في التربية) الذي قمت بترجمته الى اللغة العربية قبل أعوام ، الحافز الذي شجعتني على ترجمة كتابه الذي بين يدي القارئ (التربية والنظام الاجتماعي) ، وهو من المراجع الرئيسية في كتب التربية الحديثة .

ويمتاز هذا الكتاب بشموله على النواحي المتعددة للتربية في ظل النظام الاجتماعي ، عارضاً المؤلف ذلك بصراحته المعهودة ، التي ستبقي اثرأ ملموساً لدى القارئ .

إننا بحاجة ماسة في عصرنا الحالي ، عصر العلم والتكنيك ، الى تنمية تربيتنا الخلاقة ، حيث الانسان في اكثر اعماله وأفكاره ليس ابن غرائزه ، بل صنع تربيته من المهد الى اللحد ، ولو ترك لكان في مجموعته ارقى منه اليوم بكثير . ولكن كيف يتسنى له ذلك ونحن بتربيتنا له نشرع بقتل كل مميزاته وهو طفل في البيت اولاً ، ثم في المدرسة - وهذا ما يرويه المؤلف بإسهاب - حتى اذا خاض الاجتماع وبه بقية باقية تكفلت كتبنا الديفية والادبية ، وأقاصيصنا الخيالية والخرافية ، ونظمنا الاجتماعية البالية ، بالاجهاز عليها . فيزول الانسان الطبيعي بالكلية ، ولا يبقى الا الانسان المصنوع على خلاف الطبيعة .

ان حاجتنا الى تربية هادفة ، كحاجتنا الى خبزنا اليومي .

سمير عبده



..... الفرد - المواطن

ان التربية مطلوبة في رأي جميع الدول المتحضرة الحديثة ، ولكن
 مهيا يكن ، فهناك اقتراح كان طيلة الوقت موضع مناقشة من قبل بعض
 الرجال الذين تتطلب أحكامهم الاحترام . واولئك الذين يعارضون التربية
 يعملون هكذا بمبررات انها لا تتمكن من التوصل الى اهدافها المطلوبة .
 وقبل ان نتمكن من فحص آرائهم بصورة كافية ، يجب ان نقرر
 ما هو الشيء الذي نرغب في التوصل اليه من التربية اذا امكن . فهناك
 في هذا السؤال العديد من الآراء المتفرعة كما ان هناك قوة اقناع لتصور
 البشر . ولكن هناك انشقاق مزاجي عظيم يذهب اعلى من اي خلافات
 اخرى ، وذاك الانشقاق هو فيما بين اولئك الذين يعتبرون التربية اساسية
 لعلاقات عقلية الفرد ، واولئك الذين يعتبرونها بالنسبة لعلاقاتها
 مع الجماعة .

انه على افتراض ان التربية ينبغي ان تهيم سبباً يعين على التدريب
 لا ان تكتفي بمجرد ازالة العوائق التي تحول دون النمو ، فان السؤال
 لينهض امامنا عما اذا كانت التربية من واجبها ان تدرب النشء ليكونوا

أفراداً صالحين أو تدرّبهم ليكونوا مواطنين صالحين . قد يقال ، بل هكذا يقول كل من اخذ الاتجاهات الهيكلية : انه لا تعارض هناك بين المواطن الصالح والفرد الصالح ، إذ الفرد الصالح هو ذلك الذي ينمو نحو صالح المجموع ، وما صالح المجموع إلا تركيبة مؤلفة من صوالح الافراد .

ولست على استعداد ان أفند او أويد هذا الرأي باعتباره حقيقة ينتهي اليها التفكير الميتافيزيقي ، غير اننا في الحياة اليومية العملية ، نرى التربية التي تنتج عن اعتبار الناشئ فرداً مختلفة جداً عن تلك التي تنتج عن اعتباره مواطن المستقبل ، فتثقيف العقل الفرد ليس كما يبدو من ظاهر الأمر ، هو نفسه التثقيف الذي يفتح مواطناً نافعاً . فغوته مثلاً كان مواطناً اقل نفعاً من جيمس وات ، اما باعتباره فرداً فلا نزاع في انه متفوق عليه ، واذن فهناك صالح للفرد متميز من الشطر الضئيل الذي هو نصيبه من صالح المجتمع . ان الناس المختلفين عندهم افكار مختلفة عن وجهة نظري . ولكن مهما يكن الرأي المتخذ فانه صعب الإنكار ان تنمية الفرد وتدريب المواطن يكونان اشياء مختلفة : ما الذي يتضمنه صالح الفرد ؟ سوف احاول اعطاء جوابي بدون الافتراح لأي إيماء بأن الغير يجب ان يوافقوا معي .

اولاً واخيراً ، الفرد مثل جوهر لينز ، يجب ان يستعرض العالم . لماذا ؟ لا أقدر ان اقول لماذا عدا ان المعرفة والادراك يظهران لي صفات رائعة في الفضيلة ، التي افضل نيوتن لأجلها عن اي نوع من الحمار . ان الانسان الذي يحوز على اجماع وتألق في عقله ، كما في خفايا الكاميرا ، من عمق الفضاء ، ونشوء الشمس والنجوم ، والعصور الجيولوجية للأرض ، وتاريخ البشرية القصير ، تظهر لي لتعمل ما هو امتياز للبشر والتي تضيف اكثر

الى المناظر المختلفة للطبيعة . وسوف لا ارفض وجهة النظر هذه حتى اذا برهنت مثلما تظهر الطبيعيات الحديثة : ان عمق الفضاء والماضي « المظلم » والزمن غير المرتكز على قاعدة كانت علامات ضرب حسابية فقط في علامات المساواة للرياضي . وفي هذه الحالة يصبح الانسان من اجلها اكثر شهرة مثل مخترع السموات النجمية والعصور الفلكية القديمة ، وما يفقده في المعرفة يكسبه في التخيلات .

ولكن في حين ان الجزء المدرك للانسان هو قاعدة جودته وانها بعيدة عن أن يكون الكل منها . فانها ليست كافية لتستعرض العالم . يجب ان تستعرض بالعاطفة ، وعاطفة مميزة متعلقة بالهدف ، وسرور عام في مجرد فعل المعرفة . ولكن المعرفة والشعور معاً لا يزالان غير كافيين للانسان الكامل . وفي العالم مد للبشر الذين يأتي نصيبهم كاسباب للتحويل ، وفي ضمايرهم ضمن انفسهم كاسباب يمارسونها سوف تصبح مدركة للقوة . ان المعرفة والعاطفة ، والسلطة ، جميعها يجب ان توسع لأقصى حد في قصد كمال المخلوقات البشرية . والسلطة ، والعقل ، والحب ، حسب العقيدة التقليدية تكون الصفات الخاصة للثلاثة أشخاص من الثالوث المقدس . وفي هذا وعلى اي حال ، فالانسان صنع الإله في تخيله الخاص .

وفي هذا نفكر بالانسان كفرد . اننا نعتبره كما كان يعتبر من قبل البوذيين ، والرواقين ، والقديسين المسيحيين وجميع المتصوفين . ان عوامل المعرفة والادراك في الفرد الكامل كما كنا نصفه ليست اجتماعية أساساً . انها بواسطة الارادة فقط ، وبواسطة ممارسة السلطة على ان الفرد الذي كنا نتخيلة يصبح عضواً فعالاً في الجماعة . والى هذه الدرجة فان المكان

الوحيد الذي تكون الارادة به هكذا بإمكانها ان تعطى للانسان تكون تلك ارادة الدكتاتور . ان ارادة الفرد المعتبرة في معزل هي مشيئة الله التي تقول « دع مثل هذه الاشياء تكون » . وصفات المواطن تكون مختلفة جداً . فهو مدرك ان ارادته ليست الوحيدة في العالم ، وهو له علاقة في أسلوب واحد او سواء ، ليجعل الرخاء من الارادات المتضاربة القائمة ضمن الجماعة . يكون الفرد هكذا منكشاً على نفسه ، بينما يكون المواطن ذاته محدوداً بواسطة جيرانه . وباستثناء روبنسون كروزو ، فاننا جميعاً في الحقيقة مواطنون ، والتربية يجب ان تأخذ اعتباراً من هذا الواقع . ولكن من المحتمل التمسك بأننا في النهاية سنكون احسن مواطنين اذا كنا مدركين اولاً لجميع فعالياتنا كأفراد قبل أن ننحدر للمساومات والنتائج العملية للحياة السياسية .

ان المميزات الاساسية للمواطن هي تعاونه ، في القصد اذا لم يكن في الواقع بمقدور الانسان الآن الذي يرغب في التعاون ، ما لم تكن هناك واحدة من السلطات الاستثنائية ، فانه سوف يبحث عن هدف جاهز ليتعاقد به . فقط انسان ذو عظمة استثنائية بمقدوره ان يقنع بمفرده الى هدف يكون للناس حسناً ليتعاقدوا . وكونه قد أقنعهم بإمكانه ان يفرضهم باتباعه . لقد كان هناك مثل هؤلاء الرجال .

افتكر فيثاغورس حسناً عندما درس الهندسة ، والتي من اجلها كل طالب مدرسة ليومنا هذا عنده مبرر ليعلمه . ولكن هذا الانفراد والشكل المختلف للوطنية يكون نادراً ، وليس من المحتمل ان يكون ناتجاً بواسطة مخطط تربوي لتدريب المواطنين . والمواطنون كما تتصورهم الحكومات هم الاشخاص المعجبون بالنظام القائم ، والذين هم على استعداد لاجهاد انفسهم في سبيل الاحتفاظ بذلك النظام ، وانه لمن عجب

انه بينما تستهدف الحكومات جميعاً اخراج رجال من هذا الطراز دون اي طراز آخر ، ترى ابطالها من رجال الماضي هم على وجه الدقة رجال من ذات الطراز الذي تحاول الحكومات ان تمنع ظهوره في الحاضر ، فالامريكيون يجدون جورج واشنطن ، وجفرسن ، لكنهم يزجون في السجن كل من شاطرهما في آرائها السياسية ، والانجليز يجدون (بوريقيا) لكنهم كانوا ليعاملونها بالضبط كما عاملها الرومان ، لو انها ظهرت في الهند الحديثة . والأمم الغربية جميعاً تمجد المسيح ، مع انه لو عاش اليوم لكان يقيناً موضع ريبة من رجال سكوثلنديارد في انجلترا ، ولا تمتعت عليه الجنسية الامريكية على اساس نفوره من حمل السلاح . هذا يوضح الوجوه التي تجعل الولاء للوطن غير كاف وحده ان يكون مثلاً أعلى ، لأنه باعتباره مثلاً أعلى ينطوى على انعدام قوة الابداع ، وعلى الرغبة في الخضوع لأصحاب السلطان أياً كانوا ، او حكم القلة تكون حكومتهم ديمقراطية ، وهو اتجاه يناقض الطابع المميز لعظماء الرجال ، ويميل اذا بولغ فيه الى الحيلولة دون أفراد الناس ان يبلغوا العظمة الى الحد الذي تمكنهم منه كفاياتهم .

ولا اعني أن اكون مفهوماً مثل محامي العصيان . ان العصيان مجرد ذاته ليس احسن من الاستسلام ، حيث أنه مقرر بالتساوي بواسطة العلاقات ، والتي هي خارج انفسنا اكثر مما تكون بواسطة التقدير الشخصي الخالص للقيم . وسواء امتدح العصيان او احتقر فانه يعتمد على السبب الذي من اجله يعصي الشخص ، ولكن يجب أن تكون هناك الامكانيات للعصيان على مناسبات وليس مجرد استسلام اعمى ناتج عن تربية صارمة في الأذعان . والذي ربما يكون اكثر اهمية سواء في العصيان او الاستسلام ، على أن يكون هناك الامكانية لاصابة خط جديد كلياً كما فعل من قبل

فيثاغورس عندما أوجد دراسة الهندسة .

ان الحاصل فيما بين المواطنة والفردية يكون هاماً في التربية ، وفي السياسة ، وفي السلوك ، وفي الميتافيزيقا . ففي التربية هناك بالمقارنة مظهر عملي بسيط ، بإمكانه أن يكون لدرجة ما معتبراً بعيداً عن الحاصل النظري . ان تربية الأحداث لكامل الجماعة هي عمل يكلف باهظاً ، وهو على العموم ، واجب يقع على الدولة . والمنظمة الوحيدة الأخرى المهتمة كفاية في جعل عقلية الأحداث يكون عندها نصيب هام حقيقي في التربية هي الكنيسة . ان هدف الدولة يكون طبعاً تدريب المواطنين . ولبعض الأسباب التاريخية المعينة ، فان هذا الهدف حتى الآن مستلطف لدرجة بواسطة التقاليد . كانت التربية في القرون الوسطى تعني تربية الكاهن . ومن عصر النهضة حتى الأزمنة الحديثة اخذت تعني تربية «الجنتمان» . نتج ذلك بتأثير ترفع الديمقراطية واصبحت تعني التربية التي تجعل الانسان يظهر مثل «الجنتمان» ، اشياء عديدة ذات فوائد نافعة للمواطن التي كانت تعلم في المدارس ، ومع وجهة نظر لجعل الباحثين دمثين .

ان الأسس الأخرى في التربية باقية من التقاليد الكنسية للقرون الوسطى ، التي كان الهدف منها جعل الانسان يخشى طرق الله . والكياسة والعبادة ، هي صفات الفرد اكثر مما هي صفات المواطن . الدين المسيحي كدين هو للفرد ، نظراً لحقيقة انه يبعث فيما بين البشر المجردين من السلطة السياسية . انها تعتبر بدائية فيما يخص علاقة الروح بالله ، في حين انها تعتبر علاقات الانسان يجيرانه ناتجة عن شعور الانسان الخاص ، وليس عن القوانين والمؤسسات الاجتماعية .

ان العامل السياسي في النصرانية ، كما هو الحال في وقتنا الحاضر ،

اتى مع قسطنطين . فقبل عهده كان من واجبات المسيحية عدم اطاعة الدولة . ومهما يكن ، فقد ترك الاساس الفوضوي للنصرانية خيرة اوصلت خلال تاريخها انتعاشاً للصفات البدائية لعدم الطاعة . ورفض Cathari و Albigenses والفرنسيين سكان الرومانيون جميعهم في طرقهم المختلفة القدرة لصالح نورهم الداخلي . والبروتستانتية بدأت في ثورة ضد السلطة ، ولم تجد أي انصاف واقعي لمثل هذه التجربة من التسلط العقائدي . ذلك لانها كانت تميل للمطالبة في التوصل الى الاشراف على الحكومة . وتباعاً كانت البروتستانتية تساق بمنطق داخلي لتقبل الاحتمالات الدينية ، ومثل وجهة النظر هذه لم تخترها الكاثوليكية بعقيدتها ، وتقبلتها عملياً فقط ، وذلك لأسباب الراحة المؤقتة ففي هذا يمثل الكاثوليك تقاليد الامبراطورية الرومانية ، في حين أن البروتستانتية قد عادت الى الفردية من عهد ابوستليس Apostles والآباء السابقين .

يمكن تقسيم الادبيات الى سياسية ، وتلك التي تهتم روح الفرد . الكونفوشية هي دين سياسي ، كما ان كونفوشيوس قد قام من بلاط الى بلاط ، فقد اصبح في الأساس مهتماً بمشكلة الحكومة ، وباستدراج مثل هذه الفضائل هكذا ليجعل حكومة صالحة سهلة . اما البوذية فبالعكس ، فبالرغم من الحقيقة التي كانت في ايامها الباكورة ، لقد كانت دين الامراء . وبالاساس هي ليست سياسية ، ولكنني اعترف انها سياسية بمعدل البابوية ، ولما قابلت رئيس كهنة البوذيين في اليابان ذكرني برئيس الاساقفة البريطاني . ومهما يكن فان البوذي في لحظاته الاكثر تدينناً يعتبر نفسه بالاساس كأنه الخلق الوحيد . كان الاسلام على العكس من ذلك ، اذ كان منذ بدايته الاولى ديناً سياسياً . وقد جعل محمد نفسه

حاکماً الناس ، ومن ثم الخلفاء الذين اعقبوه بقوا هكذا حتى انتهاء الحرب العظمى . ان هناك فوارق ظاهرة فيما بين الاسلام والمسيحية والتي ركبها الخلفاء بالنسبة للمسلم بدون التصريح ، في حين ان النصرانية جرت بواسطة طباعها غير السياسية لإثارة تنافس بين سياستين اسمياً ، البابا والامبراطور ، والتي دعم الاول مطالبه بالسلطة الدينية على غير الهام من الحكم اللاديني . والشيعوية كونها قد اقيمت في روسيا فانها دين سياسي مشابه للاسلام . ولا يمكن بأي حال تجنبها ، ومؤثر عليها بواسطة التقاليد البيزنطية . وهناك امكانية ان الحزب الشيوعي من المحتمل ان يحل مكان الكنيسة تاركاً الحكومة اللادينية لتلك الدرجة من استقلال السلطة الدينية ، والتي كانت تملكها قبل الثورة . وفي هذا كما في الامور الاخرى ، فان روسيا مقسمة فيما بين العقلية الشرقية والغربية . وطالما ان روسيا آسيوية فان الحزب الشيوعي يحتل مكان الخليفة ، وفي حين تكون روسيا اوروية فان الحزب الشيوعي يحل مكان الكنيسة .

ان الهدف من وجهة النظر الدقيقة دقة عين العصفور لتاريخ الاديان ، كان الاقتراح على ان المبادئ في التربية السارية والتي هي محصورة بثقافة الفرد ، تكون في الاساس من حصيلة التقاليد ، ومن المحتمل ان تتلائم اكثر فأكثر بواسطة تربية مواطنة . فالتربية المواطنة اذا كانت حكيمة ، بإمكانها الاحتفاظ بما كان الاحسن في تربية الفرد . ولكن اذا كانت بأي حال قصيرة النظر فانها سوف تهز الفرد كي تجعل منه اداة لينة للحكومة . انها هامة اذن لادراك الاخطار المطبوعة في تقاليد المواطنين عندما تضيق بالحداد . فأولئك الذين يقيمون انظمة الدولة للتربية سوف يجعلون البشر عبثين حتى كمواطنين اذا اتخذوا

وجهة نظر ضيقة الى ما يشاء المواطن الصالح . ويقدر الرجال الذين
عندهم ثقافة واسعة للفرد على استحسان ما تساهم تربية الفرد بالنسبة
للمواطنة . ولسوء الحظ ، مثل هؤلاء الرجال في يومنا الحاضر يميلون
ليحل مكانهم اكثر فاكثر رجال ذوو كفاءة تنفيذية ، او مجرد سياسيين
يجب ان يكافؤوا على خدماتهم .

ان التربية التي من شأنها ان تعمل مواطنين صالحين لها أشكال
مختلفة ، حسبما تكون موجبة لدعم او للقضاء على النظام القائم . ومن
الممكن الافتراض نظراً لأهمية الدولة في التربية ، ان تلك التربية ستكون
على الاغلب موجبة دائماً لدعم نظام الدولة للظروف الراهنة . وهذا مهما
كان ليس هو الحال . عدا روسيا ، حيث ان النفوذ الديني والطبقة
الوسطى هما قويان جداً كفاية ليحكمنا قسماً كبيراً من التربية لتبقى
رجعية ، حيثما الاشتراكية تكون قد وصلت للسلطة . ومن الجهة
الآخرى ، قبل الثورة الفرنسية ومرة ثانية قبل الثورة الروسية ، كانت
التربية في الاساس عندما لم تكن منتشرة معادية للدولة . ففي اغلب
الاجزاء المختلفة من الولايات المتحدة ، هناك ميل مماثل في الوقت الحاضر .
ان جامعات الولايات تميل الى تعليم قواعد بأكثر او اقل قصداً ، والتي
هي غير ملائمة للمزارعين الجاهل الذين يدفعون الضرائب التي تعيش
الجامعات عليها . ومن غير الطبيعي ان يفكر المزارعون ان اولئك الذين
يدفعون الى العازف ، يجب ان يطلبوا اللحن ، ولكن عندما
لا يقدر ان يفهموا العازف او يعرفوا اي لحن يعزف فانهم يجدون
هذا صعباً نوعاً ما . وبالرغم من هذه الاستثناءات ، فان التربية في العالم
الحديث تميل لتكون قوة رجعية تدعم الحكومة عندما تكون محافظة ،

وتعارضها عندما تكون تقدمية، ولسوء الحظ أيضاً، ان عناصر المواطنة الجيدة التي تعلّم في المدارس والجامعات هي من أسوأ العوامل وليست الاحسن ، والذي يؤكد على الاسس يكون ولاء في شكل ما عسكرياً . وهذا يؤكد القول ان الادراك الضيق للأشخاص الذين يعيشون في منطقة معينة ، كعارضين لأولئك الذين يعيشون في مكان آخر ، والرغبة بتوسيع مصالح الاشخاص في المناطق المختارة بواسطة استعمال القوة العسكرية . اما فيما يتعلق بالشؤون الداخلية ، المواطنة ، كما بصورة عامة ، تخلد عدم العدالة التقليدية . ان السواد الاعظم من الشباب الاغنياء يشعرون على سبيل المثال بالاخلاص اثناء اضراب ، عندما يقومون بدور الأرجل السوداء (أي يحلون مكان المضربين في العمل) ، انه من الضرورة تصور اي واحد قد تعلم كي يكون قادراً على تصوّر القضية لصالح المضربين ، ومن الممكن حينئذ تكون عدم العدالة سارية اثاره الرأي الشرعي والدستوري لمساندتها . ان المثقفين في كل بلد - عدا روسيا - يميلون ليكونوا شرعاً جبناء ، وسواء من قبل دخلهم او من انتهازياتهم ليكونوا مساندين للأغنياء . ففي كلا الحالتين يميل علمهم للتأكيد بصورة اكثر ثقل اهمية للقانون والنظام ، مع العلم ان هذه تعطي تفوقاً عن الحاضر . وكردّة فعل ضد هذا التأكيد ، فان اولئك الذين يرغبون في اي تحسن جذري في العالم مرغون ان يكونوا ثوريين ، والنظرية الثورية لواجبات الجماعة تكون عرضة ان تصبح ضيقة ، وعلى المدى البعيد تكون خطيرة مثل ذاك المدافع عن القانون والنظام .

هناك بأي حال ، امور معينة من المحتمل ان يكون بها المدافع عن التحول احسن تربية من المدافع عن الوضع الثابت . ان تقاليد الحيوانات

كافية بمجد ذاتها لتجعل الانسان يجذب الاساليب القديمة مثلما تجعل الحصان حيث يجب ان يعدو على الشارع والتي ترجع الى العادة ، ولا احد من تقدمي العقليين الكبار مطلوب من اجل ان يكون من المحافظين. ان المدافع عن التحول عليه ان يكون على العكس عنده درجة معينة من التخيل ، وذلك ليكون قادرا لتخيل اي شيء مختلف عما هو ساري. ويجب ان يكون ايضا عنده قوة الحكم للحاضر من وجهة نظر القيم ، ومنذ ذاك ليس بإمكانه ان يكون غير مدرك على ان الوضع الراهن له المدافعون عنه ، وان يدرك ان هناك على اقل تعديل وجهة نظر هي ممكنة للكائنات البشرية ، اضافة الى انها ليست ملزمة لاقفال عواطفها ضد ضحايا الظلم السائد ، او لاختراع اسباب معقدة ، الغاية منها اثبات ان المآسي السهل منعها يجب ان تمنع . ان كلا من الذكاء والتعاطف يظهران اذا انها اقل كبحاً بواسطة التربية المعادية للوضع الراهن عما هو صديق لها .

ولهذا هناك على أي حال حدود معينة . فالعداء للوضع الراهن يمكن التوصل اليه من احد مصدرين : يمكن أن ينبع من التعاطف مع التعمساء ، او من الحق على المحظوظين . فاذا نبعت من الأخير ، فانها تشمل حدوداً كثيرة التعاطف كما تكون مشمولة في المحافظة . ان الكثيرين من الثوريين في احلامهم اليومية ليسوا مهتمين لدرجة بالسعادة التي تأتي لعامة الشعب كما هو بالنسبة للانتقام الذي سيكونون قادرين على انزاله بالسفهاء المتمسكين بالسلطة ، والذين يعانون منهم في الحاضر . ومن جانب الذكاء هناك مرة ثانية ميل للدفاع عن التحول لينظموا انفسهم في فئات ملتزمة مع بعضها في استقامة دقيقة ، يكرهون الهرطقة ، ويفكرون بها

كخيانة مسلكية اصالح الخاطئين المتفوقين . ان الاستقامة هي قبر الذكاء ، ولا يهم مهما كانت الاستقامة . وفي هذا الشأن فان الاستقامة الجذرية ليست احسن حالاً من الرجعية .

ان احدى الطرق الهامة التي يهذب بها الفرد الخصومات مع تربية المواطن ، يفكر بها ضمن حدود ، وتكون بشأن الصفات العلمية باتجاه الأمور المشكوك فيها . ان تطور العلم نمتي تكنيكاً معيناً ، وهو في الاساس تكنيك الاكتشاف ، وذلك في القول عن التحول . ولنتكلم بصراحة عن الاطار العلمي للعقل فهو يكون ذاك الذي يسهل الاكتشاف وليس ذلك الذي يجعل الانسان يكون عنده اعتقاد غير مهتز في الاوضاع الحاضرة للعلم . من المحتمل أن يكون المواطن المثقف عالياً غير قادر على الاكتشاف ، طالما انه سيحترم من هم اكبر منه سناً ، ويقدم الاحترام للرجال العظام في الاجيال الغابرة ، ويتطلع برعب الى جميع العقائد المدمرة . الدول الحديثة التي تكون مبنية على اسس علمية تكون اذن في مأزق . فبعض الدول بفضل الناس غير المستقيمين يخترعون متفجرات حديثة ، وبعضهم يفضل ان يكون شبانها مستقيمين يتمسكون بالتقاليد الغابرة العظيمة . فالبيزنطيون حينما تمكنوا من الحصول على مساعدة الغرب بواسطة نظريات عقائدية ، اختاروا بدلاً من الاحتفاظ باستقامتهم قساوة الاندحار على يد الاثراك . ونفس الشيء في البحرية البريطانية عندما جوبهت بالمناقض المزعج سواء الاذعان لمعاكسة الشباب او ان يصبحوا عديمي الفائدة بواسطة تخيل نيلسون . ولقد فضلوا المناقض الاخير ، مهما كانت المآسي التي كانت ستحل بواسطة احترامها للتقاليد العظيمة لأسلافنا . وهكذا على اقل تعديل قليل من قبل الذين يجب ان نعرفهم .

انها احدى المناقضات لوقتنا ان العلوم التي هي مصدر السلطة ، وعلى الأغلب خاصة سلطة الحكومة ، تعتمد في تطورها على حالة نظام ضروري للعقل في الباحث .

ان الوضع العلمي للعقل ليس مشككاً ولا عقائدياً . الشك يتمسك في ان الحقيقة غير قابلة للاكتشاف ، بينما العقائدي يرى أنها قد اكتشفت . إن رجل العلم يرى أنها قابلة للكشف مع كونها لم تكتشف ، وفي اي حال في الامور التي يبحثها . ولكن حتى في القول ان الحقيقة قابلة للاكتشاف ونقل نوعاً ما اكثر من اعتقاد رجل العلم الواقعي ، طالما انه لم يتوصل لاكتشافاته بصورة نهائية مطلقة ، ولكن حسب التقديرات تكون عرضة لتصحيحات في المستقبل .

ان غياب النهاية هي من اسس الروح العلمية . واعتقاد رجل العلم يكون اذاً تجريبياً وليس عقائدياً ، ولكن فيما يتعلق بما سينتج عن ابحاثه الخاصة فهي شخصية وليست اجتماعية . ويعتمد هذا على ما هو بنفسه قد أكد بواسطة المراقبة والتدخل ، وليس على ما يعتبره المجتمع مخططاً للمواطن الصالح ليؤمن به .

ان هذا النزاع فيما بين الروح العلمية وفائدة الحكومة من العلم من المحتمل في النهاية ان يوصل التقدم العلمي الى الجمود ، طالما ان التكنيك العلمي سيكون مستعملاً بزيادة لتثبيت الاستقامة والاستعداد . فاذا لم يحدث هذا ، فانه سيكون من الضروري على الاولاد الذين يظهرون درجة معينة من الكفاءة للعلم ان يستثنوا من التدريب العادي للمواطنين ، وينحوا رخصة للتفكير . وسيكون الاشخاص الذين يتوصلون الى مستوى معين في الامتحانات مسموح لهم ليضعوا بعد اسمائهم حرفي (L.T.)

والتي تعني « مجاز للتفكير » . ومثل هؤلاء الأشخاص يجب ان لا يحدروا فيما بعد من اي منصب تحت ظروف انهم يفكرون ان من هم اعلى منهم هم مجانيين .

ولنتكلم بحرية اكثر ، فان جميع إدراك الحقيقة هو واحد يصعب اخفاؤه مع الأفكار العادية للمواطنين . ومن الممكن القول طبعاً كما يقال من قبل الذرائعيين ، ان إدراك الحقيقة في شكلها التقليدي ليس له اي واقع ، وان الحقيقة تكون مناسبة الاعتقاد فقط . فاذا كان هذا هو الحال ، فبالامكان تقرير الحقيقة بقوانين البرلمان . وقد وجد ليغ هنت Leigh Hunt انه ليس من السهل لنصدق ان الأمير ريچنت كان سمياً ، طالما ان هذا الرأي سبب له دخول السجن .

فاذا تلعبت ان الامير ريچنت كان نحيلاً ، فانه من الصعوبة في هذه الحالة تقبل فلسفة الفيلسوف . وليس بإمكان احد ان يقاوم بصعوبة الافتناع ان هناك شيئاً ما مقصوداً وحقيقة مطلقة عن وضع ان الامير ريچنت كان بديناً . وطبعاً بإمكانني ان انحلل عدداً كبيراً من المجلدات الموضوعة للتهرب من هذه النتيجة . ان كلمة « بدين » هي شرط علاقة . واني اذكر انه عندما كان آخر تلميذ للمسيح ، وليس بأي حال انسان صغير ، وجد نفسه على العشاء فيما بين اثنين مع المع كتاب زماننا ، وأشار انه يمتاز التجربة غير العادية لشعور انه نحيل .

وبالمقارنة لبعض الخنازير الضخمة فانه من المحتمل ان الامير ريچنت كان نحيلاً . ولذا جعلت افادة ليغ هنت مضبوطة ، وسيكون ضرورياً القول ان الامير ريچنت ينتمي الى ابدن نسبة مئوية من الذكور البالغين ،

او بعض مثل هذه الافادة لتلك . وانه سيكون ممكناً القول « ان معدل وزن الأمير ريجنت لارتفاعه بالطول يفوق عن الجميع في واحد بالمائة ، من رعايا جلالتة من الذكور البالغين » . هذه الافادة من الممكن طبعاً ان تكون على هامش الشك ، ولكن اذا كانت هكذا من الممكن ان تجعل بالتأكيد مضبوطة باستبدال اثنين بالمائة ، بواحد في المائة . وليس بالامكان التثبيت ان مثل هذا الافتراض هو حقيقة ، ذلك لانه يسهل تصديقه ، او انه سيصبح كذباً من خلال حقيقة انه من الاجرام مقاطعته . لقد اخترت مثلاً من زمن مضى عليه اكثر من مائة سنة ، ومنذ ذاك الوقت لا احد يظهر بعد الغضب السيامي ، ولكن الأمور المطابقة مع الحقائق هي في يومنا هذا ذات اهمية للحكومات ، ولكن لا يرغب اي شخص في البقاء خارج السجن ويقاطعها .

ان جميع الحكومات في العالم تتبع اساليب متقنة لاختفاء الحقائق التي تعتبرها غير مرغوبة ، وتفرض اشكالا مختلفة للعقوبة لأولئك الذين ينشرون المعرفة والتي يظن انها سيئة للسكان . وهذا ينطبق خاصة على المعرفة من النوع الذي يعتبر مثيراً ومهيجاً ، والنوع الذي يعتبر مسيئاً . وسوف لا اقدم امثلة لذلك ، لأنني اذا فعلت فسوف اوقع نفسي تحت طائلة القانون .

وللسبب الذي كنا نبجته ، التربية في المواطنة لها أخطار محزنة . مهما كان الجدال لصالح بعض التربية المقررة لانتاج اتحاد اجتماعي يكون عاماً .

ان امانى الحياة الحضارية تعتمد على التعاون ، وان كل زيادة في المتطلبات الصناعية هي زيادة في التعاون . فمثلاً الصين لديها جميع الامكانيات

للإزدهار والثقافة العالية ، عدا قيام الحكومة المركزية القوية . وأميركا اللاتينية حررت نفسها منذ زمن بعيد من اسبانيا والبرتغال ، ولقد بقيت متخلفة بواسطة الميول الفوضوية لسكانها . هناك بعض الاثبات على ان الولايات المتحدة تستعد لاتباع مثال أميركا اللاتينية . ومن المؤكد ان الخطر الأعظم الذي تعاني منه الولايات المتحدة في الوقت الحاضر هو فقدان اي احساس حيوي للمواطنة من جانب قسم كبير من مواطنيها . وهذا لا يمكن ان يعود لأي فشل في شرح المواطنة في التربية .

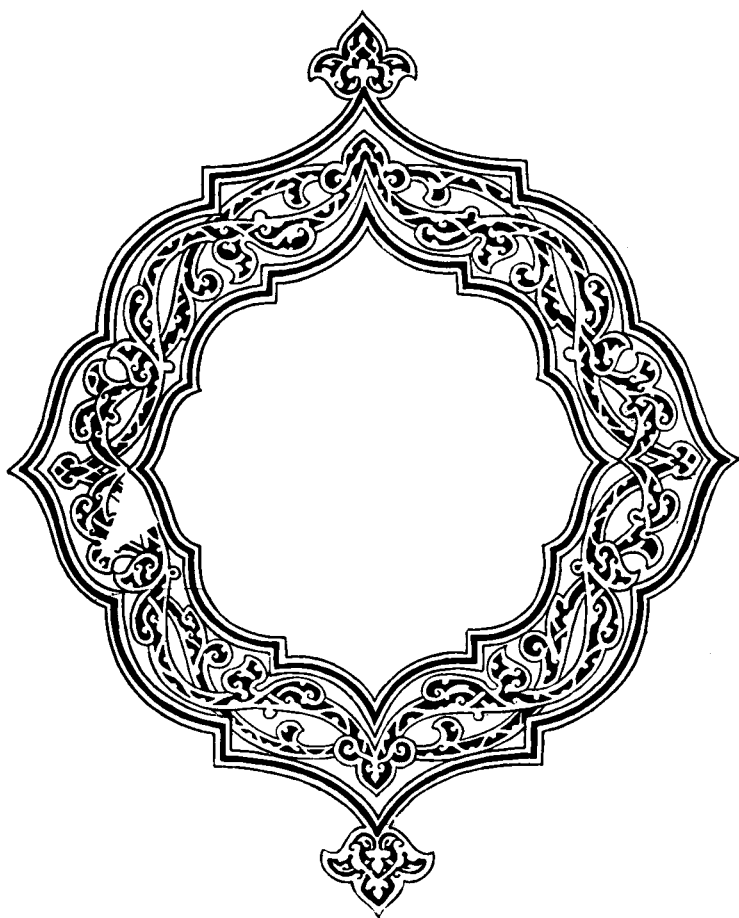
وعلى العكس ، جميع الجهاز الثقافي في أميركا ، من المدارس العامة الى الجامعات مهم في شرح المواطنة ، وفرض واجباتها على عقول الشباب . بالرغم من الجهود الثقافية هذه ، فان الفرد الاميركي العادي سواء من نظرتة للتقاليد السائدة او لحقيقة ان اسلافه الحديثين كانوا اوروبيين ، ليس عنده الشعور الفعال للجماعة الذي كان سائداً في البلاد الأقدم في اوروبا . وما لم يتوصل له فانه سيكون هناك خطر في ان جميع النظام الصناعي يمكن ان ينحل .

ان جانباً من الارتباط القومي ضمن الدولة ، والذي هو كل ما تحاول جميع تربية الدول التوصل اليه حالياً ، هو الارتباط الدولي بادراك جميع العنصر البشري كوحدة تعاونية واحدة ، حيث يصبح بصورة متزايدة ضرورياً لحضارتنا العلمية ، وان انشاء دولة علمية ومؤسسة ناتجة عنها لاقامة نظام تربوي مقرر ، ينتج الاخلاص للدولة العالمية . وما لا شك فيه ان مثل هذا النظام سوف يتطلب بأي حال قرناً او قرنين من الشدة المعينة ، والتي ستعمل ضد تطور الفرد ، ولكن اذا كان نقيض هذا ، يكون الاضطراب وموت الحضارة ، والتمن سيكون مستحق الأداء .

ان المجتمعات الحديثة محبوبة بتقارب اكثر من تلك التي كانت في
الايام الغابرة في اجهزتها الاقتصادية والسياسية ، واذا كانت ستكون
ناجحة يجب ان يكون هناك زيادة مطابقة في ادراك المواطنة من جانب
افراد الرجال والنساء . كما ان الاخلاص للدولة العالمية سوف لا يتطلب
طبعاً اسوأ الصور من اخلاص الفرد للدول القائمة ، اي بالتحديد تشجيع
الحرب . ولكن من الممكن ان يتطلب تخفيضاً معتبراً من الذكاء والميول
الى الجمالية . واعتقد انه مهما كانت الحاجة الاكثر حيوية للمستقبل فسوف
تكون تنمية الافكار لامعة للمواطنة العالمية .

وحينما يصبح العالم مرة واحدة (وحدة) اقتصادياً وسياسياً ، تصبح
مؤمنة وممكنة التربية للفرد لينتفعش . ولكن لغاية ذاك الوقت تبقى جميع
حضارتنا في خطر اعتبارها ثانوية النوع . ان تربية الفرد بالنسبة لرأي شيء
اجل من تربية المواطن . ولكن اعتبارها سياسياً بالنسبة لعلاقتها بحاجة
الوقت ، فان تربية المواطن يجب ، كما اخشى ، ان تحتل المكان الاول .





النظرية السلبية للتربية

هنالك ثلاثة فروع للنظريات التربوية ، جميعها لها انصارها في وقتنا الحاضر . الاولى تبحث في الهدف الوحيد للتربية ، وهو تجهيز الفرص للنمو وازالة نفوذ التخلف . والثانية تتمسك في أن هدف التربية هو منح ثقافة للفرد وتطوير امكانياته لاقصى حد . والثالثة تأخذ في أن التربية يجب أن تعتبر نوعاً ما علاقاتها بالمجتمع اكثر من علاقاتها بالفرد ، وبذلك يكون عملها تدريب المواطنين النافعين .

فمن هذه النظريات ، الاولى هي الأحدث . في حين أن الثالثة هي الاقدم . والثانية والثالثة اللتان بحثناهما في الفصل السابق عندهما على وجه العموم وجهة نظر ان التربية تقدم شيئاً ما واقعياً ، بينما الاولى نعتبر عملها سلبياً خالصاً . ولا تربية حقيقية تستمر كلياً وغاماً عند أي من النظريات الثلاث . ان كل الثلاثة في اجزاء مختلفة توجد في كل نظام يكون واقعياً سائداً . واطن انه ليست ولا واحدة من الثلاثة بحد ذاتها واضحة تماماً ، وان اختيار النظام المناسب للتربية يعتمد لحد كبير على اختيار الجرأة المطلوبة فيما بين الثلاث نظريات .

واعتقد من طرفي انه توجد حقيقة اكثر في النظرية الاولى التي يمكن تسميتها وجهة النظر السلبية للتربية ، ولا اظن انها تحتوي بأي وسيلة على كافة الحقيقة . ان النظرية السلبية قد وطدت تفكيراً تقديمياً اكثر في التربية . انها جزء من العقيدة العامة للحرية التي اوحى بأفكار تحررية منذ زمن روسو . ومن المستغرب حقاً ان التحرر السيامي كان مرتبطاً بالاعتقاد في التربية الاجبارية ، بينما الاعتقاد في حرية التربية سار على نطاق شاسع بين الاشتراكيين وحق الشيوعيين . ومهما يكن ، فان هذا الاعتقاد مرتبط عقلياً مع التحرر ، وله نفس درجة الصدق والكذب كالذي ينتمي الى فكرة الحرية في محيطات اخرى .

والى اوقات حديثة جداً ، لم يستوضح اي شخص وجهة النظر على ان من واجبات التربية تدريب الطفل في الطريق الذي يجب ان يسلكه . كان يتعلم قواعد السلوك ، وتقاليد الصناعة ، ومعدل علم مناسب لمركزه الاجتماعي . اما الاساليب التي كان يتوصل بها الى هذه ، فقد كانت صارمة وجاهزة . وفي الواقع ليست غير شبيهة لتلك الاساليب المستعملة لتدريب الخيول . ما كان يفعله الكرواج للحصان كانت تفعله العصا للطفل . لا يمكن الانكار ان هذا النظام من اجل كافة قسوته اعطى على وجه العموم النتائج التي كان يهدف اليها . لقد كانت قلة فقط تلك التي عانت التربية ، ولكن في تلك الاقلية تقاليد معينة قد شكلت تقاليد النظام الذاتي والتآلف الاجتماعي ، والقدرة على القيادة ، ومن القسوة التي لم تأخذ أي اعتبار لحاجات البشر .

ان الناس الذين تدربوا على ايدي الدكتور كيتي Keate وامثاله من

الاساتذة المحدودي العقلية ، جعلوا بلدنا انكلترا كما هي الآن ، ووسعوا رحمت حضارتنا الى الوثنيين الجهلاء في الهند وافريقيا . انني لا ارغب في ان اخفض من قيمة هذا الجهد ، وانني لست متأكداً انها كانت ستكون ممكنة بواسطة اي اسلوب آخر ، وبنفس الاقتصاد في الجهد . لقد كان حصيلتها نظراً لقساوة معينة ، ولعدم الطاقة الكلية لشك الاذكياء ، انها حصلت على الصفات المطلوبة من قبل عنصر امبريالي فيما بين الشعوب المتخلفة . لقد كان بمقدورهم ان يطبقوا الحكم الصارم الذي تعرضوا له عندما كانوا شباباً ، وليتجنبوا الادراك انه مها افترض ان تكون ثقافتهم ، فقد اجاعوا العبقرية والشعور كي يقووا الإرادة . ففي اميركا توصل لنفس النتائج بواسطة البيورقانيه Puritanism في حين انها بقيت قوية .

كانت الحركة الرومانتيكية في الاساس احتجاجاً في اسم الشعور القوي ضد الاصرار الزائد السابق على الارادة . وقد توصلت الحركة الرومانتيكية الى شيء ما فيما يخص معاملة الاطفال حديثي السن ، ولكن كانت في الاساس السلطات التربوية محاطة بشدة بالغلة ، ومعتادة كثيراً لتأمر ان يكون لها تأثير مستحسن من قبل الافكار الانعم من الرومانتيكية . انها فقط في يومنا الحاضر ، على ان وجهة نظرها العامة للحياة باشرت لتنتج تأثيراً واسع المدى على فكرة التربية . ولكن تماماً مثل حالة الفوضى في الاقتصاد ، كان عليها ان تفسح الطريق لأشكال جديدة من النظام المخطط هكذا في فوضى التربية على انه دور ضروري ، ولا اعتقد انها الكلمة الأخيرة . انني اقترح في هذا الفصل شرح القضية في صالحها وان اقوم بفحص حدودها .

ان الحال لأعظم حرية ممكنة في التربية تكون قوية جداً . ولنباشر في فقدان الحرية التي تشمل الاختلاف مع الراشدين ، والتي بصورة مستمرة لها اثر عقلي عميق عما عرف لغاية وقت حديث جداً فالطفل الذي يرغم بأي وسيلة بالقوة يتظاهر بالاذعان في كراهية ، واذا كان كالعادة غير قادر ليعطي مخرجاً حراً لكراهيته فانها تكن داخلياً . ومن المحتمل ان تنغمس في عدم الادراك مع جميع انواع العواقب الغريبة ، خلال فترة باقي حياته . فالأب كهدف للكراهية يمكن ان تحل مكانه الدولة ، والكنيسة ، او امة غريبة . وهكذا تقود الانسان ليصبح مضطرباً او عسكرياً كما يمكن ان يكون الحال . او كراهية السلطات ثانية التي تضغط على الطفل ، يمكن أن تتحول الى رغبة تسبب ضغطاً فيما بعد على الجيل التالي . او من المحتمل ان يكون هناك مجرد ظلم عام حيث يصبح السرور الاجتماعي والعلاقات الشخصية غير ممكنة . لقد وجدت يوماً في المدرسة ولداً من حجم متوسط يسيء معاملة ولد اصغر منه . واستجوبته ولكنه قال : « الاكبر يضربني » ، وهكذا انا اضرب الاطفال ، وهذا عدل . ففي هذه الكلمات مثال لتاريخ العنصر البشري .

هناك تأثير آخر للارغام في التربية هو انها تدمر مصالح الاصاله والذكاء والرغبة للمعرفة . ففي اي حال ، مقدار جيد من العلم هو طبيعي للصغار ، ولكنه بوجه عام مقضي عليه من حقيقة انهم يمنعون اكثر مما يستحقون ، او أن ما بأمكانهم ان يستوعبوا .

ان الاطفال الذين يرغبون لياكلوا يحصلون على كراهية للطعام ، والاطفال الذين يرغبون ليتعلموا يحصلون على كراهية للعلم . وعندما

يفكرون فانهم لا يفكرون تلقائياً في الذي يركضون فيه او يقفزون او يصرخون له . انهم يفكرون بوجهة نظر لإسعاد بعض الراشدين . وهكذا مع محاولة للإصلاح اكثر مما هي غريزة طبيعية . ان قتل النشاط يكون بصورة خاصة بلية في الاتجاه الفني . والأطفال الذين يتعلمون الآداب او الرسم او الموسيقى لدرجة زائدة ، او مع وجهة نظر الإصلاح اكثر مما تكون لتعبير نفسي ، فانهم يصبحون بصورة متفوقة اقل اهتماماً في تذوق جانب جمال الحياة . حتى اهتمام الولد في الاختراعات الميكانيكية يمكن ان يقتل من خلال التعليقات الشديدة جداً . فاذا كنت تعلم ولداً قواعد الضغط العام في وقت الدرس ، فانه يحاول ان يتجنب الحصول على العلم الذي تحاول ان تشرحه ، في حين انه اذا كان عندك ضاغطة في الساحة الخلفية ومنعته ان يمسه ، فانه سيصرف كل فراغه ليدرسها .

الكثير من هذه المتاعب يمكن تجنبها في جعل الدروس اختيارية . فلم يعد هناك اي عدااء فيما بين الاستاذ والتلميذ ، وتقريباً في اغلب اجزاء القضايا يعتبر الطلاب العلم المقدم من قبل الاستاذ يستحق الحصول عليه . فان بداهتم ليست غريبة ، لأنها حسب اختيارهم الخاص ، يتعلمون ويحملون الكراهية لتبقى مغروسة في ضمائرهم خلال الباقي من حياتهم . ان الجدال في سبيل الخطابة ، والتحرر من الآداب والحرية فيما يخص معرفة الجنس تكون اقوى . ولكنني سوف أبحث هذه الأمور منفصلة في مجال لاحق .

من اجل جميع هذه الاسباب ، يتظاهر الاساتذة المستجدون ، وأظن انهم يتظاهرون بحق ، بأجمل المبدع وحرية المبدع في المدرسة . ولا افكر ،

مهما كان ، ان الحرية في المدرسة يمكن اقامتها على قاعدة مطلقة اذ انه لها حدودها وأهميتها لتدرك ماذا تكون .

وكأحد الأمثلة الواضحة ، بإمكاننا ان نأخذ النظافة . انني أحبذ ان اقول لنباشر في ذلك ، لأن اغلب الاطفال الذين يكون اباؤهم في وضع مادي جيد ، يبقون نظيفين لدرجة بالغة جداً . ان الآباء يوضحون سلوكهم تحت مبررات ان النظافة صحية ، ولكن الشعور لجعلها بصورة متزايدة تكون احدى الأبهات . فاذا رأيت طفلين احدهما نظيف والآخر قذر فانك تميل للافتراض ان والدي الولد النظيف عندهما دخل اكثر من والدي الولد القذر . وتباعاً يحرب الآباء ليحفظوا اطفالهم نظيفين جداً . ان هذا الطغيان غير سار ، والذي يتدخل في الاطفال يعمل اشياء كثيرة كان يجب ان تعمل احسن .

وأما من وجهة نظر الصحة فانه من المستحسن ان الاطفال ينظفون مرتين في اليوم ، حينما يستيقظون في الصباح ، وعندما يذهبون الى النوم في المساء . وفيما بين هاتين اللحظتين المؤلتين كانوا يزحفون على الارض ليكتشفوا العالم ، خاصة اقسامه القذرة . يمزقون ملابسهم ويمرغون الايدي الملطخة بالوحل على وجوههم . وتجريد الاطفال من هذه المسرات يكون في تقليل بداهتهم وميلهم باتجاه الاستكشاف وحصولهم على عوائد تقوية العضلات المفيدة . ولكن ، مع العلم ان الوسخ هكذا يكون شيئاً مستغرباً ، والنظافة ايضاً لها مكانتها في الصباح والمساء كما ذكرنا سابقاً ، وحتى هذا المكان المحدود ، سوف لا تؤمن حياة الطفل إلا بواسطة مقدار جيد من العناية . فاذا كنا لا نلبس اي ثياب ونعيش في طقس حار ،

فعلينا أن نحصل على كافة النظافة التي تكون ضرورية بواسطة الغطس في الماء لنبقى باردين .

وبما لا شك فيه ان انسان جاوه المنتصب كان يدار بهذا الاسلوب ، ولكن من يرتدي الملابس ويعيش في طقوس معتدلة وليس عنده مثل هذا الشعور المتزايد للنظافة كما تتطلب الصحة . فاذن ، علينا ان نتعلم لنغتسل ، ونفس الشيء ينطبق على تنظيف الاسنان . اذا كان « الرجوع للطبيعة » الدينية يقارن مع الصحة ، فيجب ان تكون الحياة تشوبها الحشونة وعليها ان تشمل تجنب الملابس والطبخ . واذا كنا لسنا على استعداد للسير بهذا المدى ، فيجب ان نعلم اطفالنا عادات معينة ، سوف لا يحصلون عليها بأنفسهم . ففي أمر النظافة والتعقيم اذن ، تشمل التربية العادية درجة بالغة من تحديد الحرية حيث ان بعض الحدود تكون ضرورية لصالح الصحة .

هنالك فضيلة أخرى نوعاً ما متواضعة ، وليس من المحتمل أن تظهر على التربية الحرة كلياً وهي الاتقان . ان الاتقان نوعية ، تكون الحاجة اليه مرتبطة كلياً مع التعاون الاجتماعي . ليس له أي ارتباط في علاقة الروح بالله أو بالتكهن الروحي ، أو في أي من الشؤون التي يهتم بها المترفعون والعلماء الروحيون . فإن الشخص يذهل عندما يعرف أن القديس يسكر ، ولكن الشخص لا يذهل حين يجد انه تأخر عن موعد . في حين أنه في الأشغال العادية للحياة يكون الاتقان ضرورياً جداً .

إنه لن يجدي لسائق المحرك ان ساعي البريد ينتظر لغاية ما أن الروح تحركه ليقود محركه أو ليجمع الرسائل . إن جميع المنظمات الاقتصادية

من أي نوع كانت سوف تصبح غير فعالة اذا كان من يقومون بأمرها غالباً متأخرين . ولكن عادات الاتقان من الصعب تعليمها في محيط حر . فإنها لا يمكن ان تكون موجودة في انسان يسمح لطباعه ان تطفئ عليه . ولهذا السبب لربما يكونون غير مقترنين مع أعلى أطوار الجهد .

كان نيوتن ، كما نعلم غير محافظ على اوقات وجبات طعامه حيث ان كلبه كان يأكلها بدون ان يكتشف نيوتن ذلك . إن على الجهود في معظم الاتجاهات تتطلب طاقة لاستيعابها في طباع . ولكن اولئك الذين عملهم أقل مهارة من الملوك الى أسفل ، يسببون ضرراً اكثر اذا كانوا عادة غير محافظين على الأوقات . فاذاً تظهر صعوبة التجنب ، اذ الشباب سيكونون عرضة الى ضرورة عمل أشياء معينة في اوقات خاصة ، اذا كانوا سيعملون ملائين لأخذ اي جزء عادي في الحياة الحديثة . اولئك الذين يظهرون مهارة تفوق العادة ، كالشعراء او المؤلفين او الرياضيين يمكن ان يستثنوا . ولكن ٩٩٪ من الجنس البشري يحتاج الى نظام في المحافظة على الوقت ، والذي هو غير ممكن تلمعاً اذا سمح لهم ان ينموا بحرية كما تلي عليهم ميولهم الطبيعية . فالنبيل المتوحش الشخصي يحسب انه ذهب للصيد عندما كان جائعاً ، وليس للساعة ٨،٥٣ صباحاً مثل نسله في المنطقة . ان تربية النبيل المتوحش اذاً لا تقدم جميع ذلك الذي يتطلبه المقيم في المنطقة .

وهناك أمر نوعاً ما اكثر جدية ، وتنطبق عليه نفس الاعتبارات وهو الشرف . انا لا اعني هذا الشرط في اي شعور خيالي ، بل اعني فقط مجرد الاحترام للملكية الآخرين . هذه ليست شيمة طبيعية للمخلوقات

البشرية . الانسان غير النظامي كان يغتصب ملكية الغير عندما يعتبر انه أمين ليعمل هكذا . ولعل الانسان النظامي يفعل هذا ، ولكن ليس بصورة مستمرة ، بل النظام علمه ان السرقة تكون غالباً غير امينة عندما تظهر في اول نظرة هكذا . واني أفكر ان هنالك في بعض العقول البشرية الحديثة اضطراب معين في الافكار فيما يخص هذا الموضوع . وقد اكتشف ان هناك شيئاً ما مثل غريزة السرقة ، تحتوي على سرقة اشياء غالباً لا يريدونها اللص في الواقع ، وفي الظروف التي يكون بها متأكداً تماماً انه سيقبض عليه . لقد كانت قاعدة في بعض المصادر العقلية ان السارق بدون ادراك لنفسه يسرق الحب او يمانع ان يكون عنده جمال جنسي .

إن غريزة السرقة لا يمكن معالجتها بالعقاب ، ولكن فقط بواسطة الفهم العقلي . والسرقات العادية مها كان الأمر ليست بأي وسيلة غير معقولة ، واذا كانت معقولة تماماً لا يمكن منعها بكونها معاكسة للاهتمام النفسي بواسطة العقوبات الاجتماعية . ففي مجتمع الاطفال ، والذين هم اكبر منهم يتركون أحراراً ، واللص ما لم يكن الاكبر في المجموعة فانه سوف يعاقب بشدة من قبل الآخرين . الكبار يمكن ان يغسلوا أيديهم من العقاب ويقولوا انه في نظامهم ليس هنالك اي قانون عقوبات ، ولكنهم في هذا هم مجرمون في خداع انفسهم . والفرص تكون في ان قانون العقوبات وجد باستمرار من قبل فئة من الاطفال ، اكثر صرامة وغير معتمد عليها من قانون يوضع من قبل الراشدين . فن اجل اللص نفسه اذن ، تكون على الاجمال حكمة في ان الراشدين يجب ان يتولوا استدراك قوانين السرقة . ويتصرفوا بها في أسلوب يمنع الاطفال من التحطيم

بالعنف على حسابهم الخاص .

ان احتراماً كاملاً للملكية الآخرين تكون بصعوبة وليس إلا بواسطة خلق وضع إلزامي ، وتحت نفوذ الإحراج تكون فرصة الاكتشاف دائماً ، تظهر اقل مما تكون ، والشخص الذي تكون السرقة بالنسبة له ممكنة فعلياً ، من الصعوبة ان يستمر عبر الحياة بدون الاذعان للالزام بدرجة كافية ، وغالباً ما يقبض عليه في النهاية .

وهناك احترام آخر ، وهو برأيي ، للكثير من معتنقي الحرية يضعون به . وذلك لأنهم فشلوا في الاعتراف لدرجة كافية بأهمية الروتين في حياة الشباب . ولا أعني ان الروتين يجب ان يكون صارماً ومطلقاً . بل ان تكون هناك ايام تختلف مثل عيد الميلاد والأعياد الأخرى . ولكن حتى هذه الاختلافات يجب ان تكون على وجه الاجمال متوقعة من قبل الطفل . ان حياة الشكوك تكون دائماً منهكة في جميع الاوقات ، خاصة عند الشباب . والطفل يتوصل الى شعور الأمان من معرفته اكثر او اقل مما يحدث يوماً بيوم . فإنه يرغب لعالمه ان يكون آمناً وعرضة لحكم القانون .

واعتقادنا في وضع الطبيعة هو بصورة كبيرة التخطيط على الكون لرغبة الطفل من اجل روتين حديقة الأطفال . والمغامرات والشجاعة هي صفات مرغوبة جداً ، ولكنها تنمو بسهولة فائقة ضد قاعدة أمن ثابتة .

كما ان هناك نقطة ابعد في صالح عنصر كبير للروتين ، وهو ان الاطفال يجدون انفسهم متعبين ومنهكين حين يكون عليهم اختيار مهنتهم الخاصة في جميع الاوقات المستغربة . وأنهم يفضلون في كثير من

الاقوات ان لا تكون البديهة لهم ، وأب اختيارهم يجب أن
يحصر ضمن اطار العمل المفروض من قبل الراشدين من الاصدقاء .
الاطفال كالناعمين يتمتعون بلذة السيطرة على صعوبة ما ؛ ولكن هذا يتطلب
استمراراً للجهد ، وتوجد قلة قليلة قادرة عليه بدون تشجيع خارجي .
ان الاهلية للاتجاه الشخصي المستمر هي من الاشياء القيمة جداً التي
بإمكان المخلوق ان يحوز عليها . فانها عملياً غير معروفة في الاطفال
الاحداث ، ولا تنمى سواء بواسطة نظام صارم او حرية كاملة . ان النظام
الصارم مثل نظام الجنود في وقت الحرب ، يجعل الانسان غير قادر على
العمل بدون اوامر خارجية . ومن الجهة الثانية ، الحرية الكاملة طيلة عهد
الطفولة ، لا تعلمه ليقاوم دوافع الغريزة الوقتية . فانه لا يتوصل الى اهلية
الاجماع على امر واحد ، في حين انه مهتم في شيء آخر ، او لمقاومة
الملذات ، وسوف يسبب تعباً ، يتدخل في العمل التالي . ان تقوية متطلبات
الارادة اذ تكون شيئاً ما مزيحاً دقيقاً من الحرية والنظام ، وهي مدمرة
بواسطة زيادة اي من كل منها .

فما هو هام كفرض الحدود على مقدار النظام المرغوب ، هو ان جميع
التدريب يجب ان يحوز على التعاون مع ارادة الطفل ، مع التحفظ امام
الميل العابرة . ان كل طفل يكون محاطاً من قبل اصدقاء راشدين
يكون مدركاً في النهاية ، لوفرة الارشادات الحسنة من قبل اولئك الذين
يثق بهم ليكونوا حقيقة مهتمين بمصالحه ، وليس فقط لمجرد راحتهم
ونفوذهم

الرياضيون يعرضون انفسهم للنظام كأمر عادي ، والشباب الذين
يرغبون بالحصول على انجازات الذكاء هي رغبة عظيمة بمعدل رغبة

الرياضيين من اجل النجاح في حقلمهم . وسيكونون على استعداد تماماً ليعرضوا انفسهم للنظام الضروري ، ولكن في محيط حيث يفكر الجميع النظام انه شر . انه لا يظهر للشباب ان الاستسلام الاختياري من هذا النوع يكون ضرورياً لأجل جميع انواع النجاح . ان النجاح الصعب كفكرة يجب ان يكون حاضراً لأفكار الشباب اذا كانوا على غير استعداد ليصبحوا عصاة وعديمي الجدوى . ولكن هناك قلة ستظهر لهم في محيط حيث تكون الحرية مطلقة .

ان استعمال السلطة ، كمقابل للاقناع ، بإمكانها ان تخفض تقريباً الى لا شيء ، حيث ان النوع المستقيم من البالغين لا يكون مسؤولاً عن عدد كبير من الاطفال . خذ على سبيل المثال مثل هذا الامر في المعاملة الحسنة . اني لا أفكر ان حكم القاعدة او العقاب بإمكانه ان يفعل شيئاً يجلب اوضاعاً حسنة في ان يمنع اعمال القساوة . ان الوضع الحسن يتطلب من الوجهة الاولى سعادة غريزية . ومن الجهة الاخرى ، مثال السلوك الحسن من جانب الراشدين . ومجرد تعليم اللطف كقاعدة سلوكية هو تماماً عديم الجدوى برأيي .

انه من الامة بمكان حين يكون النظام سائداً ، ان لا يشمل اكثر من اقل قسط ممكن من الكبح العاطفي للطفل الذي يشعر بنفسه انه مغلوب على امره في اي امر هام وانه كفؤ ليطور مختلف الصفات غير المرغوبة ، والتي بطبيعتها سوف تعتمد على قوة سلوكه . فاذا كان قوياً فانه سيصبح عاصياً غاضباً . وفي حين كونه ضعيفاً سيصبح مدعياً ثرثاراً . فالنظام اذاً ، في حين انه لا يمكن فقدانه كلياً ، يجب ان يخفض لدرجة يكون متفقاً معها مع تدريب الناس الطيبين الاكفاء .

ان مسألة الارشادات هي الجزء الرئيسي لجميع المشكلة . لقد اقتضت الخبرة نوعاً ما لدرجة استغرابي انه ممكن اعطاء ارشادات كافية ، يكون من حصيلتها تربية المخلوقات البشرية ، بدون فرض اي التزامات تكون حاضرة في وقت الدرس . والعمل هذا يتطلب توحيد الظروف ، التي ليست حالياً ممكنة على نطاق واسع . انها تتطلب ضمن الراشدين واقعية واهتماماً فعالاً في ملاحقة الذكاء . وكذلك تتطلب صفوفاً صغيرة ، وعطفاً وحذاقة ومهارة في الاستاذ . وتتطلب محيطاً تكون به ممكنة لصرف الطفل خارج الصف وتجبره ان يذهب ليلعب ، واذا رغب ان يكون في الصف بمفرده بقصد إثارة اضطراب فانها ستأخذ وقتاً طويلاً قبل ان يكون بالامكان ادراك هذه الاحوال في المدارس العادية . وعندها والى الوقت الحاضر ، من المحتمل ان يكون الاصغاء الاجباري في الصف ضرورياً في الأغلبية العظمى من الحالات .

هناك بعض الذين يجادلون ، انه اذا ترك الطفل سوف يعلم نفسه ليقراً ويكتب وسواها من رغبة حيث لا تكون اقل من جيرانه . ولذلك يسبب فقدان الارغام في الغالب تأخير سنة او سنتين في الحصول على العلم . وأظن ان هذا الوضع بدون ادراك اتكالي . ففي عام يكون كل طفل فيه يتعلم ليقراً ويكتب ، فانه من المحتمل ان اي طفل موهوب سوف يرغب في التهرب من فكرة الفشل التي تكون صادرة عن الجهل . ولكن في عالم يتهرب به الاطفال من الارغام ، سوف لا يكون هناك مناسبة لفكرة الفشل هذه . وكل جيل سيكون نوعاً ما اكثر جهلاً من أسلافه . ان القليل من الاطفال عندما ميول طبيعية ليتعلموا جدول الضرب ، في حين ان جيرانهم ملزمون ليتعلموه . ومن المحتمل جداً ان

يشعروا انه يتوجب عليهم ان يتعلموه ايضاً ، ولكن في مجتمع لا يكون أي طفل قد أرغم ليتعلمه ، من الممكن بعد وقت ليس بطويل ، ان تعرف قلة فقط من المعلمين المتعبين ماذا تكون التسعة ست مرات .

إن الحصول على معرفة متينة يكون ساراً لجميع الاطفال : فاذا عاشوا في مزرعة فانهم سيقابون اعمال المزارعين ويتمكنون من أن يعرفوا كل شيء عنهم . ولكن المعرفة المجردة محبوبة من قبل قلة نادرة . ومع ذلك هي معرفة مجردة يمكنها أن تجعل مجتمعاً متحضراً ممكناً . ان الاحتفاظ بالمجتمع المتحضر يتطلب اذا بعض الاساليب لجعل الاطفال يسلكون سلوكاً غير طبيعي بالنسبة لهم . ومن المحتمل أن يكون ممكناً استبدال الإقناع بالارغام ، ولكن ليس ممكناً ترك الأمر لعمليات الطبيعة غير المساعدة . ان فكرة التربية هي مجرد تقديم الفرص للنمو الطبيعي . ولا اظن انها احدى العوامل التي يمكن التمسك بها من قبل شخص يدرك تعقيدات المجتمعات الحديثة . انها طبعاً ممكنة القول ان هذه التعقيدات مأسوف عليها وانه سيكون مستحسن العودة الى اسلوب اسهل للحياة . ولكن لسوء الحظ ، التقدم في مثل هذه العودة سوف يشمل الموت من المجاعة لنسبة كبيرة من السكان . وهذا النقيض هو مزعج لدرجة حيث اننا عملياً مدينون بجميع هذا الوضع المعقد للعالم الصناعي الحديث . وكوننا هكذا مدينين فاننا ملزمون ايضاً للملاءمة اطفالنا ليساهموا في تنفيذه . ان النظرية السلبية للتربية عندها العديد من العناصر الهامة للحقيقة . وانها منتشرة على نطاق شاسع ، طالما ان الشعور له شأن لا يمكن قبوله في كليتها فيما يخص الذكاء والتدريب التكنيكي . حيث ان هذه لها علاقة وضع اكثر واقعية مطلوبة .

..... التربية والوراثة

إن خلق النبات المتفتح او الحيوان ينتج من تفاعل المحيط والنبات او الحيوان منذ لحظة الإخصاب وفيما بعدها . لقد جربت ان اقدم هذه الحجة بدون تلوين وجدال بقدر الامكان ، لأن اي شيء اكثر تحديداً ، يكون امر نقاش انت دور الوراثة والمحيط في تشكيل سلوك الانسان هو بالغ القدر من قبل السلطات المختلفة . هناك فيما بين رجال العلم ميل طبيعي للوراثة يركز عليه من قبل علماء التطور ، في حين ان المحيط يركز عليه من قبل علماء السلالة . ومهما يكن ، هناك خط آخر للشق في هذا السؤال ليس علمياً ولكنه سياسي . ان المحافظين والأمبرياليين يضعون ارتكازهم على الوراثة ، ذلك لأنهم ينتمون الى العنصر الأبيض ، ولكنهم نوعاً ما غير متعلمين . وان المتطرفين يركزون اهتمامهم على التربية لأنها علمياً ديمقراطية ، ولأنها تقدم اسباباً لتجاهل فوارق الكون . ان هذا الشق السيامي على الاجمال ، يسيطر على عالم التناسليات والعالم النفساني . ومع ان هوغبن Hogben عالم سلالات ، يجد القليل ليقول في صالح علم سلالة الانسان . في حين ان علماء النفس الحكوميين امثال جودارد Goddard

وتيرمان Terman اهتموا في التركيز على الوراثة . وأكد الأميركيون من نفس المدرسة دائماً بصمت تفوق النوردكس Nordics ، في حين ان اشد المحافظين فيما بينهم كانوا مرغين ان يعترفوا ان سكان الجبال في شمال كارولينا Carolina وكينتيكي Kentucky والذين هم من اصل انكليزي واسكتلندي خالص ، على اقل تعديل ، عندهم بالنسبة اقل نصيب من الذكاء عما وجد فيما بين المهاجرين اليهود .

ان هناك فاصلاً كبيراً من الجدل ، فدعونا قبل كل شيء نقيم بعض نقاط حدود لا يشك فيها . ان أشد المتحمسين من المعتقدين في التعليم لا ينكرون ان اطفال الخلوقات البشرية هم بشر وأكثر قابلية للعلم من الحيوانات ، انهم لا يتساءلون عن مثل هذه الحقائق الواضحة ، وكيف ان اطفال البيض هم بيض فيما اطفال الناس من اللون الأسود هم من لون اسود . وبالعكس ، ان المعتقدين بمذهب الوراثة لا ينكرون ان طفلاً موعوداً يمكن ان يتلف من قبل التهاب الدماغ السباتي او انه أمر سيء من أجل ذكاء الطفل ان تعطيه مخدراً منذ الطفولة ، كما ان العديد من الأمهات الجاهلات يفعلن هكذا . مثل هذه النقاط من التوافق لا تأخذنا ، مهما كانت ، بعيداً جداً .

عندما يبحث الأمر علمياً فان الصعوبة تنبع من حقيقة ان الآباء الذين ينقلون عناصر الوراثة هم ايضاً جزء هام جداً من المحيط . لهذا السبب يجب ان يقدم للأطفال في مأوى الايتام مواد جيدة . ولكن لسوء الحظ ، ان المعلومات المتوفرة فيما يخص اباؤهم من شأنها ان تكون غير مكتملة لدرجة ان دراسة التوأمين المتشابهين تكون عادة لأن بينها

تشابه قريب في محيطهم . يؤمل ان أحد مليونيرية العلماء سيخطط حالاً لفصل التوأمين المتشابهين في الولادة ، ويفشئهم في ظروف متباعدة مختلفة . اني لا اعتقد اذا وضعت ملكة توأمين متشابهين ونشأ احدهما في القصر والآخر في مكان قذر أن التشابه العقلي فيما بينهما سيكون متقارباً في سن العشرين ، ولكن مع فقدان الخبرة عليّ ان اعترف بأن رأيي هو نادر ما يكون علمياً . لقد كان يعتقد سابقاً انه كان هناك صفات سلوك للأمرء تعتمد على الدم الملكي .

وقص هيرودوتس Herodotus ان سيروس بعد ان تربى كزراع منذ الولادة لغاية سن الثانية عشرة ، تعرّف عليه اجداده ، وذلك نظراً لسلوكه الملكي . وأني أشك ، مها يكن الأمر ، فيما اذا كان حق المعتقدون لدرجة بالغة في سمو النوردك Nordic سوف يعتبرون هذه القصة حقيقة .

ان قوة التعليم كان مبالغاً بها تماماً بمعدل المبالغة في قوة الوراثة . وعلى ما يظهر ان الدكتور جون ب. وطسون يعتقد ان اي طفل بواسطة تربية مناسبة بإمكانه ان يتحول الى موزارت او نيوتن . ولكن لسوء الحظ ، لم يعلننا بعد اي نوع من التعليم يجب ان يكون هذا . ففي اعتقاده ان مقدرة التربية ليست بأي وسيلة مبدعة . وعلى سبيل المثال فان كودوين Godwin مؤلف العدل السياسي ووالد زوجة شيلى ، نجد اراءه في هذا الموضوع (*) غير مؤكدة : « انها ليست غير محتملة

(*) راجع الجريمة ازاء القضاء في الانكليزية ترجمة السيدة ج. ب. س. هالدين .

اذ وجد ان طاقة التجديف لرجل حكيم تكون اعظم من طاقة رجل أبله ، وعلى ان هذا التضخم يجب ان يكون ناتجاً بواسطة العمل المستمر لطاقات الذكاء ، خاصة اذا استجمعنا كيف ان المواد سهلة الانحناء ، فان تجديف الأحداث يكون اجماعياً ، ولم يكون مبكراً من العمر على الاشخاص الاذكياء الحاذقين حيث يتوصلون لبعض اجزاء من صفات سلوكهم للمستقبل .

إن الفوارق الضرورية التي يجب ان توجد فيما بين شخص وآخر تتكون من الدراية التي يشكلونها والظروف التي تسيطر عليهم . وانها من غير الممكن الاعتقاد أن نفس التدريب السلوكي من شأنه ان لا يعمل تقريباً نفس الانسان .

دعنا نفترض مخلوقاً سمع جميع الجدل ، وكان عرضة لجميع المثيرات التي وجهت لأي سلوك محتقر به ، فان نفس الجدل مع جميع قوته ، وجميع ضعفه غير مرفق بأقل زيادة او اختلاف ، اعيد وضعه تماماً في نفس المقاطع من شهر الى شهر ، ومن سنة الى سنة ، فأكيد يكون قد انتج نفس الآراء ، ونفس المثيرات بدون اي تحفظ سواء مباشرة او عرضاً ويكون قد ركز نفس الميول . ومهما كان العلم وما يتبعه مختاراً بواسطة هذا الخلق المعروف ، يجب أن يجب من قبل الشخص الذي يحترمه والذي نفترض فيه هذا التعريف من الانطباعات . فمحسراً ، انه الانطباع الذي يحمل الانسان والمقارنة مع سلطان الانطباع تكون فوارق هيكل الحيوان غير واضحة وهامة وضعيفة . « استبدل » الاحوال الالزامية « بالآراء » ، و « الآثار » ، « بالجدال » ، يكون عندك المخرج الذي (عدا ما ينخص الشكل) يمكن انه كتب من قبل الدكتور وطسون .

وضد هذا الرأي عن مقدرة التربية ، هنالك الكثير من النقاش .
 فرأي كودوين هو ان عادة التفكير توسع الجمجمة ، وانها احدى الآراء
 التي لن يبحثها اي حديث ، إلا في الاحوال البالغة . ان الحماقة تكون
 غالباً مرتبطة بتركيب خطأ منذ الولادة للجمجمة ، وانا اتخيل ان حتى
 الدكتور وطسون سوف لا يعتبر الحماقة كأنها عائدة لتربية سيئة . فان
 قضية درجة النقص العقلي هي فقط درجة واحدة اقل وضوحاً . وفي
 الدرجة البالغة الاخرى ، خذ مثلاً الاولاد الاذكياء (*) : فانه من غير
 الممكن أن تتصور اي شيء في المحيطات التي بإمكانها أن تسبب واحداً
 من قائمة اخوة ليكون قادراً أن يأخذ جذوراً متينة لاعداد ضخمة في
 رأسه ، بدون أي تدريب زائد في الحساب عما ينطبق على الجميع من
 معدل الولد . فاذا كان مما يسلم به ان الولد الأبله ، والولد الذكي هما
 مختلفان في الولادة عن الولد العادي ، فانها تظهر غير محتملة لدرجة انه
 ليس هناك آخرون مختلفون لحد ما في اختلاف الولادة ، في حين انها
 خطيرة لتنتج بانطباعات غير علمية . اعتقد انه يجب أن يسمح بنسبة
 بعض الأمر الى خبرة المدرسين العملية ، ولا واحد منهم لدرجة ما
 تمكنت من اكتشافه ، يوجد عنده اي شك في ان هناك فوارق ، عائدة
 الى الوراثة بين تلاميذهم . ولكن باعتبار ان جزءاً من فوارق الذكاء فيما
 بين شخص راشد وآخر تكون بالولادة برأيي هو اكيد تقريباً .

هناك عند كل من كودوين ودكتور جون. ب. وطسون نقاش ،
 يدعوان به لبرهننا عن نظرياتهما . والنقاش هو ان مخلوقات البشرية ليس

* لاجل روايتهم باختصار ، انظر هولنفورث ، « الاطفال الموهوبون » ، الصفحات

عندها غرائز طبيعية ، وان عقل الطفل ليس له سلوك مستقل من الخبرة .
ويمكن ان يجيب واحد على الدكتور وطسون من خلال نقاش مع السلطة .
ان بافلوف يؤكد على كلابه لتعلم عن الاربعة انواع من الصفات المحصاة
من قبل هيبوكريثس Hippocrates ، وتعاني من انواع مختلفة من الاضطراب
العصبي طبقاً للنوع الذي تنتمي اليه . ولعل الدكتور وطسون يجيب ان
هذه الفوارق في الطباع يمكن ان تسبب بواسطة الظروف التي لم يكن
بافلوف يدركها ، وان جميع الكلاب تخلق متساوية . فاذن يتوجب علينا
مقابلة هذا النقاش النظري .

دعنا نسلم به من اجل النقاش في ان العوامل المطلقة (والتي حلت
مكان الغرائز) هي نفس الشيء في جميع الاطفال المولودين حديثاً . هل
يتبع انه لا يمكن ان يكون هناك اي فوارق عقلية في الولادة ؟ مؤكداً
لا . خذ تعليم الانعكاسات المشروطة بعضهم يتعلم أكثر سرعة من الآخرين ،
وبعضهم يتعلم اكثر فعالية ليفرق فيما بين التشابهات التي تتفرق قليلاً
فقط . حتى اذا سلمنا ان جميع التربية تحتوي في تشكيل الانعكاس
المشروط ، والذي هو وضع مختلف عليه ، فانها لا تزال لا تتبع ان
جميع الأطفال هم بالتساوي قابلون للعلم . ان الوضع بالنسبة الى اقصى
النقاش عن التربية هو انها ضد الوراثة ، ولا يكون عندها اساس احسن
في نظري عما في المراقبة العملية .

ولكن مع ذلك ، فان اهمية الفوارق في الولادة فيما بين المخلوقات
البشرية لا يمكن انكاره . فان الأدلة العملية المرسومة من قبل علماء
التناسليات في قسمها الاكبر غير علمية . ولا احد يعرف ما هي العوامل
الدافعة للصفات الاجتماعية المرغوبة . ولا واحد من مثل هذه العوامل

سائد تماماً او منتشر . حتى انه لا يوجد هناك اي اتفاق حول ما هو اجتماعي مرغوب به .

من نظرة محدودة جداً ، انا ميال للتفكير ان هناك بعض التقارب فيما بين الامتياز في فن التصوير وعدم الكفاءة في الحساب ، وأحسب ان هذا هو الحال . فماذا يتوجب على علماء التناسليات ان يفعلوا بشأنه ؟ هل يتوجب عليهم تقديم سباق للرسمين ، والذين ليس بإمكانهم ان يعملوا حسابات ، او سباقاً للمحاسبين الذين لا يهمهم الفن ؟ ان فحوص الذكاء المعترف بها ليست بدون قيمة في مناطقها الخاصة ، ولكن لا يعمل شيء لفحص صفات السلوك او الفن . ولا تقصّي الحقائق ، ولا الأسس العلمية ، التي هي ضمانة كافية لأي مقياس من علم التناسليات العملي ، عدا انه يمكن تعميق ضعفاء العقول . وأن التقديرات التالية غير مضمونة .

ان الزوج السود هم في الولادة أخط من الناس البيض .

وإن الاشخاص المولودين في آسيا هم أخط من اولئك المولودين في أوروبا واميركا .

وإن الأوروبيين المولودين على خط عرض ٥٥ هم في الولادة أسوأ من اولئك المولودين جنوب ذاك الخط .

كما ان الاشخاص الذين دخل آباءهم ألف جنيه في السنة هم من معدن احسن من اولئك الذين عند آباءهم دخل اقل .

جميع هذه الافتراضات هي مصدقة من قبل أغلب علماء التناسليات ، والثلاثة الأوائل قد أثروا على قوانين هجرة الولايات المتحدة .

فاذا كان موضوع وراثـة الكفاءة يعالج علمياً ، فانه سيكون هناك حاجة الى كمية وافرة من العمل الأولي . كما سيكون هناك قبل كل شيء ، الحاجة لاكتشاف الصفات العقلية التي يمكن تقديرها والتي لا تعتمد على التعليم . ان فحوص الذكاء المقصود منها لتقوم بهذا تقدم في احسن وجه ضمن محيط اجتماعي متناسب . توجد اسئلة عن النقود ، على سبيل المثال ، سيجاب عليها باستعداد اكثر من قبل اطفال المدن مما هو من قبل اطفال الارياف . هناك اسئلة تتطلب ترنيماً لكلمات معينة تكون اسهل لأطفال تثقفوا في الشعر مما لسواهم . فحالمـا تطبق فحوص الذكاء في المقارنة بين الاطفال مع اختلاف شاسع في منطلقهم ، فانهم يصبحون ضائعين تماماً ، في حين يمثل هذه المطابقات نرى الكثير من المعتقدين بالوراثة ضد البيئة يستحصلون على نتائجهم .

وطالما ان الاطفال يعيشون مع آبائهم ، فانه من غير الممكن ان تفرق الوراثة والعوامل التربوية في اي تشابه عقلي يمكن ان يكون سائداً . فاذا كان جميع السكان عرضة لفحص الذكاء ، فان المواد القيمة ستكون مع الوقت من مأوى الايتام . واذا وجد انه في اي مأوى كان هناك تقارب فيما بين ذكاء الاطفال وذكاء آبائهم فان ذلك سيكون دليلاً جيداً للوراثة . ولكن حالياً مثل هذا الدليل لا يزال بحاجة لبحث .

وفي البحث عن قوانين الوراثة العقلية ، فان الصفة المختارة يجب ان تكون بسيطة ، محدودة ويمكن تقديرها . فمثلاً ، يمكن ان يلفظ شخص جملة ، ويفضل ان تكون غير معقولة ويطلب ان يعيدها الطفل . فان عدد الكلمات في اطول جملة والتي بإمكان الطفل ان يعيدها بالضبط ستقيس نوعية العقل ، في حين انه ليس ضرورياً ان تكون جملة مرغوبة .

وكما يعرف مكالوي Macaulay ، كل شخص حائز على هذه النوعية لدرجة بالغة جداً ، ولكن لا يوجد لسوء الحظ ، اي دليل فيما اذا كان والده او والدته حائزين عليها . فاذا كان جميع الطلاب قد فحسوا في هذا الشأن في كل عيد ميلاد طيلة سنوات دراستهم ، من المحتمل ضمن اربعين سنة التوصل الى مواد ذات قيمة معتبرة فيما يخص الوراثة العقلية . مثل هذه الأساليب الاحصائية مهما كانت سوف لا ترضي أتباع المندلية Mendelian الذين يرغبون في حصر الخلية الخاصة او فئة الخلايا المختصة في اي مثال للوراثة . النوعية العقلية معقدة لدرجة بحيث يظهر هذا لوقت طويل ليصبح عملاً بدون أمل . انها ممكنة مهما كان في ان بعض النوعيات العقلية من المحتمل ان تكون اكثر قدرة على الانفراد مما هو الحال بالنسبة لأغلب الآخرين . ان الطاقة الحسابية والموسيقية كلاهما يفترض نفسه كناسب في هذا الشأن . وكلاهما نادر احصائياً ، ولكن حيث ما يكونان سائدين فيها عرضة ليكونا لحد يزيد على المعدل . كلاهما يظهر سارياً في العائلات ، ولكن من غير الممكن ان نعرف لأي مدى هذا عائد للتعليم . وعلى سبيل المثال ، كان موزارت عنده والد موسيقي ، ولكن والده اقتبس التعليمات الموسيقية وكذلك الكفاءة الموسيقية . ولدرجة ما اعرف ، لم يسبق موسيقار عظيم او محاسب عبقرى قد خرج من مأوى الأيتام . وهكذا فان هذا الأسلوب لفحص الوراثة أفضلنا .

ان عمل كالتون Galton وأتباعه في تخطيطهم ليرهنوا ان الكفاءة موروثية ، وانها بعيدة عن الاقناع العلمي ، هي ممكنة في ان هناك بعض الحقيقة في نظرياتهم . ولكن لغاية ان تكون الأساليب قد خططت لإقصاء تأثير البيئة الأبوية ، فان جميع الموضوع يجب ان يبقى مفتوحاً للشك .

إن نتيجة الأمر من الموقف العملي هو بسيط ، انه متوقع
ان يكون هناك فوارق للكفاءة بين الطلاب ، والتي لا يمكن
اكتشافها بالنسبة لتأثير البيئة . فهنا تكون صفات الولادة المكتشفة ،
يجب ان تنمى ، واذا كانت بالحقيقة ملحوظة ، يجب ان يسمح بها من عمر
مبكر لتأخذ وقتاً يجب أن يمنح للتربية العامة على أية حال . ولكن لا
شيء يجب ان يقدر سواء من اجل او ضد ذكاء طالب او فئة من
الطلاب على حساب العنصر او الوضع الاجتماعي او الجهود الشخصية
لآبائهم . هناك متسع للتحقق فيما يتعلق بوراثة الكفاءة ، ومن السهل ان
تخطط اساليب يمكن بواسطتها دراسة الأمر علمياً . ولكن اذا مثل هذه
الاساليب كانت قد اختيرت ، فانه سيكون من الضروري على اقل تعديل
قبل جيل ، حيث يصبح بإمكانها ان تثمر . وفي نفس الوقت فان الوضع
السليم علمياً هو ان نعترف بجهلنا فيما يتعلق بتوزيع كفاءة الأهالي
وقوانين وراثتها .



..... العَاطِفَةُ وَالنِّظَام

كان للتربية في جميع الاوقات هدف مضاعف وهو الارشاد والتدريب على السلوك الحسن . ومفهوم السلوك الحسن يختلف في المؤسسات السياسية والتقاليد الاجتماعية للمجتمع . ففي القرون الوسطى ، عندما كان هناك نظام طبقي يرقى من العبد تدريجياً لغاية الآلة ، كانت الفضيلة الرئيسية هي الطاعة . وكان الاطفال يتعلمون ليطيعوا آباءهم وليحترموا من هم أعلى منهم اجتماعياً ، وليشعروا بالرهبة في حضور الكاهن ، والخضوع في حضور سيد الولاية . ولم يكن حراً غير الامبراطور والبابا . وهكذا فان قواعد السلوك لم تقدم اي دليل للرجال الاحرار ، فانهم قضوا وقتهم في محاربة بعضهم البعض ، وحيث ان الرجال الحديثين يختلفون عن رجال القرن الثالث عشر في كل من الهدف والاسلوب . فالديمقراطية حلت مكان التعاون للرضوخ والشعور الاجماعي للاحترام ، والفئة فيما يخص الشعور الاجماعي والتي هي الاكثر فعالية قد اصبحت الأمة ، التي كانت سابقاً تحسب بدون اهتمام بواسطة عالمة الكنيسة . وبنفس الوقت ، اصبحت الدعاية مغرية اكثر مما هي بالقوة ، وقد تعلمت لتسير بواسطة تركيز

مزيج مناسب في الشباب المبكر . موسيقى الكنيسة ، أغاني المدرسة ،
وتحمية العلم بواسطة تأثيرها على الولد . والاجراءات الناتجة للانسان في
لحظات الانفعال القوي وضد هذه التأثيرات ، كانت وثبة العقل تتمتع
بنفوذ قليل .

ان تأثير الافكار السياسية في التربية الباكرة ليست دائماً واضحة ،
وغالباً تكون بدون ادراك من جانب المدرس . فحالياً ارغب ان ابحث
التربية في السلوك ، باعتبار قليل بقدر الامكان للنظام الاجتماعي الذي
سأعود اليه في دور لاحق .

عندما يُبحث لانتاج نوع معين من السلوك في طفل او حيوان ،
هناك اسلوبان مختلفان يمكن اتباعهما . بإمكاننا من جهة واحدة ، بواسطة
وسائل المكافآت والعقاص ، ان ندفع الطفل او الحيوان ليقوم او يحجم
عن افعال معينة دقيقة . او بإمكاننا من الجهة الثانية ، ان نبعث لنخلق
في الطفل او الحيوان مثل هذا الشعور الذي من شأنه ان يوصل على
وجه العموم لأعمال من النوع المرغوب .

وبواسطة توزيع مناسب للمكافآت والعقاص فانه سيكون ممكناً
الاشراف على قسم كبير جداً من السلوك الظاهر .

عادة ، الشكل الوحيد للمكافأة او العقاص يكون الامتداح او اللوم .
وبهذا الاسلوب بإمكان الاولاد الذين هم طبيعياً جبناء الحصول على
شجاعة صحيحة . والأطفال الذين هم حساسون للألم بإمكانهم ان يتعلموا
عدم المبالاة . واذا لم يفرض السلوك الجيد مبكراً ، بالامكان تعلمه في
سن الرشد بوسائل عقاص ليست أسوأ من دفع حاجب العين . وما

يدعى شكلاً جيداً ، يستحصل عليه من قبل اغلب الذين هم عرضة له ، بمجرد الخوف من الفكرة السيئة الصادرة من التوعد بها . اولئك الذين تعلموا في عمر مبكر ان يخشوا غضب فئتهم كأسوأ تعاسة ، سوف يموتون في ساحة المعركة في حرب . والذين لا يفهمون عنه اي شيء اكثر من ان يعانون احتقار المجانين . ان المدارس الانكليزية العامة قامت بتنفيذ هذا الاسلوب لدرجة الكمال ، وعممت الذكاء على نطاق واسع بواسطة جعله خفيفاً امام الجمهور . وهذا يجعل الولد شجاعاً . وكقوة اجتماعية ، فان اسلوب السلوكيين للملاءمة يكون اذاً قوياً جداً وناجحاً جداً . بالامكان جعل الرجال يتصرفون بطرق مختلفة تماماً عن تلك التي كانوا يتصرفون بها خلاف ذلك ، وهي قادرة على انتاج وضع مؤثر من السلوك الواضح . ومهما يكن فان لها حدودها .

لقد كانت بواسطة فرويد في ان هذه الحدود عرفت اولاً في اسلوب علمي ، في حين اقنع رجال علم النفس منذ وقت طويل في اسلوب اغرائي . ومن اجل اهدافنا ، فان الاكتشاف الضروري للتحليل النفسي هو كهذا : ان الغريزة منعت من قبل اساليب علماء النفس من ايجاد تعبير واضح في الفعل ليس من الضروري ان تموت ، ولكنها تساق تحت الأرض وتجد مخرجاً جديداً لم يكن قد منع بواسطة التدريب . وغالباً سيكون المخرج الجديد اكثر ضرراً واستهلاكاً غير مفيد للنشاط . انها اذاً ضرورية لتعطي انتباهها اكثر للشعور كما تمنع للسلوك الظاهر عما يعمل من قبل اولئك الذين يشرحون الاوضاع كأن ذلك وحده كافياً في تدريب الاخلاق .

هنالك بالاضافة ، بعض العادات غير المرغوبة . والتي بخصوصها يكون

اسلوب المكافأة والقصاص فاشلاً تماماً حتى من وجهة نظرها الخاصة .
واحدة منها قبيليل الفراش . فعندما يستمر هذا بعد العمر الذي يتوقف
به عادة القصاص يجعلها اكثر عناداً . مع العلم ان هذه الحقيقة كانت
معروفة منذ زمن بعيد لعلماء النفس ، فانها لا تزال غير معروفة من
قبل اغلب اساتذة المدارس ، والذين يقاصصون الاطفال لسنوات في
النهاية ، لوجود هذه العادة عندهم بدون ان يلاحظوا ان القصاص لا ينتج
الرجوع عنها . ان سبب هذه العادة في الاولاد الأكبر سناً يكون عادة
اضطراباً عميق الجذور نفسياً ، الذي يجب أن يظهر للعيان قبل اعطاء
أي علاج .

ان نوع التركيب النفسي ينطبق على أمثلة أقل وضوحاً . ففي حالة
الاضطراب العصبي الواضح فان هذه الآن معترف بها على نطاق واسع .
فغريزة السرقة على سبيل المثال ليست غير مألوقة في الاطفال وليست
مشابهة للسرقة العادية ، ولا يمكن معالجتها بواسطة القصاص . لكن فقط
في ايجاد دوافعها وازالة مسببها النفسي . وما هو أقل اعترافاً هو ذلك
الذي نعانیه جميعاً لدرجة أعظم او أقل من الاضطراب العصبي ، وله
اساس ادراكي . يدعى الانسان بالعاقل عندما يكون عاقل بمستوى
اقرانه ، ولكن في الرجل العادي ، الكثير من التركيبات التي تقرر
افكاره ، وأعماله هي غريبة جداً لدرجة بالغة ، بحيث في عالم حقيقي
عاقل سوف يدعون غير عقلاء . انها خطيرة في انتاج سلوك اجتماعي
جيد بواسطة وسائل ستترك الشعور غير الاجتماعي بدون أن يس .
فطالما ان هذا هو الشعور ، بينما هي مستمرة ينكر عليها كل مخرج ،
فانها ستتمو اقوى فأقوى ، وتقود الى ميول الظلم التي ستصبح في النهاية

لا تقاوم . ففي الرجل ضعيف الارادة ، يمكن أن تنفجر هذه الميول الى اجرام . او في شكل للسلوك الذي تلحق به العقوبات الاجتماعية . انها في الرجل قوي الارادة ستأخذ اشكالا غير مرغوبة . من الممكن أن يكون طاغية في البيت ، مهمل في الاعمال ، مشاغبا في السياسة ، مضرا في تصرفاته الاجتماعية . من اجل جميع هذه الصفات ، سوف يعجب به الرجال الآخرون بنفس العطل الاخلاقي ، وسوف يموت محترما عالميا بعد أن يكون قد نشر الكراهية والمآسي في المدينة او الأمة او التاريخ وفقا لمقدرته والفرص السانحة له . ان السلوك الصحيح المرتبط بالشعور السيئ ليس كافيا اذن لجعل الانسان مساهما في سعادة الجنس البشري . فاذا كان هذا هو حكمنا بالنسبة للسلوك المرغوب ، فشيء ما اكثر يجب أن يبحث عنه في تربية الاخلاق .

مثل هذه الاعتبارات ، وكما تقترح ايضا المراقبة العاطفية للاطفال على أن اساليب علماء النفس لتدريب الاخلاق ليست كافية وتحتاج لأن تدعم بواسطة اساليب مختلفة تماما .

تظهر الخبرة في الاطفال انها ممكنة للعمل حسب الشعور ، وليس فقط على السلوك باتجاه خارجي بواسطة اعطاء الخبرة في الاطفال بيئة يصبح بها الشعور المرغوب مألوفاً ، والشعور غير المرغوب يصبح نادراً . بعض الاطفال (وبعض الراشدين) هم في اوضاع مرحلة ، وان الآخرين يكونون حائزين . وبعضهم يكون قانعا بسهولة بأي سرور يقدم ، بينما يكون الآخرون غير قانعين ما لم يحصلوا على السرور الخاص الذي تركزت قلوبهم عليه . وبعضهم في حالة فقدان الدليل يعتبرون مجموع المخلوقات البشرية بثقة صداقة بينما يعتبر الآخرون اغلب الناس باشتباه

مزعج ، ان الصفة الشعورية السائدة للطفل عامة تبقى مثل شعور الراشد في حين انه في الحياة الاخيرة ، تعلم الناس ليخفوا خجلهم وكراهيتهم بواسطة التظاهر بأعظم او أقل فعالية . انها اذن هامة جداً في أن الاطفال يجب أن يكون عندهم بتفوق هذه الصفات الشعورية ، والتي تكون في الطفولة ، وبعدها سوف تجعلهم سعداء ناجحين ومفيدة اكثر من تلك التي تقود الى التعاسة والفشل والحقد . فلا يوجد هنالك شك انها ضمن نفوذ البسيكولوجية لتقرر نوع البيئة التي تنمي الشعور المرغوب ، وبامكان عواطف الاذكاء بدون علم أن تصل غالباً الى النتيجة الصحيحة . فعندما يستعمل هذا الاسلوب بصواب ، فان تأثيره على الاخلاق يكون اكثر مراقبة ومرضياً تماماً لدرجة بالغة عن التأثير الذي يحصل عليه بواسطة المكافآت والعقاص .

ان البيئة الشعورية المناسبة للطفل هي أمر دقيق ، وطبعاً تختلف بالنسبة لعمر الطفل طيلة عهد الطفولة . مع العلم انه باستمرار بامتداد أخف ، هناك حاجة لشعور الأمن . ولهذا القصد ، فان اللطف والروتين الساريين هما ضروريان . ان العلاقة مع الراشدين يجب ان تكون علاقة لعب وراحة طبيعية ، ولكن يجب ان تكون للقبل العاطفية وان يكون هناك تعارف قريب مع الاطفال الآخرين . وفوق الجميع ان تكون هناك فرصة للمبادأة في الانشاء والتنقيب ، وفي العلم والاتجاهات الفنية . ان الطفل عنده حاجتان معاكستان : الأمن والحرية ، والاخيرة تنمو تدريجياً على حساب السابقة . ان العواطف التي تمنح من قبل الراشدين يجب ان تكون هكذا لتسبب شعور الأمن ، ولكن ليس هكذا كي تحدد الحرية او لتبعث شعور تجاوب عميق في الطفل .

اللعب الذي هو حاجة حيوية لعهد الطفولة يجب ان يساهم فيه ليس فقط من قبل الاطفال الآخرين ، ولكن ايضا من قبل الآباء ، وهو ضروري لأحسن العلاقات فيما بين الآباء والأطفال .

ان الحرية من اصعب العوامل ضمانا تحت الظروف السائدة . اني لست مدافعا عن الحرية المطلقة لأسباب بحثت في فصل سابق ، ولكنني مدافع عن اوضاع معينة من الحرية والتي سيجدها اغلب الراشدين غير محتملة . يجب ان لا يكون هناك احترام اجباري للبالغين في العمر والذين عليهم ان يسمحوا لأنفسهم ليدعوا بلهاء عندما يشاء الاطفال ان ينادوهم هكذا . ليس بإمكاننا ان نمنع اطفالنا من التفكير بأننا بلهاء بمجرد منعهم من التفكير . ففي الحقيقة انهم اكثر احتمالا ليفكروا بنا مرضى اذا لم يتجرأوا ان يقولوا هكذا . يجب ان لا يمنع الاطفال من القسم ، ليس لأنه يتوجب عليهم ان يقسموا ، ولكن لأنه مرغوب ان يفكروا في انه لا فرق ان فعلوا اعمالا طالما ان هذا افتراض حقيقي . عليهم ان يكونوا كليا احراراً من عبادة الجنس وأن يقاطعوا عندما تظهر محادثتهم لتعنف الراشدين وتكون غير لائقة . فاذا عبروا عن آرائهم في الدين او السياسة او الاخلاق ، من المحتمل ان يقابلوا بجدال ، شريطة انه جدال حقيقي . لكن ليس اذا كان حقيقة ايمان الراشد بإمكانه ان يقترح اعتبارات لهم ، بل ان يفرض قرارات .

ان اعطاهم مثل هذه الأحوال ، من الممكن ان ينمو الاطفال بدون خوف وسعداء في الاساس ، بدون ضغينة تتأتى من الحرمان او الطلبات المتزايدة ، التي تكون ناتجة بواسطة جو عواطف البيت الزجاجي . فان ذكاهم سيكون غير محدود ووجهة نظرهم للشؤون البشرية سيكون لها

اللفظ الذي يأتي من الرضا .

ان عالماً من المخلوقات البشرية بهذا الجهاز الشعوري سيجعل عملاً قصيراً من نظامنا الاجتماعي مع حروبه وظلمه وعدم عدالته الاقتصادية ورعبه من حرية الكلام ، وحرية التحري وقانونه الاجتماعي الجائر . ان تحمل هذه الشرور تعتمد على ما فيها من الخجل وشعور الحق العائد لفقدان الحرية . ومهما يكن ، فان الدكتور وطسون الذي خفض وجهات نظر السلوك منذ الولادة ، سمح كردة فعل غير علمية للأطفال ، في الغضب بأي تعقيد للأطراف . ان هذه الحاسة الفعالة هي قاعدة حب الحرية . الرجل الذي لسانه معقد بواسطة القوانين او المنع ضد حرية الكلام والذي قلعه معقد من قبل الرقابة ، وحب ملجم بواسطة السلوك الذي يعتبر الحسد شيئاً احسن من العراطف . والذي كانت طفولته سجيناً قوانين السلوك ، وشبابه منغمساً في استقامة صارمة ، سوف يشعر ضد العالم الذي وهبه نفس الغضب الذي يشعر به من قبل طفل ذراعاه ورجلاه مربوطة بدون حركة . ففي غضبه سيعود للدمار ويصبح قائراً ، عسكرياً او كإنسان ضار حسب مقدرته والفرص السانحة له . ان جعل المخلوقات البشرية الذين سوف يخلقون عالماً افضل ، معضلة في البسيكولوجية : هي مشكلة جعل المخلوقات البشرية والذين عندهم ذكاء حر مرتبط بأوضاع طبيعية سارة . وهذا المشكل ليس أسمى من سلطة العلم ، انها الارادة وليست السلطة المفتقر اليها .

..... البيت - المدرسة

انه لرأي ان يكون على الاطفال أن يتقفوا كليا في البيت والذي هو الآن مهمل ، مع العلم انه مشمول في مؤلفات لوك وروسو ، وكان قد اتبع في مجيء الاسكندر وهنريال وجون ستيوارت مل . انها ممكنة في الواقع فقط فيما يخص الاغنياء ، وعلى هذا الاساس وحده لا تحتاج لأي نقاش ابعده . ولكن الافتراضات التي يجب ان تسود فيما بين البيت والمدرسة والعمر الذي به يجب ان يباشر الاطفال بالذهاب للمدرسة هي أمور قانونية للنقاش .

ان وجهة للنظر المختارة من قبل جميع الدول الأوروبية فيما يتعلق بأغلب اطفال اصحاب الدخل المحدود هي انه عليهم ان يذهبوا الى مدرسة نهائية من سن السادسة لغاية سن الثالثة عشرة . ونسبة معينة من الاكفاء من ابناء وبنات الطبقة العاملة يشجعون في المكافآت المدرسية ليتابعوا دراستهم بعد ذلك للعمر . بينما اولاد وبنات الاغنياء يفعلون هكذا كأمر عادي . لا يوجد هناك اي اتفاق فيما يتعلق بالعمر ، اي

لغاية ان يكون مرغوباً بعيداً عن الصعوبات نظراً للمصاريف العامة ليقوم بدراسة جامعية ، وليس هناك اي اتفاق سواء المدارس النهارية او المدارس الداخلية تكون مفضلة في أنفسهم ، تظهر للرأي العام في أن هناك شيئاً ما يدعى « البيت الصالح » والذي يكون أحسن من أي مدرسة داخلية . ولكن بعض النسبة غير المحدودة من البيوت ليست صالحة في الفكرة المقصودة . اني أفكر من جانبي ان المسألة صعبة ، اذ هناك جدال قوي في الجوانب المختلفة . المسألة بالواقع مضاعفة : (١) في اي عمر يجب ان تبتدىء المدرسة ؟ (٢) هل يجب ان تكون مدرسة نهارية او داخلية ؟ دعونا نأخذ هذه المسائل بالنظام .

في أي عمر يجب ان تبتدىء المدرسة ؟ الجواب هو أن يعتمد على البيت ، ولكن نوعاً ما على الطوبغرافي خاصة ، اكثر من سلوكه او أخلاقه العقلية . الطفل الذي يعيش في مزرعة في الريف ، بإمكانه بفائدة وسرور ان يقضي وقته بالتجول من مكان لآخر ، مراقباً الحيوانات ملاحظاً قص الأعشاب ، وجمع الغلة ، ودراسة الحقل والحراث . لغاية ما يحين الوقت عندما تكون ضرورية لبياسر ارشادات واضحة . ولكن بالنسبة للطفل في المدينة ، حيث يعيش والداه في شقة محصورة ، فان المسألة تكون تماماً خلاف ذلك - بالنسبة له المدرسة مرغوبة كمهرب الى الحرية ، حرية الصوت ، وحرية الرفاق . لقد قابلت باستمرار رجال طب مانعوا في مدارس الحضانة لأنهم افترضوا ان كل مدرسة يجب ان تكون مكان للارشاد في دروس محدودة . ان النوع الصالح من مدارس الحضانة سيكون له الكثير من الارشاد كما في الاشراف والتدخل ، حيث على الغالب لا يمكن تجنبها في البيوت الصغيرة .

الأطفال المدينون الذين آباؤهم ليسوا أغنياء عندهم حاجات معينة جسمانياً ونفسياً لا يمكن ارضاؤها في بيوتهم . الاولى من هذه هي النور والهواء . وقد وجدت مرغريت ماكيلان نسبة مثوية كبيرة جداً من الاطفال في مدارس الحضانة مصابين بالكساح عند مجيئهم للمرة الاولى ، وكان شفاؤهم دائماً في وجودهم بالهواء الطلق . والحاجة الثانية هي الغذاء المناسب . إن هذا ليس ثميناً ويمكن تقديمه في البيت ، ولكن عملياً يكون هذا غير ممكن نظراً لنقص المعرفة في طبخ الأغذية . الحاجة الثالثة هي الفسحة ليعارك ويلعب . إن اطفال الفقراء جداً يجدون هذا في الطرقات ، ولكن الآخرين ممنوعون ان يعملوا هكذا . وفي أي حال ، فإن الشوارع ليست احسن مكان للعب . الحاجة الرابعة هي الصوت ، انه ظلم للطفل ان تمنعه من عمل الصوت ، ولكن في أغلب البيوت عدة اولاد ومشاعبين . بإمكانهم في الحال جعل الحياة لا تطاق للمتقدمين في العمر . الحاجة الخامسة هي مرافقة الاطفال الآخرين من نفس العمر تقريباً ، وتباثر هذه الحاجة حوالي نهاية السنة الثانية وتزداد بسرعة . الحاجة السادسة هي الهرب من اهتمام الوالدين . ان هذا عامل اكثر أهمية حيث يكون الأغنياء معنيين بذلك اكثر مما هو بالنسبة للطبقات الأفقر ، حيث تكون الأمهات مشغولات جداً ، عن الاضرار بأطفالهم كما تفعل أمهات الطبقة المتوسطة بالمراقبة المستمرة مهما يكن ذكياً ولطيفاً . الحاجة السابعة هي البيئة التي تحتوي على الملاهي الملائة ، ولكنها مضمونة صناعياً بدون أشياء مثل الدرج الجعري او الزوايا الحادة او الاشياء الثمينة القابلة للكسر . ومن المحتمل ان يكون الاطفال المجردون من جميع هذه الحاجات لغاية سن السادسة مرضى غير شجعان وعصابيين .

إن مشكلة الاعتناء بالأطفال الأحداث في المدن الكبيرة هي واحدة لم تفتبه لها الدولة الحديثة ، باستثناء بلدية فيينا أنها لدرجة بالغة مسألة هندسية . ففي الأحياء الفقيرة من المدن ، يجب أن تبني الشقات على ثلاثة جوانب ، ويترك الجنوب مفتوحاً للشمس . الفسحة الوسطى يجب أن تخصص للأطفال الذين عليهم أن يلعبوا ويأكلوا هناك تحت الإشراف ويعودوا لآبائهم من أجل النوم . أن هذا من شأنه أن يخلص فوراً الأمهات ، وبدرجة كبيرة يفيد الأطفال . ولكن في الوقت الحاضر ، إفرادية البيت المنفصل تقف في الطريق ، خاصة في انكلترا ، حيث يحتل التعمير مكانة أكثر من أي بلاد أخرى .

افترض أنه يجب أن تقدر على أن الأغنياء سوف لا يسمحون لأطفالهم ليساهموا في المرح في مثل ساحات اللعب العامة هذه . لكنها هامة لدرجة أطفال الأغنياء كما هي للفقراء ليهربوا إلى الحرية في قسم كبير من اليوم . وليس هناك بيت مدني مهما كان ممتازاً بإمكانه أن يزود ما هو ضروري للعقل السليم ونمو الجسد للطفل . يمكن تأمين الاختيار الاجتماعي بواسطة الأسعار العالية ، ولكن بعض الأشكال لمدرسة الحضانة هو ضروري في أية طبقة .

لقد كنا نبحث ما يسمى سنوات ما قبل المدرسة ، بينما ينمو الأطفال وينمو معهم النقاش لصالح المدارس الداخلية ، وينمو الكثير من أثقل هذا النقاش في أن المدارس الداخلية بإمكانها أن تكون في الريف في أحسن المحيطات ، في حين أن المدارس النهارية لأغلب الأطفال يجب أن تكون في المدينة . نقاش آخر ينطبق في الكثير من القضايا مع العلم أنه ليس في جميعها . أن البيت يكون الطفل فيه عرضة لضعف عصبي .

ومن المحتمل ان يكون ذلك حين يتعارك الآباء او ان تكون الام مزعوجة اكثر والاب غير لطيف . ويمكن ان يكون هناك اخ او اخت محبذة تسبب للآخرين معاناة من الحسد ، وكلا الابوين يمكن ان يكونا غير عادلين في عواطفها . ففي طريقة اخرى ، يكون البيت دائماً حساساً لدرجة . فالأطفال يحتاجون الى حياة هادئة تحتوي على التمتع والنشاط مع قليل من الشعور القوي . واني اعتقد انه ضد الجميع يجب ان يكون معترفاً به ان الكمية المستحقة من العواطف الأبوية الحكيمة تكون جيدة للطفل ، وتعطيه حاسة من الامان وقيمتة كإنسان . فيما بين هذه الاعتبارات ، ليست المعاكسة سهلة لتصيب التوازن .

ان مسألة ان البيت معاكس للمدرسة هي صعبة النقاش في هذه النظرية . اذا كانت البيوت التامة مقرونة بمدارس حقيقية ، فان الميزان يميل لطرف واحد . واذا كانت المدارس التامة مقرونة ببيوت حقيقية ، فان الميزان يميل للطرف الآخر . لا يوجد عندي اي شك في فكري الخاص على ان المدارس التامة أحسن من البيوت التامة . ففي اي حال ، البيت المدني التام يسمح للكثير من النور والهواء والحركة ومرافقة الاقران . انه ليس بواسطة اي وسيلة تتبع في ان المدرسة الحقيقية سوف تكون أحسن من البيت الحقيقي . وأغلب الآباء يشعرون بعطف على اطفالهم ، وهذا ايضاً يضع الحد للضرر الذي يسببونه لهم . ولكن سلطات التربية ليس عندها اي عطف للأطفال المعننين . ففي أحسن دور ، يلقنون بواسطة روح الجمهور ، الذي هو موجه باتجاه المجتمع ككل وليس تقريباً باتجاه الأطفال . وفي الاسوأ ، فانهم سياسيون مشغولون في النزاع من أجل النفوذ . في الوقت الحاضر ، يلعب البيت دوراً هاماً في تكوين عقلية

الحدث كجزء ليس بأي وسيلة جيداً كلياً ، ولكن ربما أحسن من ذلك الذي سيلعب من قبل الدولة اذا كانت منفردة في الاشراف على الاطفال . البيت يقدم للطفل خبرة من العواطف وعن منظمة صغيرة يكون بها هاماً . وأيضاً عن العلاقات مع اناس من كلا الجنسين وذوي اعمار مختلفة ، وعن عوامل الاعمال المختلفة لحياة الراشد . ففي هذا الاسلوب يكون مفيداً كمصلح للتسهيلات الاصطناعية للمدرسة .

هناك فضيلة اخرى للبيت وهي انها تحافظ على الفوارق فيما بين الافراد . فاذا كنا جميعاً متشابهين . من المحتمل ان تكون ممكنة للبيروقراطيين والاختصاصيين ، ولكنها ستكون ساذجة وسوف تقود الى مجتمع غير تقدمي . حالياً الفوارق فيما بين الافراد هي لدرجة بالغة مميزة بواسطة الفوارق فيما بين بيوتهم . الفوارق الكثيرة هي عائق للوحدة الاجتماعية ، ولكن بعض الفوارق ضرورية لأحسن شكل من التعاون ، ان الجوقة الموسيقية تتطلب اناساً بمواهب مختلفة وضمن حدود معينة وأذواق متباينة ، فاذا اصر الناس على عزف الترومبون trombone فان موسيقى الجوقة ستكون غير ممكنة . التعاون الاجتماعي بروح المحبة يتطلب فوارق في الأذواق والمواهب تكون اقل احتمالاً للتسود اذا اظهر الاطفال تماماً نفس التأثيرات عما اذا كانت فوارق الأبوة مسموحاً لها ان تؤثر عليهم . هذا لعمري جدال هام ضد النزعة الافلاطونية في ان الاطفال يجب ان يكونوا محيين كلياً من قبل الدولة .

ففي العالم ، كما هو عليه الآن ، هناك مؤسستان خارج العائلة متعلقتان بالاحداث : الدولة هي واحدة فقط منها ، والاخرى هي الكنائس . ففي انكلترا بين اطفال ذوي الدخل المحدود حوالي الثلثين يتعلمون من قبل

الدولة ، اما الباقي فهم منقسمون فيما بين مختلف المؤسسات الدينية ، وبصورة رئيسية الانجيلية والرومانية والكاثوليكية . يتعلم اطفال الاغنياء بصورة رئيسية في محيط الانجيلية . وأغلب « أحسن » بنات المدارس هم انجلو - كاثوليك ، وقبضة الدين على تعليم الطبقة العالية والمتوسطة هي في ازدياد .

كل من الدولة والكنيسة في الوقت الحاضر مختارة ، لها بعض العيوب كالنفوذ في التربية ، انني سوف أبحث هذه العيوب مطولاً في فصول لاحقة ، وسوف أقول بواسطة أسلوب التأمل أن كلا من الكنيسة والدولة تتطلب الموافقة للمقترحات ، والتي ليس من انسان منصف يعتقد بها . والقواعد صارمة لدرجة انه يمكن قبولها فقط من قبل اولئك الذين كانت عواطفهم ممنوعة بواسطة عقيدة . من الاقتراحات التي أبعد عن الايمان ، يمكن العرض التالي ان يخدم كأمثلة . تتمسك الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في أن الكاهن بإمكانه ان يحول قطعة الخبز الى جسد ودم يسوع المسيح بتكلمه باللاتينية معها ، الدولة البريطانية تتمسك في أن الامبراطورية رحمة تنعم على الأمم كي تجعل الناس الأحداث يصدقون مثل هذه الافتراضات ، فمن الضروري أن تتركهم بلهاء ولتعلمهم ان يستخدموا قوتهم العقلية في اتجاهات معينة . وتكون القواعد الصارمة التالية أمثلة : الكنيسة الرومانية الكاثوليكية تطلب تشريعاً مثلاً اذا أصبحت امرأة حاملاً بواسطة رجل مريض بالسفلس فيجب ان لا يوقف اصطناعياً حملها ، ولكن ان يسمح لأن يولد طفل مسفلس ، حتى بعد سنوات قليلة من التعاسة على الارض ، من الممكن ان تقضي الأبدية في السماء . (مقدرين ان والديه يكونان غير كاثوليكين) . الدولة البريطانية تقدر انه من

واجبات الرجل الانكليزي ان يقتل الناس الذين ليسوا انكليزاً عندما تأمره مجموعة من الرجال الأكبر سيادة في ويستمنستر ليفعل ذلك . مثل هذه الامثلة كافية لتوضح الحقيقة في ان الكنيسة والدولة هما اعداء لا يمكن إقناعهما لكل من الذكاء والفضيلة .

إنه اذاً لأمر خطير ان تخفض نفوذ البيت في التربية لغاية ما نعرف ما الذي سيحل مكانه . خذ دولة عالمية متحررة من الدين ، من المحتمل ان يكون البيت ذا قيمة أقل بكثير للناس الاحداث . وأن يصبحوا بالنسبة كلاهما اسعد وأكثر ذكاء من خلال إزالة النفوذ الأبوي . ولكن حالياً إلا في روسيا ، فإن كل تقدم يكسب هو ضد الكنيسة والدولة . وان أي شيء يزيد من تسلطهم على افكار البشر يجب ان يستعرض بانذار .

ان امر نقل الاطفال من الآباء ليربوا من قبل الدولة يجب ان يبحث ، ليس فقط فيما يتعلق بالاطفال ، ولكن ايضاً فيما يتعلق بالآباء . ان المزاج الأبوي له نفوذ قوي على السلوك لا في النساء فحسب ، ولكن ايضاً في الرجال . ليس لدينا التفاصيل لتمكنا ان نحكم ماذا سيكون شعور الرجال والنساء اذا انتقل المزاج ، ولكن بإمكاننا بأمان ان نراهم على انهم سوف يتغيرون لدرجة كبيرة . فانه من المحتمل ان تشعر أغلب النساء برغبة قليلة للأطفال في مثل هذه الظروف ، وان حمل الطفل سيصبح مهنة مأجورة تختار كفرع من الخدمات المدنية . ومن المحتمل ان تنمو علاقات تافهة بين الرجال والنساء ، وان تصبح العواطف الزوجية الحقيقية نادرة . كما أن الرجال سيصبحون أقل ميلاً ليعملوا بحمد طالما انه حالياً في الحياة المتوسطة يكون الهدف الرئيسي لكثير من الرجال

هو الرغبة ليجهزوا عائلاتهم . هكذا ثبت بواسطة الرجال ذوي الدخل الكبير حيث يعملون لتأمين الحياة ، والتي تبين انهم يهتمون بما سيحدث لعائلاتهم بعد ان يموتوا . من المحتمل ان يشك في عالم لا توجد فيه العائلة ، ان الرجال العاديين سوف يشغلون أنفسهم بالاحداث التي ستحدث بعد موتهم . من الممكن في اي نوع من الشك سوف يحل في المجتمع مثل الذي يحل على خلية نحل عندما تحرك الملكة بالنسبة لهذا . ان الخبرة فقط بامكانها ان تقرر ، ولغاية الآن الخبرة مفقودة .

ان هناك شيئاً كثيراً ليقال على الجانب الآخر . جميع الشعور الواقعي خطير ، وليس اقل من شعور الآباء من اجل اطفالهم . ان شعور الآباء لاطفالهم هو اناني ومتنافس لدرجة بالغة . والكثير من الرجال الذين بينما هم بدون اطفال يكونون ممثلين بالروح العامة التي تصبح منغمسة في رفاهية عائلاتهم الخاصة ، وحالما يصبحون آباء ، فان الشعور من اجل الملكية الخاصة مرتبط كلياً مع العائلة . ان الشيوعيين من عهد أفلاطون هم على حق في التفكير في ان نظامهم الاقتصادي يتطلب ايقاف الملكية الخاصة في الاطفال . ان ما هو معجب به ومفيد في الشعور الابوي كما اعتقد هو المصدر الرئيسي للصالح العام ، والكثيرات من النساء بدون اطفال قد بينوا كم ستصبح قيمة عندما تصبح عامة . ربما اذا كان بالامكان تحريرها من حوزة الفساد التي يجب ان تكون ، بينما هي متحدة مع الابوة الواقعية الطبيعية . فالعالم يمكن ان يفقد بعضاً من قساوته ، والرجال يمكن ان يصبحوا راغبين حسناً لجميع المخلوقات البشرية . جميع هذا تقديري ، لكنه نظريات يجب ان يحتفظ بها في العقل .

إن مسألة ان البيت يعاكس المدرسة في واحدة ، والتي هي لدرجة

معينة يمكن تقديرها على قاعدة الفكر السليم بدون إثارة قرارات
اساسية ، عندما نحاول ان نتخطى هذا الحسد . فاننا نقابل بجهلنا النفسية
البشرية ، ولا نعرف كم يكون شعورنا غريباً او كم يكون ناشطاً شعورنا
وبامكانه ان يكون اذا دربوا تماماً خلافاً لما هم عليه حالياً . انه يؤمل
ان روسيا سوف تزود مع الوقت تفاصيل تمكننا ان نعرف اكثر عن هذه
المسائل ، وبنفس الوقت فان الصفة العلمية الوحيدة هي واحدة مشكوك في
الحكم عليها .



..... الأُرسْـتقْراطِيَّةُ ، الديمقراطيَّةُ وَالبروقراطيَّةُ

ان الامرة والدولة قوتان متشاحتان منذ أُقيمت الدولة لأول مرة ، وبإمكان الطرفين في العائلة المالكة فقط ان يتفقا شعورياً . وظهرت تباعاً عقيدة ان الأمة هي عائلة كبيرة يكون الحاكم فيها هو الرئيس .. ووجهة النظر هذه ظهرت في الصين واليابان ، وفي المكسيك والبيرو ، وبعض الحد حيثما تكون فكرة انحدار الملوك قوية . وبواسطة مثل هذه الوسائل ، يمكن ان تُقام دولة قوية . ان الفكرة التي جعلت الناس مخلصين كانت لحدّ ما الوقار الديني ، وجزئياً الاحترام لرئيس العائلة . وكانت الدولة غير الشخصية من اختراع اليونان والرومان ، خاصة الاخيرة . ان بروتوس الاكبر ضحّى بأولاده من أجل الصالح العام ، انها قصة ضخمة يصح ان تسمى دين روح الشعب . ففي الشرق ، هذا الدين حديث جداً ، ولقد مَكَّن النفوذ الأوروبي . ان الامتزاز هو بتأني وضع الطاعة والوقار فوق القانون ، ووضع اللوم على الابن الذي سَلَّم اَباً مجرماً للعدالة .

في اليابان لا تزال الوطنية لها مقدار كبير من الطباع القديمة في العبادة لرئيس العائلة . عندما يحدث شيء كثير ، فان هذه العقيدة تزول

تحت تأثير الإيمان ، ومن المشكوك فيه ان يستمر اليابانيون أدبياً بها ،
وانها ليست غير محتملة ان تفتح مجالاً للحكومة لتكون اقرب الى
الطراز الروسي . ففي الصين كانت هناك محاولات مقاومة وخلق وطنية
حديثة بدلاً من شعور العائلة القديمة ، وهذه المحاولات تركزت حول
جماعة كيو منك فاندك Kuo Ming Tang وأغلب الوقار الديني للشمس في
صن يات صان Sun Yat - sen . وفي الهند انبعثت وطنية جديدة من
كراهية الانكليز . ولكن في جميع هذه البلاد ، طالما انها تفتقر الى
التقاليد الرومانية الوطنية كما نفهمها لا تزال شيئاً ما نادراً .

ان اقرب شيء متصل بالعقيدة الرومانية وجد في الطبقة الرفيعة
البريطانية . وفي اي مكان آخر لغاية الثورة الفرنسية ، كانت الدولة
محصورة في الملك . ففي انكلترا بعد القضاء على شارل الاول ، فان الدولة
والملك اصبحا منفصلين تماماً في عقول الناس . عبر الفترة من عام ١٦٨٨
لغاية ١٨٣٢ كانت انكلترا بالواقع جمهورية نبلاء ، والتي بها كانت العائلات
الحاكمة لها تفهم حساس لشؤون الشعب الذي طبعهم بالرومانيين في أيامهم
العظيمة في انكلترا . اني لا اعني ان الارستقراطية في انكلترا اظهرت
عدم الفوارق لشؤونها الخاصة . فبروتوس الاصغر ، ذاك النموذج لفضيلة
الجمهوري العنيف ، قرض نقوداً الى البلدية بمعدل ٦٠ ٪ . وعندما فشلت في
دفع الفائدة ، استأجر جيشاً خاصاً لحصارها . والارستقراطية الانكليزية
في القرن الثامن عشر ، استخدمت اشرافها على كل من مجلسي البرلمان ،
وذلك لسلب الشعب العام حقوقه بواسطة وسائل قوانين الحصر ،
ومهما يكن في كلا الحالتين ، فان طبقات الحكومة اشمرت الدولة انه
من اختصاصها الشخصي بأسلوب يكون نادراً يمكننا لأي فرد في الديمقراطية

الشاشعة في يومنا الحاضر .

ان كل نظام اجتماعي له عدته التربوية الخاصة ، والتي فيما يخص شكل الحكومة البريطانية كانت المدرسة العامة - ايتون Eton اولاً وأخيراً ، ولكن ايضاً بدرجة أخف مدارس مثل هارو Harrow ونشستر Winchester ، وركبي Rugby . وبواسطة عمليات هذه المدارس ، بقيت عقلية ارسطراطية القرن الثامن عشر متمسكة بالسلطات السياسية طيلة القرن التاسع عشر ، بالرغم من التغييرات الجذرية في ظواهر النظام . ان المدارس العامة لا تزال قائمة ، ولا تزال تعتبر من قبل الأثرياء الانكليز انها تجسد كل ما هو حسن في تقاليدنا . انها اذاً لا تزال ضرورية لبحث هذه المساهمة في حياتنا القومية .

ان اهم مظهر نفسي من النظام الاعدادي والمدارس العامة هو انه في سن مبكرة ينقل الولد من البيت ومن تأثير النساء ، ويتركه عرضة بدون دفاع لسوء معاملة الاولاد الأكبر سناً وللعداء الممكن من اجياله . نرغمه ان يحفظ لنفسه جميع الرغبة للطف والأمومة التي له من عهد الطفولة ، ونرغمه ان يركز هذه العقيدة بما انه غير قادر ليضغط كلياً على الاولاد الآخرين . ففي البداية ، من المحتمل ان يكون تعيساً جداً ، ولكن تدريجياً اذا لم يكن فوق المعدل سواء في الحساسية او الذكاء فانه يتعلم ليلبس درعاً وليظهر صارماً . وفي حياته المدرسية يهدف الى القوة والعظمة باستثناء جمع الاهداف الاخرى ، فاذا كان جيداً في ألعاب القوى ، استطاع ان يتمتع بكرامة سوف لا يمارسها في حياته لغاية ما يتوصل الى مركز له شهرة معتبرة هامة . وفي سنواته الاخيرة في المدرسة ، فان احترام من هم اصغر منه وسلطته عليهم تجعله ينسى تعاسته البدائية .

ومع الزمن عندما يصبح في سن الأربعين ، يفكر ان سنوات دراسته كانت اسعد وقت في حياته . ولكن سعادته مثلها كانت ، فقد أتت من ممارسة سلطاته التافهة والاعجاب الذي تلقاه من صفات غير هامة ، وباهتمام يتطلع لغرض فيه نفس الملذات في حياته الاخيرة . انه يرغب الناس ان يحكموا الاناس الذين يظهر انه يحبذهم . وهكذا يذهب ليعيش بين اناس غير متحضرين ، او على اقل تمديد اناس يعتقد انهم غير متحضرين : انه بافي الامبراطورية ، وحامي الثقافة ، والانسان الذي رسالته جلب الانارة الغربية الى الاماكن المظلمة . فاذا اعتبروه « فطري » كما فعل الولد الصغير اثناء ايامه الاخيرة في المدرسة ، فان كل شيء يسير حسناً : انه لطيف وشجاع ، مستقيم ونشيط ، جلود للانفراد والازعاج الذي ليس اسوأ مما تحمله في سنواته الاولى في المدرسة .

ولكن اذا فشل « الفطريون » في الاعجاب به ، فانه يباشر في تقديم صورة أقل سروراً . وبالاتصال مع المتوحشين ، حيث تفوقه لا يضاهي ، فانه غالباً يعمل حسناً وذلك بسبب شجاعته وجلده ، ولكن بالاتصال مع حضارة اجنبية مثل تلك من حضارة الشرق ، فانه يصبح مرثياً له . لقد رأيت في الشرق اناساً يعتبرون انفسهم انقى زهرة لتربية مدرسة عامة بالمقارنة مع المتعلمين الشرقيين ، وذلك جعلني أخجل أن أكون انكليزياً ان مواطني يمكن أن يكونوا حمر الوجوه ، يسكرون بكثرة ويصرفون ساعات عملهم في المفاخرة وساعات فراغهم في الرياضة والبريدج جاهلين كلياً الثقافة الغربية وليسوا مدركين أن هناك ثقافة شرقية قائمة . ومع كل ، فالاتصال مع اناس لا يعرفون شيئاً عما يستحق المعرفة في حضارتهم الخاصة ، يكون اكثر بكثير من أغلب المدارس العامة . ان

رجالاً من حضارة الغرب ، اولئك الصنفاء الجهلة ، يحتفظون بسفاهة الغزاة
المسكرين ، قانعين بادعاء التفوق بمدافع سفنهم الحربية . ولهذه الهمجية
المخزية أجاب اليابانيون بواسطة اختيارهم مقاييسنا ، وباقي الشرق يتبعون
مثالهم . كمحرك للامبريالية فشلت المدارس العامة .

وأسباب هذا الفشل تكون قسم نفسياً وقسم عقلانياً . ولنباشر
بالاسباب العقلية ، والتي تقع أقرب للسطح : ان روح المدارس العامة هي
احدى مخازي الذكاء ، وبصورة خاصة الذكاء العلمي . والاساتذة يختارون
على نطاق واسع من اجل نشاطهم الاختصاصي وان انطبقوا على أقل
تعديل خارجياً ، على النظام الكامل للسلوك ، في الدين والسياسة ،
والاجتماع ، والاخلاق ، والتي هي غير محتملة لأغلب الناس الاذكياء .
ويشجع الاولاد ليكونوا بصورة مستمرة مشغولين ، حيث لا يكون عندهم
وقت للخطايا الجنسية ، ولا بالصدفة وقت للتفكير . ولا يشجعوا أي
آثار للاستقلال الفكري من الممكن أن ينتشر هنا وهناك فيما بين امهر
الاولاد . وفي النهاية ، يجب أن ينتجوا انتاجاً كاملاً موحى من عبادة
الشكل الجيد كما سيكونون غير قادرين لتعلم أي شيء هام خلال الباقي
من حياتهم . ان هذا قليل من النقص العقلي في المدارس العامة - والخلل
لا يمكن فصله عن حقيقة ان المدارس العامة مخططة لدعم نظام لا يمكن
أن يكون الدفاع عنه عقلانياً . ان النقص البسيكولوجي للمدارس
الاعدادية والعامة عائد في الاساس لسبيين : ابعاد الاولاد عن مرافقة
البنات ، والقانون التقليدي للاخلاق . ان الاولاد الاصغر سناً ، يفقدون في
البداية حتماً عواطف الامهات والاخوات الاكبر سناً وحتى المرضات ،
وفي هذه الاحوال تصبح أمهاتهم غالباً عرضة للاشتياق السري والعبادة ،

ومع الزمن ينمو شعور بالكراهية لجميع النساء . فبعد بلوغ سن الرشد يميلون لممارسة الاستمناء او اللواط او كليهما ، والعديد منهم يعتقد انهم في عملهم هذا هم مخطئون . فعلى الأرجح أنهم مرغون ليكونوا سريين ، طالما ان جميع السلطات تعتبر الاضطراب الجنسي ذعراً . ان هذا الوضع يظهر ليس في القليل منهم في زيادة تخيل الام ، بل كذلك للمرأة التي توحى محبة بدون ثلوث جنسي . ان هذا النوع من العاطفة بصورة غير مستمرة يجعل الزواج السعيد ليس ممكناً ، ويسبب بعض الاحيان اشمئزازاً لأي امرأة يكون الجماع الجنسي معها ممكناً . ان عدم السعادة الناتجة عن هذا الاضطراب النفسي تميل لتسبب ضيقاً وان تجعل القوة المصدر الوحيد السائد للسعادة . وهكذا تكون عقلية الامبرياليين شديدة الامتزاج بالجوع الجنسي . ان الشرور القائمة في المدارس العامة الانكليزية ربما لا تكون جميعاً ليس بمستطاع فصلها عن التربية الارستقراطية ، ولكن بصورة اساسية من المحتمل ان توجد حيثما تكون هناك طبقة تملك أهمية اجتماعية وراثية . مثل هذه الطبقة تستهدف بصورة رئيسية سلطة الحكم . وانها تنمي الارادة نوعاً ما اكثر من الادراك او الحساسية ، وتشمل في تدريبها عناصر مثل التصوف ، كما أنها مفيدة في تشجيع قوة الارادة . وتحت تأثير الثروة ، اصبحت الارستقراطية في الماضي بصورة مستمرة ناعمة من الرفاهة ، او من نمو الرأي التحرري . وما لم تكن هذه الاخطار محترساً ضدها ، ليس بإمكان الارستقراطية أن تدبر نفسها طويلاً . هكذا تكون كلا المظاهر الحسنة والسيئة للمدارس العامة الانكليزية ضرورية في تربية طبقة ارستقراطية مستمرة بذاتها . ان الارستقراطية حالياً تعتبر قديمة بالية ، وانكلترا بواسطة الحفاظ عليها تأتي لاستعراضها كاستمرار

غريب ، مثل الحيوانات التي تحمل أطفالها في الجيوب الكيسية . لهذا السبب اكثر من أي خطأ في التفصيل ، لم تعد لإيتون الأهمية التي كانت قبل مائة سنة . ومهما كان نظام التربية . فانه لاعداد الناس كي يعلموا مكانتهم في العالم الحديث ، وأن لا يكون النظام ارستقراطياً .

ان التربية الديمقراطية غير الناضجة لها شرور كبيرة بمعدل شرور الارستقراطية اذا لم تكن اعظم . الديمقراطية ، كرأي ، لها وجهتان . فعندما تقول : « انا جيد مثلك » فانها مفيدة ، ولكن عندما تقول : « انت لست احسن مني » فانها تصبح صارمة وعقبة لتطور الكفاءة الاستثنائية .

ولنضع الامر بدقة اكثر : ان الديمقراطية جيدة عندما توحى بالاحترام الذاتي ، وسيئة عندما توحى بمعاينة الافراد المميزين من قبل الجمهور . وهذا النوع من العقبات قائم طبعاً في المدارس الارستقراطية ، حيث يكون الاولاد الشاذون غالباً عرضة لمعاملة سيئة أليمة . انه فقط في ظل الديمقراطية ، مهما يكن ، اصبح هذا النوع من الشيء نظرية كما هو عملي ، ويمتد خارج المدرسة للعالم على نطاق واسع . ان تحمل الغرائب ، التي هي واحدة من احسن الظواهر للحياة الانكليزية ، مرتبط بالارستقراطية .

لقد عانى بايرون وشيلي الاضطهاد الاجتماعي ، لكن ليس اقل مما عانيناه في ظل الديمقراطية ، وعلاوة على ذلك فانهم قادرون احسن لمقاومته اكثر مما لو كانوا بدون احترام ذاتي ارستقراطي .

وهذا مهما يكن ليس الشر التربوي الرئيسي للديمقراطية . ففي اميركا ،

حيث الاعتقاد الديمقراطي قوي ، من الصعب ان تعدل النظام التربوي ، الذي يعطي الفوائد الضرورية للأطفال الماهرين . وقد عمل شيء ما في الاوقات الاخيرة في هذا الاتجاه ، ولكنه عمل بصورة رئيسية من قبل أولئك المعارضين للديمقراطية .

انه من الواضح ان بعض الاطفال هم اكفاء اكثر من الآخرين ، ذلك لأن الأكثر كفاءة اذا كانوا سعداء ومفيدين للمجتمع ، فانهم يحتاجون لمعاملة مختلفة عن تلك التي هي الاحسن من اجل الاطفال العاديين . ان خطأ الارستقراطية ينحصر ليس بالتفكير في ان بعض الناس هم ارفع من الآخرين ، ولكن في افتراض السمو ليكون وراثياً . وخطأ الديمقراطية ينحصر في اعتبار جميع المطالب السمو كمبررات لكراهية الجمهور . ففي العالم الحديث ، تطلب الانجازات التي هي ضرورية للمجتمع اكثر من كفاءة ما يحوز عليه اغلب الناس . ويجب ان تكون هناك اساليب لاختيار الناس المتميزين لانجاز هذا العمل . وبصورة عامة اذا كانوا ليصبحوا اختصاصيين بقدر الامكان فانه من المستحسن اختيارهم حينما يكونون لا يزالون حديثي السن تماماً ، مثلاً في سن الثانية عشرة ، وليسمح لهم ان يتقدموا تقدماً اسرع مما هو ممكن لطبقة من الاولاد او البنات العاديين .

ان الشعور انه غير ديمقراطي لأفراد احسن الطلاب ، هو احدى الطرق التي توصل الى ضياع مواد جيدة . واننا سنبحث هذا الموضوع ثانية في الفصل الثاني عشر . ولذا سوف لا اقول اي شيء اكثر عنه ، هذا ان العقيدة الديمقراطية تجري مستغربة ، وليس النظام الديمقراطي للحكومة هو سبب المتاعب . ان فرنسا ديمقراطية سياسياً بمعدل اميركا ،

ولكن ليس هنالك صعوبة في ضمان معاملة خاصة للأكفاء ، لأن الصفات الادراكية والفنية تحترم . وليس فقط عندما تتوصل الى شهرة عظيمة ، ولكن حين لا تزال في طور التقدم .

ان الديمقراطية ، كمنظرية ، ليس لها سيطرة على عقول الناس كتلك التي كانت قبل الحرب . فلقد اصبح واضحاً انه يوجد في المجتمع الصناعي مواضع مفاتيح للسلطة ، والتي اذا لم تكن في ايادي البيروقراطيين الخاصة فانها ستكون في ايدي الموظفين ، الذين بإمكانهم مع الزمن ان يكونوا عرضة لاشراف شعبي . ولكن الارادة ، في عدة وجوه ، ستكون قادرة لاتخاذ مقررات هامة حسب اجتهادهم الخاص . وهكذا نتوصل الى النظام الحكومي كنفويض عملي للاستقرائية والبيروقراطية . فاذا عمل كل شيء يمكن لازالة الامتيازات الجائرة ، فان السلطة ستبقى موزعة بدون انصاف ، لأن هذا لا يمكن تجنبه . ولكنها ستعطي لأولئك الاكثر ملاءمة لممارستها . انها سوف لا تكون ، مهما يكن ، سلطة غير مسؤولة مثل تلك التي تنتمي الى البيروقراطية والملوك المطلقين ، وستكون سلطة عرضة لاشراف نهائي من قبل الديمقراطية .

ان الناس الذين سيارسون مثل هذا النوع من السلطة بحكمة يتطلبون مؤهلات مختلفة نوعاً ما عن تلك الناجمة سواء من قبل التربية الديمقراطية او الارستقراطية . فان العناصر غير الديمقراطية تحتوي في كونها بوضوح فوق المعدل في المقدرة والمعرفة . والعناصر غير الارستقراطية تحتوي في واقع وضعها ليس على الوضع الاجتماعي لأبائهم ، ولكن على كفاءتهم الشخصية ، طالما انه ليس عندهم سلطة نهائية ومطلقة ، فانهم لا يحتاجون الى صفات استثنائية للقيادة ، ولكن فقط الى سلطات غير اعتيادية

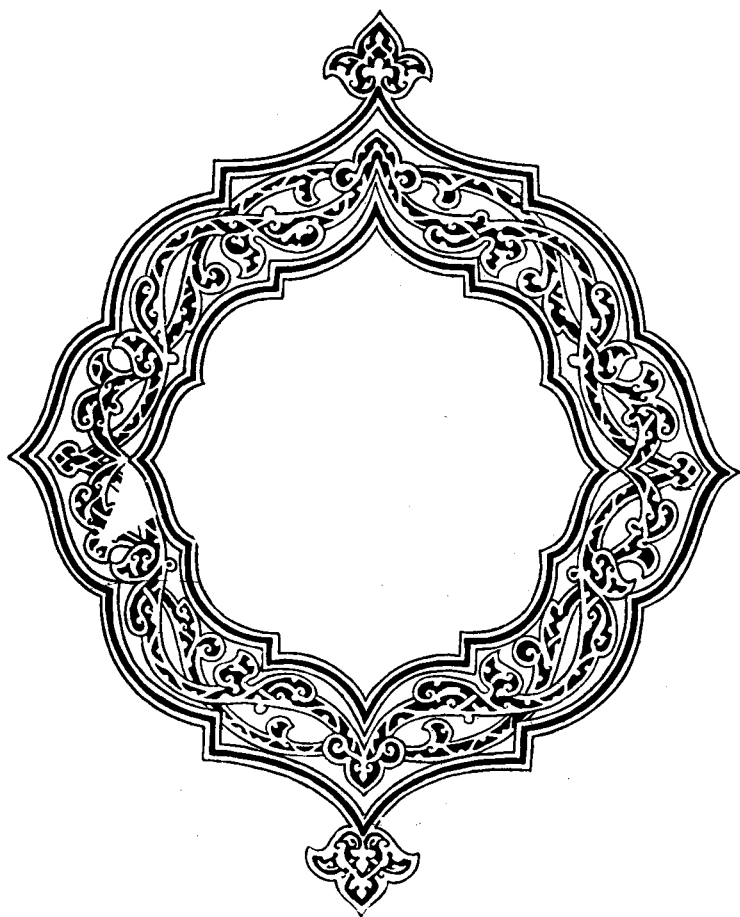
للوصول الى نهاية سليمة ، وتقديم مبررات نهايتهم لأشخاص نوعاً ما دون انفسهم في العقل .

من الواضح ، طالما ان المجتمع ينمو اكثر ثباتاً في تأثير الاختراعات الحديثة والتكنيك - فإن أهمية النظام البيروقراطي بصورة مستمرة في تزايد . لتعلم بصواب اولئك الذين سيصبحون موظفين ، يكون ذلك هاماً جداً في الدولة العلمية . وهذا يتطلب من جانب المربين ورسمي التربية الاحترام لذكاء العامة عند الاطفال ووسائل اكتشافها . وتتطلب صفوف خاصة للأكثر ذكاء ودورة تخطط لإعطائهم فوراً وجهة نظر عقلية واسعة ، وما هو ضروري في أسلوب معرفة الخبرة . هناك ميل للافتقار أن المعرفة التي تكون مفيدة ليس بإمكانها ان تعطي تهذيباً والعكس بالعكس . اني أعتقد أن هذا تضليل . فمن المسلم به ان معرفة حرب Peloponnesه تعطي ثقافة ، في حين أن المعرفة عن الثورة الروسية تكون غامضة ومشكوكاً بها . إن آراء من هذا النوع تكون عقبة ليس فقط للحصول على معرفة مفيدة ، ولكن ايضاً لثقافة سليمة ، والتي يجب ان تكون متسماً عالمياً ، يكون باستمرار متنازعاً من قبل المغالين .

ان التربية البيروقراطية ستكون تربية من نوع خاص للمواطنة . ولكنها لن تكون تربية سليمة طالما ان بعض المعرفة لها قيم خاصة نظراً لكونها تقليدية ، بينما الدوائر الاخرى للمعرفة يظن انها غير هامة ، لأنها ليست مجوزة اساتذة محدودي التفكير . ففي زمن عصر النهضة ، كانت جميع الآداب الجيدة باللغة اللاتينية او اليونانية ، والآن ليس هذا هو الحال . ان أغلب اساتذة المدارس العامة الانكليزية لم يتمكنوا بعد من اكتشاف هذه الحقيقة ، والحكومة البريطانية لا تزال تختار موظفيها

المدنيين على نطاق واسع لكفاءتهم في الكلاسيك ، في ان معرفة اللغة
الافرنسية والالمانية ستكون اكثر فائدة ، وأكثر قيمة . ان ضيق التصور
التقليدي للثقافة عنده الكثير فيما يتعلق بالخزي الذي سقطت فيه الثقافة
عند الرأي العام . ان الثقافة الواقعية تحتوي في كونها مواطناً للعالم ،
وليس فقط في قاعدة مجزأة او اثنتين في فترة من الزمن . انها تساعد
الناس ليفهموا المجتمع الانساني ككل وليقدروا بحكمة النهايات التي
يتوجب على الشعوب اتباعها ، وليروا الحاضر في علاقته بالماضي والمستقبل .
ان الثقافة الواقعية تكون اذن ذات قيمة كبيرة لأولئك الذين سيديرون
السلطة ، التي تكون لهم على اقل تعديل مفيدة بمعدل التعليمات التفصيلية .
والطريق لجمع البشر مفيد هو جعلهم حكماء ؛ وجزء اساسي من
الحكمة يُكوّن العقل المدرك .





الجمع في التربية

إن إحدى العوامل الهامة في تشكيل الخلق هي تأثير الجمهور على الفرد أثناء الطفولة والشباب . والكثير من الفشل في اكتمال الشخصية ، ينتج من النزاع فيما بين جمهورين مختلفين ، ينتمي الطفل لكليهما ، بينما الآخر من النزاع فيما بين الجمع والفرد . فيجب أن يكون هناك اعتبار هام في التربية لضمان إيقاف تأثير الجمهور ، وأن تكون عملياتها مفيدة أكثر مما تكون ضارة .

وأغلب الشباب يكون عرضة لعمليات نوعين مختلفين من الجمهور ، السقي يمكن أن تسمى بالتتالي الجمع الكبير والجمع الصغير . إن الجمع الكبير لا يتألف بصورة متزايدة من الشباب ، ولكن المجتمع كله الذي ينتمي الطفل له . وهذا يقرر بصورة رئيسية من قبل بيت الطفل إلا حيث يكون هناك نزاع محدود جداً فيما بين البيت والمدرسة كما يحدث

على سبيل المثال مع اطفال المهاجرين في الولايات المتحدة . وفي أثناء الوقت الذي يصرفه الولد أو البنت في المدرسة ، فإن الجمع العظيم يكون نوعاً ما أقل أهمية من الجمع الصغير المؤلف من زملاء المدرسة . ان كل مجموعة من المخلوقات البشرية في تقارب بالعادات تكون شعوراً جمعياً يظهر في تقاليد معينة لوحدة الطباع ، وفي عداؤها لفرد عنده نفس التقارب ، ولكنه لا يشعر انه واحد من الفئة . وكل ولد جديد في المدرسة عليه أن يرضخ لفترة معينة يعتبر أثناءها باشتباه غير صديق من قبل اولئك الذين يكونون تماماً متآلفين في جمع المدرسة . فاذا لم يكن الولد بأي طريقة غريباً ، فانه يقبل حاضراً كفرد في الفئة ويصبح يفعل كما يفعل الآخرون ، ويشعر كما يشعرون ، ويفكر كما يفكرون . فاذا كان من الجهة الثانية ، غير هادي ، يمكن أن يحدث واحد من شيئين ، ان يصبح قائد الفئة ، أو أن يبقى غريباً معاقباً . ومن المحتمل لبعض القليل جداً بواسطة ربط الطبيعة الجيدة ، غير العادية مع الشذوذ ، أن تصبح جنوناً مرخصاً مثل جنون شيلبي في ايتون .

إن الرجال العاديين يحصلون أثناء سنوات المدرسة على ذلك الادراك السريع الحساس عما هو مطلوب ، كي يكونوا أعضاء عاديين في الجمع . والذي يحتاج المرء اليه في احترام ، هو المكان العام في الحياة فيما بعد . فاذا كان شخص عضواً في نادي ، ويعمل أي شيء ليس كلياً صحيحاً ، فسوف يتذكر من عهد صباه نوع المعاملة التي علمت لأولاد غرباء . وبينما يعدل سلوكه ليناسب قانون الحضارة الراشدة ، فانه لا يزال يحتفظ بها في شكلها الاساسي ، وماذا أصبحت في تلك السنوات الباكرة . إن هذا يشكل قاعدة السلوك الفعالة الحقيقية ، التي يكون الرجال عرضة لها .

يمكن أن يعمل الرجل أشياء ليست أخلاقية ، وكذلك يعمل أشياء ليست شرعية ، ويكون صلباً أو وحشياً ، او في فرصة مناسبة وقعاً ، ولكن يجب أن لا يعمل أي شيء من هذه الأشياء ، التي من أجلها سوف تهمله طبقته . وعلى ماذا تعتمد هذه الأشياء ، طبعاً على البلد والعمر والطبقة الاجتماعية المعنية . ولكن في كل بلد ، وفي كل عمر ، وفي كل طبقة اجتماعية ، هناك مثل هذه الأشياء .

ان الخشية من الجمهور تكون متصلة بعمق في أغلب الرجال والنساء ، وهذه الخشية غرست مبدئياً في المدرسة . انها تصبح ذات شأن له أهمية كبيرة في تربية الطباع ، على ان الاشياء التي تعاقب من قبل جمهور المدرسة ستكون بقدر الإمكان أشياء غير مرغوبة ، وبمقدور الولد ان يغيرها . ولكن الضمان هذا ، يكون من الصعب لدرجة متناهية . فإن القانون الطبيعي لجمع الأولاد يكون كقاعدة ليس شرفاً رفيعاً جداً . وضمن الأشياء التي يمكن ان يعاقبوا من أجلها أشياء لا تقع ضمن سلطة ضحاياهم .

إن الولد الذي عنده علامة ولادة في وجهه ، أو الذي تنفسه يكون ضاراً فإنه يعاني من الألم في المدرسة . وليس واحد من مائة يعتبر انه يستحق أية رحمة . لا أظن أن هذا يكون مؤكداً ليحدث . وأعتقد أنه ممكن لتعليم الاولاد صفات اكثر رحمة ، ولكن الأمر صعب ، وأساقفة المدرسة الذين يجذبون ما يدعى رجولة ، من غير المحتمل ان يعملوا الكثير في هذا الاتجاه . ان هذا من وجهة النظر الاجتماعية اكثر جدية ، في حين انه ليس من وجهة نظر الفرد ، أن تكون قضية اولئك الاولاد الذين مجتمهم الكبير يكون في بعض السبل معاكساً للمجتمع الأصغر في

المدرسة ، مثل اليهود في مدرسة مؤلفة بصورة رئيسية من الأغراب . إن معظم اليهود حتى في أغلب المجتمعات المتحررة ، كانوا عرضة في عهد الصببا للشتائم على حساب عنصرهم . وهذه الشتائم تبقى في ذاكرتهم وتلون جميع وجهة نظرهم للحياة والمجتمع . يمكن أن يلحق الولد في البيت ليكون فخوراً لكونه يهودياً ، ويمكن ان يعرف بذكائه أن الحضارة اليهودية هي أقدم من أغلب الأمم الغربية ، وأن مساهمة اليهود بالنسبة لتعدادهم بدون مقارنة ، أعظم من مساهمة غير اليهود .

فمها يكن ، عندما يسمع الأولاد الآخرين يصرخون شيني Sheeney أو آيكي Ike وراءه بلهجة التحقير فإنه يحدها صعوبة ليذكر أنها شيء حسن أن يكون يهودياً . وإذا تذكرها فإنه يذكرها بالتحديد . ففي هذه الطريقة ، ينغرس الحقد في نفسه فيما بين مستوى البيت ومستوى المدرسة . وهذا الحقد يكون سبباً عظيماً للحالات العصبية ، وأيضاً لخوف عميق الجذور . وبعيداً عن القومية اليهودية ، يوجد هنالك غموضان لردة الفعل لهذا الوضع أحدهما ما يخص الثوريين ، والآخر يخص التملق .

بامكاننا اعتبار كارل ماركس وديزرائيلي كمثالين بالغين لردة الفعل هذه . ان الكراهية في كارل ماركس التي شعر بها للنظام القائم ، من المحتمل أن لا يكون قد شعر بها لو كان غير أجنبي . وهكذا تقل كراهيته لغير الأجانب ككل الى الرأسمالية . ومنذ كانت الرأسمالية في الحقيقة ، على نطاق واسع مكروهة ، فإنه نجح بواسطة استعراضها بعميون الكراهية في ابتداعه على نطاق واسع عقيدة حقيقية مكانها في النظام الاجتماعي . وديزرائيلي الذي كان يهودياً في المنصر ، مسيحياً بالديانة ، قابل الوضع بأسلوب آخر . لقد أعجب بأعنى الاخلاص بروعة الارستقراطية وجودة

الملكية . وهناك شعر في عظامه أنه كان الاستقرار . لقد كان هناك آمناً من العقاب ، كان في منعة من الاضطهاد . ونفس الخوف من عداء الجمع ، الذي تحول في كارل ماركس لثورة ، تحول عند ديزرائيلي الى تقاليد الحماية . وبمهارة خارقة جعل نفسه واحداً من الجماهير المعجبة ، وارتفع بها للسمو وأصبح القائد للأرستقراطية المتكبرة المحبوب من قبل مليكه . وأن نعم حياته محتوى في ايضاحاته عندما يضحك مجلس العموم ، فانه يقول في خطاب له : « الوقت سيأتي عندما ستسمعون لي » ، كم تختلف صفات المولود ارستقراطياً في وجه الضاحكين ، فانها توضح بواسطة قصة بت Pitt الأكبر ، الشخص الذي يباشر الخطاب في البرلمان في كلمات « السكر ، سيدي » والتي تسبب قهقهة ، يتطلع حوله ويكررها بصوت أعلى « السكر ، سيدي » ، ومرة ثانية هناك قهقهة ومرة ثالثة بنظرات الغضب وبصوت رعدي ، وهو يكرر « السكر ، سيدي » ، وهذه المرة أنواع كثيرة من الشهرة الحسنة والسيئة قد سببت بواسطة رغبة ولد ليمحو بعض العار الذي عاناه في وجه الجمع ، ومن هذا النوع ، قدم اللقطاء شيئاً من الايضاح . ان ادمون في لير ، وضع الأسلوب الذي كونه لقيطاً جعله معادياً للناس العاديين . فلإنني أجروء على أن وليم الفاتح لن يكون قد أثر لمثل هذه الأعمال التي تستحق الذكر ، اذا لم يكن قد رغب ان يمحو العار الذي لميلاده .

لغاية هذا الحد ، كنا نبعث تأثير الجماهير العادية على الافراد الذين كانوا غير عاديين سواء في السلوك او الظروف . ولكن ليس بصورة غير مستمرة . لقد كان هناك جماهير صيبانية من نوع فوق العادة ، اكثراً فساداً وأكثر صرامة عن الجماهير التي أغلبنا اعتاد عليها في شبابه .

فكرويتكن Kropotkin كان في شبابه عضواً في جماعات الخدم . وان المدرسة الارستقراطية التي كان بها الاولاد محبذين هي أن القيصر تربي فيها . ان شرح الاشياء التي حدثت في هذه المدرسة هام . فهو يقول على سبيل المثال :

« ففي الشكل الأول فعلوا ما أحبوه ، وليس بعيداً اكثر من الشتاء المنصرم ، كانت احدى العاهم المحبذة تشكيل « القرون الخضراء » ليلاً في غرفة ، في لباس الليل ، وليجعلهم يركضون حولها مثل الخيول في السيرك بينما قرب جدران الغرفة يوجد اناس ، مسلحون بكرابيج غليظة من المطاط الهندي ، يقف بعضهم في الوسط والآخرين في الخارج وبدون رحمة يجلدون الاولاد . وكقاعدة « السيرك » ينتهي في زي شرقي ، وبطريقة غير سارة . كانت الوقائع السلوكية السائدة في ذاك الوقت والحديث القدر ، الذي كان سارياً في المدرسة ، يتعلق فيما يحدث بالليل بعد السيرك ، كان أقل ما يقال عنهم هو الاحسن .

ومن الصعوبة البالغة تقدير تأثير جمهور المدرسة على طباع الرجال البارزين . خذ على سبيل المثال نابليون . نابليون في شبابه كان في الكلية الحربية الارستقراطية في بريني Brienne ، حيث أغلب الاولاد الآخرين كانوا اغنياء من أعلى النبلاء . لقد كان هو هناك نتيجة لاعتراف سياسي قامت به فرنسا لكورسيكا ، وعلى ضوءه تربي عدد معين ضئيل من الشباب الكورسيكي في بريني بدون مقابل . لقد كان واحداً من عائلة كبيرة ، ووالدته كانت فقيرة . وبعد أن اصبح امبراطوراً اكتشف بسهولة انه كان من نسل عائلة جيبيليان Ghibelline العريقة ، ولكن هذا لم يكن معروفاً في ذاك الوقت . كانت ملابسه بسيطة وبالية ، بينما كان الشباب

الآخرون في ثياب فاخرة . لقد كان محتقراً من قبل كل شخص ، حيث كان ينظر اليه بكبرياء واحتقار . وعندما انفجرت الثورة تفاعل معها ، ويمكن أن يشتبه احد ان عنصرياً في شعوره نحو الثورة يستوعب فكرة الاحتقار ، التي حلت من قبل الزملاء اثناء سنواته في بريفي . ولكن عندما ارتفع الى امبراطور ، اصبح له نوع من الانتقام ممكناً ، والعديد من الرجال الذين احتقروه جعلوا يرجون الانحاء امامه للاحترام من اجل امتياز : هل بالامكان الشك ان الافتخار الذي جرح سنواته الاخيرة في السلطة كان له مصدره من الاحتقار الذي عاناه كولد ؟ ان والدته التي لم تعان نفس الاحتقار استعرضت مجرى حياته بتعليق ساخر ، وضد رغباته اصر على توفير قسم كبير من راتبه استعداداً لليوم الذي ستأتي به عظمته على نهايتها .

لقد كان هناك قليل من الرجال العظام ، وغالباً أمراء ، لم يعانون ضغط الجماهير بالمرة . ان ألمع هؤلاء كان اسكندر الكبير ، الذي لم يكن في أي وقت بين جمهور من اقرانه . ولعل كلا من عظمتهم وخطأهم كان عائداً جزئياً لهذه الحقيقة . فانه لم يتوقف من الوعي الرائع بواسطة اي من مثل هذا التحرر من القروء ، كما يتدرج الى الولد الجديد في المدرسة فكان خادعاً نفسه كفاتح ، ليظهر طبيعياً في فتح جميع العالم .

وغروره بنفسه كأعظم من جميع اقرانه ظهر طبيعياً عندما فكر بنفسه كإله . ففي تصرفاته مع اصدقائه ، حق اولئك الذين كانوا الاقرب اليه ، لم يظهر اي اشارة للاعتراف بحقوقهم . ان قتله بارمينو Parmenio وكليتوس Cleitus أخذ بانفراد ، افتراض الطاغية الظالم ، ولكنهم كانوا نفسياً قادرين على الايضاح كما هو عائد الى فقدان

الصبر لرجل لم يكن بأي وقت عرضة لانتقاد الجماهير .

ان الايضاحات اعلاه وضعت لاقتراح ان جمع المدرسة هو احد العوامل الهامة في تقرير الطباع ، خاصة عندما تلتنازع مع بعض الافراد او الصفات الاجتماعية في ولد ذي عبقرية استثنائية . فالرجل الذي يرغب في ايجاد مدرسة جيدة ، عليه ان يفكر اكثر في طباع الجمهور الذي يخلقه ، اكثر مما يفكر في اي عامل افرادي آخر . فاذا كان هو شخصياً لطيفاً ومنصفاً ، لكنه يسمح لجمع المدرسة ان يكون صارماً وغير منصف ، فان الاولاد الذين تحت عنايته سوف يقاسون محيطاً مؤلماً بالرغم من جودته .

اعتقد ان في بعض المدارس الحديثة ، قانون عدم التدخل ساري المفعول لحد ما ، حيث ان هذا النوع يمكن ظهوره بسهولة . فاذا الاطفال لم يتدخل في شؤونهم من قبل الاكبر سناً ، فان الاولاد الاكبر سناً من المحتمل ان يقوموا بطغيان على الاصغر منهم . وهكذا ، حيث المفروض ان تكون الحرية تحت رقابة المدرسة ، ستقوم فقط الارستقراطية الاقوى جسداً . وأنه مهما يكن ، صعباً لدرجة بالغة منع طغيان الاولاد الاكبر بوسائل اجراءات العقوبات المباشرة . فاذا مارس العنف في تصرفاتهم مع الاطفال الكبار ، فان الاطفال الكبار سوف يمارسون بدورهم العنف مع الاصغر منهم .

ان الشيء الذي يهدف اليه ، هو أن يكون هناك ضغط قليل بقدر الامكان على جمهور الطلاب ، وقليل من نظام القوة البدنية كما هو مقارن مع الطبيعة البشرية للشباب الناشئ ، بينما يكون حسناً للأولاد والبنات ان يتعلموا التصرفات الاجتماعية مع زملائهم ، وأنه ليس حسناً لهم ان

يكونوا عرضة لعنف متزايد لضغط الجمع . ان ضغط الجمع يحكم به بواسطة شيئين : أولاً عنفه ، وثانياً اتجاهه . فإذا كان عنيفاً جداً فإنه ينتج الراشدين الذين يكونون خجولين وعاديين إلا في مناسبات قليلة نادرة . وهذا مما يؤسف له مهما كان ممتازاً ، العدل السلوكي الذي تأثر به الجمهور . ففي أيام « مدرسة قوم براون » كان هناك ولد رفس من أجل تلاوته صلاته . وهذا الكتاب له تأثير عظيم . وبين زملائي عرفت واحداً رفس لعدم تلاوته صلاته . انني آسف للقول انه بقي طيلة حياته وثنياً شهيراً .

هكذا ، حتى هذا الشكل من الفضيلة الرفيعة من طغيان الجمهور ينفذ لدرجة بالغة ويصبح غير مرغوب به .

ان الضغط المتزايد من الجمع يتدخل بالافردية ، وفي تنمية جميع مثل هذه المصالح ، كما انها تكون غير مألوفة فيما بين الاولاد الأصحاء مثل العلم والفن ، والأدب والتاريخ ، وأي شيء آخر يعمل الحضارة . فمهما يكن لا يمكن الانكار ان المساواة فيما بين الجمهور لها اهدافها الحسنة . انها تشجع الجرأة البدنية ، ولا تشجع جميع انواع تسكع كتوف اليدين للانحطاط . فضمن حدود اذاً يكون لها فوائدها .

ان هذه الفوائد تكون اعظم بكثير حيث تكون اهداف الجمع ، وبالإجمال تكون حسنة اكثر مما حيث هي على سبيل المثال في حساب كروبينكن عن « فرق الخدم » . فاحدى فوائد المدارس الخاصة للولاد والبنات ذوي الكفاءة غير العادية هي انه ، في مثل هذه المدارس ، من المحتمل ان يكون الجمهور أخف بكثير مما هو في المدارس العادية ،

وأقلّ عداء بكثير لتمدين الحرف . ولكن حتى حينما يكون كلياً عادياً ، فان الاولاد والبنات المعنيين سيكون في امكانهم ، بواسطة وسائل الأمثلة النامية ، ان ينتجوا درجة معينة من الجلادة واللطف ، ودرجة معتبرة من الاهتمام في المؤسسات الجماعية ، كالألعاب على سبيل المثال ، التي بها الجمهور يؤثر العمل تعاونياً وليس إلزامياً .

من اجل الطباع الاستثنائية القوية المعينة ، هناك قيمة تربوية في الوقوف ضد الجمع لبعض الاسباب التي تشعر بعمق لتكون هامة . مثل هذا يمكن ان يكون كل شيء للصالح . ولكن اذا جعله الجمهور غير سعيد خارج حد معين ، فهو يربح او يخسر سواء ما كان ممتازاً جداً في طباعه ، او يصبح ممثلاً بغضب مدمر كما لو كان حال نابليون حيث سبب ضرراً لا يوصف للعالم .

فيما يخص الجمع الاكبر الذي يقع خارج المدرسة ، فان الآباء الذين آراؤهم في اي طريقة تكون غير عادية يحاربون بارتباك . والكثير منهم يجدونها صعبة جداً لتعمل . فاذا ارسلا اطفالهم الى مدارس حيث الآراء غير العادية تكون غير مشجعة ، او حيث الحرية العادية تكون مسموحة ، فانهم يخشون انه في دخولهم العالم الاكبر ، فان الولد او البنت لن يكونا ملائمين باستعداد للاشياء كما هي . ان اولئك الذين كان مسموحاً لهم ان يفكروا ويتكلموا بحرية عن الجنس سوف يضغط عليهم بواسطة الاسكات والاعتدال . وأولئك الذين لم يعملوا وطنية فانهم سيجدون صعوبة في ايجاد مكان ملائم في عالمنا القوي . والذين لم يتعلموا الاحترام للسلطة القائمة سيجدون انفسهم في متاعب من جراء الحرية في انتقاداتهم . وفي مجرد كلمة ، فإن أولئك الذين اعتادوا على الحرية سوف يشعرون ان

سلاسل العبودية اكثر ازعاجاً من اولئك الذين كانوا عبيداً منذ الولادة .
هكذا على اقل تعديل يكون النقاش الذي سمعته باستمرار مقدماً من
قبل الآباء ذوي العقول التحررية في صالح تربية غير تحررية لأطفالهم .

اعتقد ان هناك جوابين لهذا النقاش ، احدهما بالمقارنة سطحي ،
والآخر اساسي . الأول من هذه الاجوبة يحتوي على اظهار ان التوافق
الخارجي للسلوك هو شيء يتعلمه الناس حديثو السن بسهولة ، وانه في
الحقيقة يعلم دولياً في جميع الانظمة العادية للتربية ، حيث يكون سلوك
الاطفال امام والديهم وأساتذتهم مختلفاً كلياً عن سلوكهم مع بعضهم
البعض .

اني اعتقد انه من السهل تماماً تعلم هذا التناقض في سن الرشد كما
تتعلمها في سن اكبر . فدرجة ما تكون مجرد شأن للاخلاق الحسنة .
وستكون وقاحة ان تتكلم مع مسلم ضد محمد ، او مع حاكم ضد قانون
الاعدام . من المحتمل ان يكون واجبنا الاجتماعي التعبير عن الآراء في
اي من هذه المواضيع العامة ، ولكن من الصعوبة ان يكون من واجبنا
التعبير عنها بصورة شخصية في الأحياء ، حيث تسبب الألم والغضب .
لا اعتقد ان التربية الحرة بحاجة لجعل الولد او البنت غير مقدر للاخلاق
الطيبة ، ولا لتلك الدرجة من السلوك المناسب الخارجي التي تتطلبها
الحياة العادية . ولا أظن ان ألم التناسب بعد تربية حرة يكون تقريباً
هكذا عظيماً مثل الألم المسبب بواسطة الارتباك الذي انغرس في مجرى
التربية العادية . هذا هو حد للسؤال الأول .

أما السؤال الثاني فيذهب أعمق من ذلك . ان عالمنا يحتوي على شرور
محزنة ، بالامكان معالجتها اذا رغب الناس في ذلك . وأولئك الذين يدركون

هذه الشرور ويحاربون ضدها ، من المحتمل انهم في الحقيقة عديم في كل يوم سعادة اقل من اولئك الذين يرضخون للوضع الراهن . ولكن بدلاً من سعادة كل يوم فانه سوف يكون عديم شيء ما ، والذي انا من جانبي اقدره اكثر سموً لكل من نفسي وأطفالي ، انه سيكون عديم العقل لعمل ما يقع ضمن طاقتهم لجعل العالم اقل ألماً . كما سيكون عديم اعتبار عادل للقيم عما هو ممكن للسير السهل للاذعان . وسيصبح عديم معرفة انهم بين اولئك الذين ينعون الجنس البشري من السقوط في التقاعس او اليأس . ان هذا شيء أحسن من الاقتناع بالكسل ، واذا كانت التربية الحرة تنمي هذا ، فيتوجب على الآباء ان لا يرتجفوا من الآلام الطارئة التي من الممكن ان تشمل أطفالهم .



الدين في التربة

إن الدين عقدة ظاهرية لها شكل افرادي ومظهر اجتماعي . ففي بدء العصور التاريخية ، كان الدين قديماً تماماً : وعبر التاريخ ، كان ازدياد الحضارة متوازياً مع نقص الدين . فان الاديان الباكورة التي نعرفها كانت اجتماعية اكثر مما هي افرادية : لقد كانت هناك ارواح قوية تعاقب او تكافىء جميع العشيرة حسبما يسلك افراد العشيرة بسوء او خير . فان شعور الارواح بالنسبة لنوع السلوك ذاك كان شراً او خيراً ، تؤكد بواسطة الاستيعاب ومسجلة في التقاليد الكهنوتية . فاذا دمرت هزة ارضية او وباء سكان اقليم ما ، فان الرجال الحكماء سوف يتحرون اياً من عاداتهم كانت غريبة ، ويقررون ان مثل هذه العادات يجب أن تتجنب في المستقبل . ان وجهة النظر هذه ليست بأي وسيلة سارية المفعول . لقد عرفت كاهناً في كنيسة انكليزية قد حسب ان انكسار اللسان في

الحرب العظمى كان نتيجة لشغفهم في انتقاد القوة الإلهية ، منذ ان تمسكوا في ان خالق الكون يمانع في نصوص مضمون كتاب اليهود .

ان الديانة كما ورد فيها هي في العادة تكون مصدر فكر الروابط الاجتماعية . فعندما يعمل شخص شيئاً ما غير سار للالهة ، فانهم من المحتمل ان يعاقبوه . ليس فقط الفرد المذنب ، ولكن جميع العشيرة . وتباعاً ، فان سلوكه كان ذا اعتبار عام حيث ان الشرور الخاصة تسبب مصائب عامة . إن وجهة النظر هذه لا تزال تسود قانون العقوبات . هنالك شذوذ جنسي يقاسي منه الرجال الحصر ، مع العلم انه من وجهة النظر المعقولة فان سلوكهم فقط يهم انفسهم . وأي اجراء لقصاصهم يكون في تجربة ، ويجب أن يركز على ما حل بقوم لوط ، عندما يكون فقط بإمكان سلوكهم أن يعمل اي اختلاف عن المجتمع . انها الحقيقة الهامة في ان الاشياء التي تمنع الالهة فيها تكون أشياء نادرة ، وتسبب الكثير من الضرر إذا لم يثر غضب السموات . انهم يمنعون الشخص من أكل لحم الخنزير أو لحم البقر او زواج شقيقة زوجة متوفاة . في عهد الملك دواو مانع الاله في احصاء ، وذبح الكثير منهم بواسطة وباء ، حيث ان احصائيات الملك داود قدمت بدون قيمة . ان آلهة الازتيكس Aztecs اصروا على تضحيات البشر وأكل لحومهم قبل أن يظهروا ميلاً لعبادهم . ومهما يكن ، فان النظام الاخلاقي الناجم عن الاديان كان غريباً . ويجب الاعتراف ان الدين هو الذي اعطاهم سمو . فاذا كانت أي اخلاق احسن من لا شيء ، فالدين كان اذا قوة للخير .

في حين ان الدين قد بوشر كعمل للعشيرة ، فان تطوره الباكر كان له ايضاً شأن افرادي خالص . ومنذ حوالي القرن السادس عشر قبل

الميلاد، باشرت حركات الانفصال الواسعة في العالم القديم ، واعتبرت نفسها مع الروح الافراذية ما يسميه المسيحي الحماية . فان الطاوية Taoism في الصين ، والبوذية في الهند ، والديانة الاورفيه Orphic في اليونان ، والانبياء العبرانيين جميعاً ، كانت عندهم هذه الطباع : انبثقت من ادراك ان الحياة الطبيعية مليئة بالأحزان . ومن اجل البحث عن طريق للحياة ، يجب أن يمكن الناس من تجنب سوء الطالع ، او على اقل تعديل تحمله . وليس بوقت طويل فيما بعد حين دشن بارمينيدس Parmenides التقاليد العظيمة للفلسفة الدينية بواسطة تعاليمه عن عدم حقيقة الزمن ووحدة جميع الاشياء . ومنه المنحدر افلاطون وبلوتينوس Plotinus ، آيآء سبينوزا ، وهيجل ، وبرغسون ، وجميع الفلاسفة الروحيين . ومن الانبياء العبرانيين المنحدر نوع الدين الذي يهتم اقل بالحقائق عما بالعدالة ، وهذا النوع سائد في البروتستانتية . وفي كل شكل من المسيحية ، هناك كل من عناصر الاخلاق والميتافيزيق ، نظراً لكون المسيحية نبعت من تبشير مختلط من الدين اليهودي Judaism والهلينية Hellenism . ولكن على وجه العموم ، بما ان المسيحية انتقلت باتجاه الغرب ، اصبحت اقل ميتافيزيقية وأكثر أخلاقية . فالإسلام عدا ما في ايران ، كان عنده دائماً عنصر طفيف من الميتافيزيقية ، بينما الأديان التي انبثقت من الهند كانت بصورة عامة فلسفية .

ومنذ ظهور دين الفرد ، والمبادئ الشخصية والاجتماعية في الحياة الدينية كانت في حالة حرب مع بعضها الآخر . فان الاسس الشرعية كانت بصورة مستمرة الأقوى سياسياً ، منذ انها كانت تدعم من قبل الكهنة كفريضة وتقليد ، كما هو الحال في الحكومة والقانون . إن الدين الشخصي هو شأن خاص ، ليس بأي شكل يهم المجتمع . ولكن الدين

الشرعي هو شأن ذو اهمية سياسية عظيمة . فحينما سيكون الدين الشرعي سارياً ، فان الملكية تكون مرتبطة به . والانسان بامكانه تأمين العيش بواسطة الدفاع عن معتنقيها ، ولكن ليس (او ليس سهلاً لدرجة) بواسطة معاكستها . والى الحد الذي يتعلق بالتربية ، وتكون متأثرة بالدين ، فانها تكون متأثرة ايضاً بواسطة الدين الشرعي الذي يشرف على المؤسسات القديمة ، وفي كثير من البلاد يشرف على الدولة . وحالياً في اغلب بلاد غربي اوروبا ، يسيطر الدين على تربية الاغنياء ، بينما له اقل سيطرة على تربية الفقراء . ان هذا لبعض المدى طارئ سياسي حيث لا دين واحد يكون قوياً كفاية ليفرض نفسه على الدولة . فان مدارس الدولة لا تستطيع أن تعلم نظريات مذهب خاص ، ولكن المدارس المدعومة من رسوم الطلاب ، بامكانها أن تعلم ما يفتكر الآباء انه يستحق الدفع من اجله . وفي انكلترا وفرنسا ، نتيجة لهذا الوضع ، فان الاغنياء متدينون على نطاق واسع ، اكثر من سكان المدن الفقراء . وعندما اقول انهم « متدينون » فاني استعمل الكلمة في ادراك سياسي . ولا اعني انهم ورعون ، ولا حتى ضروري انهم يقدمون موافقة للعقيدة المسيحية . ولكن فقط على انهم يدعمون الكنيسة ويصوتون معها في الشؤون التشريعية ، ويرغبون ان يكون اطفالهم تحت رعاية اولئك الذين يقبلون تعاليمها . ومن اجل هذا السبب لا تزال الكنيسة هامة .

فيا بين ذوي الافكار التحررية ، يقابل الشخص ليس بصورة مستمرة الرأي ، على ان الكنيسة قد توقفت لتكون هاملاً له وزنه في حياة المجتمع . وهذا عندي خطأ بالغ . إن قانون الزواج والطلاق في حين انه ليس تماماً ما يرغبه اغلب المتعبدین ، يحتفظ بالجنون والضرر — مثل رفض

الطلاق لأجل الوباء - والذي لا يقدر ان يبقى اسبوعاً لأجل نفوذ الكنائس المسيحية . ان خصوم المسيحية الظاهرين ماهرون في طرق عديدة بالمنافسة مع اولئك الذين أكثر تعبداً او أكثر حكمة . فعملياً العديد من المراكز ليست مفتوحة للاعلان عن الاتحاد ، والذين يتطلبون أكفاء أكثر للتوصل الى نجاح عما يكون مطلوباً من قبل الارثوذكس .

إنها في التربية أكثر مما في اي مكان آخر ، حيث إن الدين الشرعي يكون هاماً في الوقت الحاضر . ففي انكلترا جميع المدارس العامة وعلى الغالب المدارس الاعدادية تكون انجيلية او رومانية كاثوليكية . يقال بعض المرات ، من قبل الآباء المفكرين الأحرار الذين يرسلون أطفالهم لمثل هذه المدارس ، إن أغلب الناس يعملون ضد تربيتهم ، وإنها تعلم كذلك الكذب للصغار نظراً الى أنهم بعد أن يكونوا قد تفاعلوا ، بإمكانهم أن يصدقوا ما هو حقيقة . إن هذا الجدال مجرد عذر من أجل الجبن الاصطلاحي ، حيث إن استعراض لحظة يظهر ليكون احصائياً غير معقول . والغالبية الكبرى من الراشدين يمتقدون من خلال الحياة ، أغلب ما تعلموه في شبابهم . وتبقى البلاد لعصور مها كانت ، بروستانت ، كاثوليك ، ومحمدية ، وفي النهاية إذا كان إيمان التفاعل حقيقة ، فإنه يتوجب عليهم أن يغيروا دينهم في كل جيل . إن الرجال العديدين الذين يقدمون مثل هذا الجدال من أجل أن يعلم أطفالهم الاستقامة ، يظهرون بواسطة قيادتهم ، كم كان قليلاً تفاعلهم ، فإذا كنت تعتقد شخصياً أن إثنين وإثنين تكون أربعة ، ولكن تتجنب ادعاء هذا الرأي والتمسك به صواب ، في حين أن الأموال العامة يجب أن تصرف في تعليم أطفالك وأطفال الآخرين على أن إثنين وإثنين تكون خمسة . فإن رأيك للمؤثر ،

من وجهة النظر الاجتماعية ، على أن إثنين وإثنين تكون خمسة ، وأن اعتقادك الشخصي الخاص يصبح غير هام . وهكذا أولئك الذين بينا هم أنفسهم ليسوا متدينين ، يعتقدون أن التربية الدينية تكون مرغوبة ، وبذلك لم يعملوا في أي أسلوب فعال ضد تربيتهم الدينية مهما يمكن أن يحتجوا بالنقيض .

الكثير من أولئك الذين لا يقدمون أي موافقة تبصيرية لمعتقدات الدين ، يتمسكون أن الدين مهما يكن هو غير ضار ، وربما مفيد . ففي هذا الحد أجد نفسي على رأي واحد مع الارثوذكس ، وكعارض لما يسميه المفكرون « الأحرار » : انها تظهر لي أن القضية سواء كان هناك إله ، وسواء سنستمر بعد الموت ، يكون من المهم التفكير بصواب بقدر الإمكان في هذه الأمور . ليس بإمكانني أخذ وجهة نظر السياسي التي حتى إذا لم يكن هناك إله ، فانه من المرغوب أن يفكر أغلب الناس أن هناك إله ، منذ كان الاعتقاد يشجع على سلوك الفضيلة . وحيث يكون الاطفال معنيين ، يختار العديد من المفكرين الأحرار هذه الصفة وهي : كيف بإمكاننا أن نعلم الأطفال ليكونوا جيدين . إنهم يسألون إذا لم تعلم الديانة ؟ فكيف بإمكاننا تعليمهم ليكونوا جيدين . إنني أجيب ، إذا كذبت كمادة او بحرية عليهم في موضوع ذي أهمية عظيمة . كيف بإمكان اي قيادة مهما كانت واقعياً مرغوبة ، ان تحتاج الى أي اعتقاد كاذب ؟ فاذا لم يكن هناك أي جدال مستمر لما تعتبره سلوكاً « جيداً » فان نظريتك عن الجودة يجب أن تكون على خطأ . وفي أي حال ، فانها سلطة الأبوة أكثر من الدين التي تؤثر على الأطفال . وما يفعله الدين بصورة عامة هو ليعطيهم شعوراً معيناً ليس دائماً مرتبطاً مع الأفعال ،

ولا غالباً مرغوباً جداً . وما لا شك فيه يكون لهذا الشعور بصورة غير مباشرة على السلوك ، في حين لا يرغب ، كما يعترف المربون الدينيون ، بأي وسيلة مثل هذه التأثيرات . وهذا الموضوع سأعود اليه فيما بعد .

إن التأثيرات السيئة للتربية الدينية تعتمد جزئياً على التعاليم الخاصة التي تعلم ، وجزئياً على مجرد الاصرار ان مختلف المقترحات المشكوك فيها تعرف لتكون صحيحة . سواء هذه المقترحات تكون في الواقع صحيحة أو لا يحتمل ان تكون غير مكتشفة ، لكن في المحاولة لعمل الأحداث تعتبر أكيدة ، فإن أساتذة الدين يعرفون ما هو الكذب سواء كان صحيحاً في الواقع أم لا . إن المقترحات المعينة تكون بصراحة غير أكيدة . خذ على سبيل المثال ، الحياة المقبلة . ففي هذا الشأن يعترف الرجال الحكماء بجهلهم : الإثبات ليس كافياً ، والشك في الحكم هو الصفة الوحيدة المعقولة . ولكن الدين المسيحي قد أعلن في صالح حياة المستقبل ، والأحداث الذين ينمون تحت تأثيره يتعلمون اعتبار البقاء بعد الموت تعييناً . « ماذا يعني الكون ؟ » إن القارئ يقول : « الاعتقاد مريب ، وليس بمقدوره أن يعمل أي ضرر » ، إنني أود ان اجييب انها تعمل ضرراً في الطرق التالية :

أولاً - إن أي طفل ذكي بصورة خاصة ، يكتشف بواسطة التأملات ، أن الجدال من اجل الشر يكون غير شامل ، وسوف لا يشجع من قبل أساتذته ، ولربما حتى يعاقب ، وأن الاطفال الآخرين الذين يظهرون أي ميل ليفكروا على غرارهم سوف لا يشجعون على التحدث على مثل هذه المستويات ، واذا أمكن 'ينمون من مطالعة كتب يمكن ان تزيد معرفتهم وقوة حججهم .

ثانياً - طالما أن الناس الذين ذكاؤهم فوق المعدل بكثير ، مشككون في هذه الأيام علناً أو سراً . فالأساتذة في المدارس التي تصر على الدين ، يجب ان يكونوا سواء بلهاء او مغرورين ، ما لم يكونوا ينتمون لتلك الفئة الضئيلة من الناس ، والذين نظراً لبعض الغرائب ، عندما مقدرة إدراكية بدون الحكم الإدراكي . فما يحدث عملياً هو ان الناس الذين يميلون لاختيار مهنة التدريس ، باثروا في عمر باكر ، في قفل عقولهم ضد الأفكار الخطيرة ، وأصبحوا جبناء عاديين ، أولاً في اللاهوتية ، وحينذاك في التبدل الطبيعي ، وفي شيء آخر . مثل الثعلب الذي أضع ذنبه ، انهم يقولون للتلميذ ، انه جيد أن يكون جباناً تقليدياً ، بعد ان يكونوا قد عملوا هذا لفترة كافية من الزمن ، فان موهبتهم تكون معروفة من قبل السلطات ويرفعون الى مراكز السلطة . ان نوع الرجل الذي بإمكانه الاحتفاظ بوظيفته كمدرس ويعمل بنجاح في مهنته ، يكون هكذا على نطاق واسع مقررأ من قبل اللاهوتيين أو الاختبارات الاخرى، وبصورة قاطعة او غير قاطعة ، يحدد اختيار الاساقفة ، ويستثنى من مهنة التدريس أغلب الذين يكونون الأحسن ملاءمة لتطویر الأحداث من الطرفين إدراكياً وعقلياً .

ثالثاً - انه من غير الممكن تنمية الروح العلمية في الأحداث طالما أن اي افتراضات تكون معتبرة كمقدسة وليست مفتوحة للسؤال . ومن خلاصة الصفات العلمية انها تتطلب إثباتاً لما يعتقد به ، ويتبع الإثبات بدون أي اعتبار للاتجاه الذي توصل اليه . فحالما تكون هناك عقيدة لتدار ، فانه من الضروري إحاطتها بالشعور والمحرمات . وأن تقول بعبارات لها صداها بلهجة شجاعة يحتويها الصدق «العظيم» ، وأن تضع

احكام الصديق علاوة على تلك التي تخص العلم ، واكثر خاصة شعور القلب والتأكيدات السلوكية للناس « الطيبين » . ففي الأيام العظيمة للدين ، عندما اعتقد الناس ، كما فعل توما الأكويني ، في أن السبب المحض بإمكانه ان يظهر الافتراضات الأساسية للديانة المسيحية . فالإيمان كان غير ضروري في « خلاصة » القديس توما St. Tomas' s. Summa ، انها باردة ومعقولة كديفيد هيوم . ولكن تلك الأيام مضت ، والإيمان الحديث يسمح لنفسه استعمال كلمات مشحونة بالشعور كي تنتج في مطالعها وضعا فكريا به الاقناع المعقول لأي جدال سوف لا يكون متفحصا بدقة شديدة أن فرض الشعور والإيمان يكونان دائما إشارة الى الحالة السيئة . تصور أساليب المدافعين عن الدين المنطبقة في افتراض ان $4 = 2 + 2$. النتيجة ستكون شيئا كما يلي : (ان هذه الحقيقة معترف بها على التساوي من قبل رجل الأعمال المنهمك في مكتبه ، ورجل الدولة المنهمك في حسابات الضرائب القومية ، ومن قبل كاتب دائرة التسجيل في جهوده لتلبية طلبات ما يعرف بساعات الازدحام ، ومن قبل الطفل البريء ، يشتري الألعاب ليسر شقيقه الطفل ، ومن رجل الأسكيمو المتواضع يعد صيده من السمك على الشواطئ المتجمدة للقطب الشمالي . هل بإمكان توافق كبير ان ينتج بواسطة اي شيء خلاف الاعتراف الانساني العميق للحاجات الروحية الملحة ؟ هل نصفي الى المشككين الحاسدين ، والذين سوف يحدوننا الميراث اللامع للحكمة ، التي انحدرت لنا من أزمنة أقل من ان تمس بالتحديد ما لعصرنا عصر الجاز ؟ كلا ، ألف مرة كلا . ولكن يمكن ان يشك فيها سواء تعلم الاولاد الحساب أحسن بهذا الأسلوب اكثر مما بواسطة ذاك السلند حاليا .

لمثل هذه الاسباب التي كنا نبحثها ، فان أية عقيدة لا تأثير لها على ما هو محتمل ان يكون ضاراً في التربية ، عندما تكون معتبرة معفاة من التدقيق الادراكي الذي يكون عرضة لها اعتقادنا العلمي . هناك ، مهما كان ، موانع خاصة مختلفة لنوع الارشادات الدينية ، التي في البلاد المسيحية تكون نسبة كبيرة من الاطفال عرضة لها .

ففي المكان الاول ، الدين قوة محافظة ، تحتفظ بكثير مما كان سيئاً في الماضي . وقد قدم الرومانيون تضحيات بشرية للآلهة قديماً منذ الحرب البونية الثانية ، ولكن علاوة على الدين فانهم لم يكونوا قد فعلوا اي شيء بربري هكذا . ونفس الشيء في يومنا الحاضر ، فالبشر يعملون اشياء عن شعور ديني ، وهي منفصلة عن الدين ، انها تظهر بصورة لا تطاق صارمة .

ان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية لا تزال تعتقد بجهنم . والكنيسة الانجيلية ، نتيجة لقرار الاعضاء في المجلس الخاص ضد معارضة رئيس كهنة كنتربري ويورك ، لا تعتبرها مثل *de fide* .

ومهما يكن ، فان اغلب الكهنة الانجيليين لا يزالون يعتقدون بجهنم . وجميع الذين يعتقدون بجهنم يجب ان يعتبروا العقاب الانتقامي جائزاً ، ولذا يكون عندهم انصاف خيالي للأساليب الجائزة في التربية ومعاملة المجرمين .

ان الاغلبية الكبرى من رؤساء الدين يساندون الحرب عندما تحدث ، في حين انهم في حالة السلم يكونون غالباً مصلحين ^(١) . ففي مساندة

(١) في هذا الموضوع ، طالع الشاهد في جود ، تحت الاسناد الخامس ، صفحة ٦٩ .

الحرب ، يمنعون صلاحيات مطلقة لإدانتهم . ان الله يجانبهم ، يقدم المساندة الدينية لقصاص الناس الذين يفكرون ان المحازر العامة غير حكيمة . بينما العبودية قائمة ، فان الجدال الديني أوجد لمساندتها . ففي وقتنا الحاضر ، أوجد جدالاً مماثلاً في مساندة استغلال الرأسمالية . وغالباً جميع تقاليد الظلم وعدم العدالة تكون مدعومة من قبل دين منظم الى ان ترغب الحاسة الاخلاقية للمجتمع على تغيير الجبهة .

وفي المكان الثاني ، فان الدين المسيحي يقدم الراحة لأولئك الذين يتقبلونها ، والتي يكون مؤلماً الحصول عليها وتحملها عندما يضمحل الايمان . الايمان بالله وحياة المستقبل تجعلها ممكنة لتمر عبر الحياة بأقل من الشجاعة الهادئة عما هو متطلب من قبل المشككين . وعدد ضخم من حديثي السن يفقد الايمان في هذه الاعتقادات ، وفي عمر حيث يكون اليأس سهلاً . وهكذا علينا ان نجابه تعاسة متزايدة عن تلك التي حلت لعدد من اولئك الذين لم يكن عندهم تهذيب ديني . تقدم المسيحية مبررات لعدم الخوف من الموت او الكون ، وفي عملها هذا اثبتت فشلها في تعليم كفاية فضيلة الشجاعة .

ان الشوق للايمان الديني كان بصورة كبيرة حصيلة الخوف ، فان المحتاجين للايمان يميلون للتفكير ان انواعاً معينة من الخوف لن تكون محتجاً عليها . وهم مخطئون ، برأيي ، في السماح لنفس ما ان ترحب باعتقادات غير سارة كوسائل لتجنب الخوف ، وليس للعيش في اسلوب أحسن . ولحد ما ، الدين يحملها تستأنف الخوف ، وتحط من كرامة البشر .

في المكان الثالث ، لما يؤخذ الدين يجد فهو يشمل استعراض هذا العالم كشيء غير هام بالمقارنة مع التالي ، الذي يقود الى المساندة العامة للتجارب التي سببت باقي التعاسة هنا على الارض . وإنها ستقود الى السعادة في السموات .

ان المخطط الرئيسي لوجهة النظر هذه هو شؤون الجنس ، التي سوف أبحثها في الفصل التالي . ولكن هناك بدون شك في الذين يتقبلون التعاليم المسيحية بواقعية وتعمق ، ميل لخفض مثل هذه الشرور كالفقر والمرض على الارض ، انهم ينتمون فقط الى هذه الحياة الارضية . وهذه التعاليم تقع في ملاءمة تامة مع مصالح الاغنياء ، وربما يكون احد الاسباب في ان اغلب القادة البلوقراطيين هم متدينون بعمق . فاذا كانت هناك حياة مقبلة ، وكانت السماء مكافأة للمآسي هنا على الارض ، فأننا نفعل صواباً لتأخير تحسن الاحوال الارضية . ويجب ان نعجب بعدم انانية رؤساء الصناعة الذين يسمحون للآخرين بمحصر الاحزان المفيدة المختصرة على الارض . ولكن اذا كان الاعتقاد فيما بعد خاطئاً ، فعلياً ان نتخلص من المادية للظل ، وسوف نكون نتمساء كأولئك الذين يطورون فترة حياتهم للتوفير في المؤسسات التي تعلن افلاسها .

أما المكان الرابع ، فهو تأثير تعاليم الدين على الخلق وجعله شيئاً في سبل مختلفة . انه يميل لتنمية الاعتماد على النفس ، خاصة عندما تكون متحدة مع الاعتراف بواسطة تعليم الأحداث الاتكال على السلطة ، وغالباً تجعلهم غير قادرين على توجيه أنفسهم . لقد عرفت أناساً تلقوا ثقافتهم كالرومانين الكاثوليك ، عندما يفقدون إيمانهم يسلكون طرقاً يجب أن تعتبر مؤسفة . بعضهم سوف يقول إن مثل هؤلاء الناس أظهروا

وحدة الخلق الديني ، ولكن عليّ أن أقول العكس تماماً ، طالما إن ضعف
العزيمة التي أظهروها ، تكون نتيجة مباشرة لتربيتهم . وعلاوة على ذلك
عندما يقدم الدين كالمبرر الوحيد للخلق ، فإن الشخص الذي يتوقف عن
الاعتقاد في الدين ، من المحتمل أن يتوقف عن الاعتقاد في الخلق . إن
بطل صموئيل بطار في طريق كل اللذة اغتصب الخادومات ، حالما زالت
مسيحيته . وهناك الكثير لاسباب الأصوات في عدم اغتصاب الخادومات
ولكن الشاب صاحب العلاقة لم يكن قد تعلم أيّاً منها . لقد تعلم فقط
أن مثل هذه الأفعال هي غير سارة للإله . ونظراً لحقيقة أن ضياع
الإيمان في يومنا هذا هو ظاهرة محتملة تماماً ، فإنه من السفاهة تركيز
جميع الأخلاق حق أقل مما هو ضروري جداً على أسس محتملة هكذا
في إفساح الطريق .

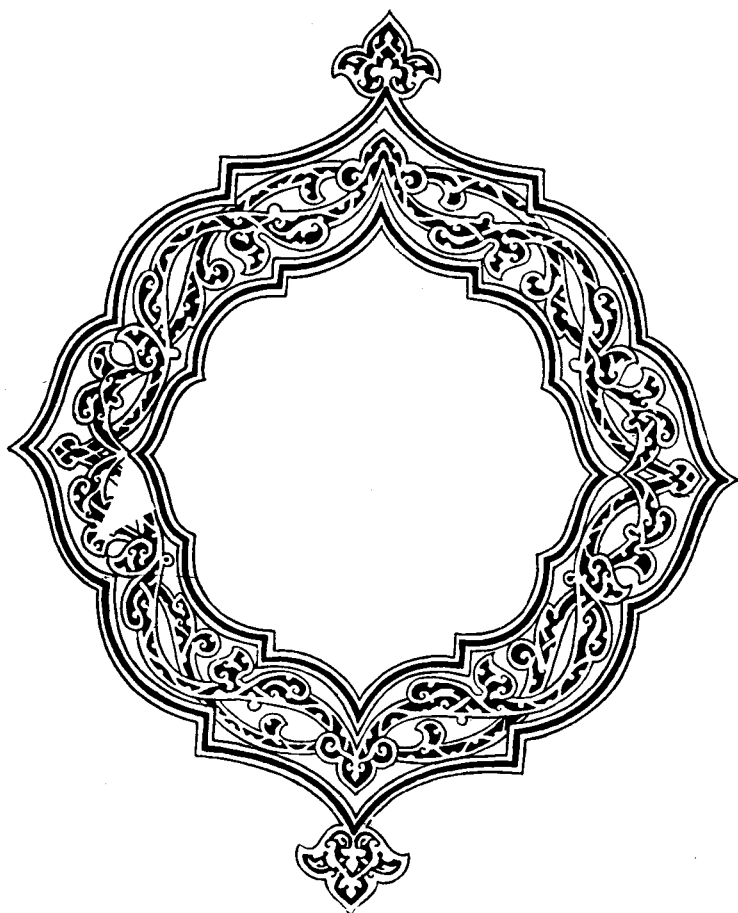
هناك وجهة نظر أخرى غير مرغوبة للتربية الدينية ، وهي أنها تخفض
تقدير الفضائل الإدراكية . إن الإنصاف الإدراكي عنصر هام جداً ، ويعتبر
بالتأكيد شيئاً في المحاولات المستمرة لإدراك الشؤون الصعبة التي تستعرضها .
إن الأفراد الذين تتمسك بهم بإعجاب في يومنا الحاضر هم أشخاص
قادرون من الدرجة الأولى بالذكاء . وعندما يكونون ، فإنه بسبب بعض
الجنون الذي منعه تعبيراً في لحظة جنونية . ونظراً لتعريف الدين مع
الفضيلة في حقيقة أن أغلب الرجال المتدينين ليسوا الأغلب ذكاء ، فإن
التربية الدينية تمنح شجاعة للأبله ليقاوم سلطة الرجال المتعلمين كما حدث
على سبيل المثال ، حيث جعل تعليم التطور غير شرعي . وبقدر ما بإمكانني
أن أذكر ليست هناك كلمة واحدة في الكتب السماوية في مدح الذكاء ،
وفي هذا الصدد يتبع رؤساء الدين تعاليم الكتب السماوية أكثر مما ورد

في سواها . وهذا يجب أن يعتبر كمعطب خطير في الأخلاق التي تدرس في المعاهد المسيحية التربوية .

إن العطل الأساسي في السلوك المسيحي يحتوي على واقع انه يصنف درجات معينة من أفعال الخطايا والفضائل الأخرى ، بداعي انه ليس لها اي شيء لتعمله بنتائجها الاجتماعية . والسلوك غير المستحصل عليه من الوهم يجب أن يقرر أولاً على نوع التأثيرات الاجتماعية ، التي ترغب في الحصول عليها والأنواع التي ترغب تجنبها . فعليها اذاً أن تقرر بقدر ما تسمح به معرفتنا ما هي الأفعال التي سوف تنمي النتائج المرغوبة . وهذه الأفعال سوف تمتدح ، في حين أن أولئك الذين عندما ميل معاكس سوف تدينهم . إن علم الاخلاق البدائي لا يسير في هذا الطريق . فانهم يختارون أساليب معينة للسلوك من أجل الانتقاد لأسباب تكون قد فقدت في تخلف تطور السلالة . وعلى الاجمال فيما بين الأمم الناجحة ، فان الفصول المدنية تظهر لتكون ضارة ، وفصول المديح لتكون مفيدة . ولكن هذا ليس هو الحال فيما يخص كل تفصيل . هناك أولئك الذين يتمسكون في أساس الحيوانات كانت أليفة لأسباب دينية ، وليس من الوحدة ، ولكن العشائر التي حاولت تدجين التمساح او الاسد أبيدت . بينما أولئك الذين اختاروا الاغنام والابقار ازدهروا . ونفس الشيء حيث تنازعت عشائر بسلوك مختلف ، وأولئك الذين شريعتهم استوعبت اخيراً ، من المحتمل ان يتوقع منهم ليكونوا منتصرين . ولكن ليس هناك شريعة من أصل خيالي بإمكانها ان تفشل لتحتوي على الجنون . مثل هذا الجنون يوجد في الشريعة المسيحية ، في حين انه اقل حالياً عما كان سابقاً . إن تحريم العمل نهار الأحد بالامكان الدفاع عنه بتعقل ،

ولكن تحريم اللعب والملذات لا يمكن ذلك . وتحريم السرقة يكون على وجه العموم سليماً ، ولكن ايس عندما يطبق كما كان بواسطة الكنائس في المانيا في الحرب الماضية ، لمنع الحيازة العامة للملكية الامراء المبعدين . إن الأصل الخرافي للأحكام المسيحية هو واضح جداً في قضية الجنس ، ولكن هذا موضوع كبير لدرجة ، انه يتطلب فصلاً منفرداً .





الجنس في التربية

إن الآراء التي يهتم بها الراشدون المتحضرون في موضوع خلق الجنس ليست بصورة غير مستمرة مختلفة تماماً عن تلك التي يرغبون في تعليمها لأطفالهم . هناك نظام خلقي تقليدي لا يزال مقبولاً بكل اخلاص من قبل فئة من السكان ، ولكنه مقبول من قبل الآخرين اسماً فقط وكقضية احترام . وعلى العموم ، فإن أولئك الذين تكون آراؤهم في قضية الجنس تقليدية ، عندما ثقة في الإعلان والوعظ لتعاليمهم ، أكثر من أولئك الذين يستعرضون النظام التقليدي بشك . وأولئك الذين يكونون مستعدين في سلوكهم وعن رأيهم في السلوك الخاص لأصدقائهم ليكونوا إباحيين ، تكون نادراً واضحة تماماً لما قد يكون مستوام ، ولا تزال نادراً أكثر ليرغبوا في التعبير علناً عدم الموافقة بالنسبة للنظام السائد . وعلاوة على ذلك فإنهم يميلون الى التفكير في أن قوة المواطف الجنسية تكون مؤكدة

لتقود الرجال والنساء الى أفعال منافية لأي نظام يمكن أن يتمسكوا به . وأن الدرجة الصحيحة للحرية في الأفعال تكون محتملة جداً ومصونة ، عندما تكون النظرية اكثر صرامة من الاعتبار الشديد لأجل من يتطلبه الصدق .

فالشخص الذي يفكر أنه ليس بأي حال ، ومهما كان الاتصال الجنسي ، خارج الزواج منصفاً ، يمكن ان يحصل تحت تأثير الحب العميق يشعر انه في هذه الحالة الخاصة ، تكون الظروف غريبة لدرجة كي تسمح لتراخي النظام . ان الشخص الذي يفكر ان الحب العظيم ينصف العلاقات خارج الزواج يميل للافتراض أن تخيلاً عابراً ، يكون حباً عظيماً . والانسان الذي يفكر ان التخيلات العابرة شرعية ، شريطة ان تكون مشتركة وليست مأجورة ، من المحتمل انه يحاول ان ينسى الاشتراكية ، ويقدم الاعتبارات المأجورة سرّاً . ففي مثل هذه الطرق ، يميل أغلب الناس لحرية اعظم في الافعال بدل النظريات . ولذا ففي بحث اي نوع من حرية الجنس ، فانها دائماً ضرورية لتذكر ان الحرية التي سوف تؤخذ ، من المحتمل ان تفوق ما يبحث .

ومهما كانت وجهة النظر التي من المحتمل ان تؤخذ فيما يتعلق بالسلوك الجنسي الصحيح للراشدين .

هناك عدد من المسائل تتعلق بالتربية الجنسية للأطفال ، والتي بالامكان اعتبارها بدواعي العقل والادراك وبدون إثارة اي مخارج اساسية . انها العادة في ترك التربية في أيدي اشخاص جهلاء لدرجة ، متصلبين ومحدودي التفكير . ان اطفال الاغنياء يتركون في سنواتهم الاولى على نطاق واسع

في ايدي الممرضات ، اللواتي يكن عادة عازبات ، وغالباً معتدلات .
فعمدا يصبحون فيما بعد تحت رعاية نساء اكثر ثقافة ، فان هؤلاء النساء
لا يزلن كقاعدة عازبات ، ومن المتوقع ان يكون عليهم ان يصبحوا من
ذوي السلوك الاخلاقي المستقيم . وهذا يعني انهم جبناء وخائفون من
الحقيقة . وتعني ايضاً ان آراءهم عن الجنس تكون عنيفة ، ولكن بدون
معرفة . ان اساتذة المدارس بينما هم بدون حاجة ان يكونوا عازبين ،
يتوقع ان يكون عندهم سلوك عال . وهكذا تقرر مسائل عملية بأحكام
تقليدية اكثر مما يكون بواسطة السيكولوجية العلمية ، وان أغلبهم سوف
يفكرون بمقلية الاطفال في ان الجنس موضوع قدر يتعلق فيما يكون
أحسن ليبقى جاهلاً . ومن النتائج الضارة لجهلهم انهم يبقون برحة
غير مدركين .

ان اغلب الاطفال في سن السنتين ، يكونون قد تعلموا ان يعتبروا
اعضاءهم الجنسية وآم ، كما في بعض الطرق السرية المزعجة التي تتطلب
ان تعامل في طريقة خاصة تماماً . انهم يذكرون حاجاتهم الطبيعية بهمس
او بواسطة الإيماء ، واذا شوهوا يلمسون تلك الاعضاء لحيويتهم ، والتي
تعتبرها المربيات لا تمس ، فأنهم يوبخون بعنف .

لقد عرفت رجالاً ونساء رأتهم امهاتهم متصلبين عندما كانوا اطفالاً
صفاراً ، وأخبروهم انهم يفضلون ان يروم امواتاً (هذا ليس بأي
وسيلة غير مألوف) . انني آسف للقول انهم لم يظهروا مخططات
الفضيلة السائدة .

ان العادة السرية عالمية تقريباً فيما بين الاولاد حديثي السن وتقابل
بتهديد خطير . ففي المانيا كما يتعلم المرء من فرويد ، يخبر الاولاد ان

طائراً غريباً سوف يأتي ليمزقهم ، واذا رأوا بأي صدفة فتاة عارية فانهم من المحتمل ان يفكروا انها واحدة من التي حدث لها هذا . ان حقائق من هذا النوع معروفة جيداً لقراء التحليل النفسي ، ولكنها غير شرعية لمثل هذه الآداب لتقرأ ، ومن المحتمل ان تعمل ضرراً نظراً لعدم قراءتها .

ان الاضطراب العصبي في الحياة المتأخرة هو بصورة مستمرة عائد للتهديد ، كما لنتائج العادة السرية ، التي بها يكون الأحداث مذعورين . يجب ان يخبر الاولاد اثناء حياتهم المدرسية بواسطة اساتذة المدرسة ان العادة السرية توصل الى الجنون ، ولكن العادة السرية بحد ذاتها طالما انها كليا مهمة من قبل الراشدين ، تعمل ضرراً قليلاً جداً ، خاصة في عهد الطفولة .

إن السرية بالنسبة لأسلوب كيف يأتي الاطفال للعالم لها الكثير من التأثيرات السيئة . ففي المكان الاول ، تشمل الاعتقاد أن بعض المعرفة يكون سيئاً ، وبصورة خاصة أكثر ، تلك المعرفة الهامة تكون ضارة . وعليها أن تكون احدى القواعد الأساسية لأي نظرية سليمة في أن جميع المعرفة تكون جيدة ، وانه لهذا لا يوجد أي استثناء ، ما كان بالامكان الاعتراف به . ان الطفل الذي يجد غريزته الطبيعية في اتجاهات معينة ، تقابل بالتقطيب والمباغلة يتعلم ليفترض أن المعرفة تكون جيدة عندما تكون غير هامة ، وسيئة عندما تكون هامة . ففي هذا الأسلوب تصبح الفرائز العلمية معاكسة للفضيلة ، وجهود الطفل لتكون جيدة تصبح جهوداً لتكون بلهاء ، وغالباً جداً يكون النجاح مأسوفاً عليه . من أجل البنات ، سيكون سيئاً جداً أن يتركوا في جهل لحقائق الحمل . والبنات

يميلون ليشعروا بأنفسهم دون الأولاد ، ويرغبون لو أنهم كانوا أولاداً .
وطالما أنهم لا يعرفون شيئاً عن الحمل ، فانه يظهر لهم كأن الرجال
أفضل من النساء على الغالب في كل شيء . لقد رأيت بناتاً يحصلن على
احترام جديد لجنسهن في اقتناع جديد لكونهن بناتاً ، حاملات يصبحن
يعرفن الدور الذي تلعبه النساء في إنجاب الأطفال . ولكن اذا أخبر
الأطفال عن دور الأم بدون أن يخبروا عن دور الأب ، يكون هناك
عدم انصاف لانطباعات الأولاد ، ولذلك يشملهم سكوت تام تجاه البنات .
وعلاوة على ذلك ، يكون الأطفال الشغوفون بآبائهم مسرورين في ان
يعرفوا ان لهم علاقة جسدية معهم وللبنات كذلك لإدراك دور الأم
في الحمل .

هناك تأثير سيء لسياسة السكوت عن حقائق الجنس ، وتسبب للأطفال
معرفة ان والديهم يكذبون عليهم . ان الأطفال عامة يحدون الحقيقة
بسرعة اكثر مما يفترض الآباء ، وبعد أن يكتشفوها ، فإنهم ليس بصورة
غير مستمرة يتابعون طرح الأسئلة على آباءهم ، وتسجيل الأجوبة غير
الصحيحة مع انتقادات شابة معينة . إن الكذب على الأطفال ، في حين
ان الأخلاقيين لا يفكرون هكذا ، هو عمل غير مرغوب ، وأي علم
اخلاقي يتطلبه ، من الصعوبة ان يكون سليماً .

إنه من المهم ان المعلومات عن المواضيع الجنسية يجب ان تعطى تماماً
بنفس اللهجة ، ونفس الشيء في المعلومات عن المواضيع الاخرى . وأن
تعطى بنفس الحديث المباشر . هناك مدرسة معينة للأفكار تعتبر ان
الأطفال يجب ان يخبروا اولاً عن حب الأزهار ، وبعدها عن اللعب البريء
للسراطين ، وفضل بعد مقدمة لعلم الحياة عن سلوك آباءهم الخاص والتي

مع هذا الوقت سوف يفكرون انهم يتطلبون اعتذاراً معقداً جداً . ان الراشدين المحرومين هم فقط الذين يشعرون ان هذه المقدمة الطويلة ضرورية . وبالنسبة للطفل ، اذا لم يكن فاسداً بواسطة اعتدال الاكبر سناً من رفاقه ، فان الجنس يظهر تماماً انه موضوع طبيعي مثل اي موضوع آخر . فاذا كان الوالدان أنفسهم غير قادرين للتكلم طبيعياً في هذا الموضوع ، فيجب ان يدعوا أطفالهما يتكلمون اليهم من قبل شخص آخر أقل تمسكاً بالتقاليد والحرمان .

وقبل البلوغ ، لا توجد هناك اي صعوبة مهما كانت في جعل الطفل يبقى طبيعياً بالنسبة للجنس ، ويستعرض ذلك كما في المواضيع الاخرى . هذه الفكرة تهدف اليها عبر الحياة ، ولكن بعد البلوغ تصبح اكثر صعوبة في التوصل اليها . ولكن الصعوبة حتى بعد البلوغ سوف تكون أقل بكثير عندما ينمون بصحة سليمة اكثر مما عندما تكون عقولهم قد امتلأت بالرعب والحرمان غير المعقول .

ان المعضلات التي ظهرت مع الاولاد والبنات الاكبر سناً ، يكون من الصعب معالجتها بعيداً عن النظرية الجنسية الواقعية . وجهة النظر العادية هي ان ضبط النفس الكامل يجب ان يهدف اليه ، وليس بالامكان ان يعمل اي ضرر . ففي انكثرتا ، جميع الخبرة الجنسية السارية تكون ممنوعة بواسطة فصل الجنس ، عدا في حالة القليل غير العادي من الشباب النشيط . هناك باستمرار ميل فيما بين الاكثر نشاطاً للاتصال الجنسي الشاذ ، وفيما بين المتعزلين للعادة السرية . الاولاد يُنخبرون والكثير منهم يصدقون ان هذه الممارسة تكون شريرة وضارة . وانه عليهم ان يكونوا سريين طالما لم يكتشفوا ، فانه ينزل بهم قصاص صارم . وطبعاً الاكتشاف على

نطلق. واسع يكون أمره صدفه ، ولذا فان القصاص يقع في أسلوب متقلب جائر . ولكن الخوف من القصاص وعملية الاخفاء لها اثر سيء على اولئك الذين يبقون غير مكتشفين .

ففي المدارس العامة ، هناك ميل لتضحية الذكاء في سبيل الفضيلة بواسطة حفظ الاولاد دائما مشغولين ومتعبين جسدياً ، وذلك كي لا يكون عندهم فرصة ولا ميل للجنس . ان النظام الساري هكذا له الاضرار التالية : أولاً ، يفرس رعباً وهمياً في عقول الاولاد . ثانياً ، بسبب نسبة كبيرة من الخداع المحصور . ثالثاً ، يجعل الفكر والشعور في المواضع الجنسية مشيناً ووهيمياً . رابعاً ، بسبب تشوقاً فكرياً يظهر مخطئاً ومدمراً ، أو يصبح مؤذياً قذراً ، يقود لعدم تشجيع الراحة وكذلك نحو الادراك .

بالرغم من هذه الشرور للنظام الحاضر ، فانها ليست سهلة ولها نقص في التحول الكامل في جميع النظام السلوكي ، ولتخيل اي نظام متحرر من الموانع المحزنة . فمن البلوغ الى الزواج ، يكون مع اغلب الرجال في المجتمع ، امتداد معتبر من السنين . حتى تقديرها يصعب مرغوباً . وانه عليهم ان يقضوا تلك السنوات في ضبط النفس التام ، ومن المؤكد ان اغلب الرجال لن يعملوا هكذا . علاوة على ذلك ، ما دام النظام السلوكي الحاضر قائماً ، فانه بإمكانهم بصعوبة ان يشنوا عنها بدون بعض التخريب . ان قضاء وقت مع النساء العاهرات شيء سيء . أولاً : بداعي خطر الامراض . ثانياً : لأن الدعارة مهنة غير مرغوبة ، وفي اي حال ينظر الى العاهرات باحتقار . ثالثاً : اذا كانت خبرة الرجل الأولية في الجنس مأبورة وخالية من جميع الاخلاص ، فانه من المحتمل عندما يأتي للزواج ان ينظر الى زوجته ، سواء كانت داهرة او قديسة ، نظرة من المحتمل

ان لا توصله الى السعادة . ان العادة السرية بعد البلوغ ، في حين لا تسبب ضرراً بالغا كما يتظاهر علماء الاخلاق العاديون ، فمما لا شك فيه ان لها ضروراً محزنة معينة ، تظهر لتجعل الرجل منطوياً على نفسه وغير مغامر ، وبعض الاحيان تجعله غير قادر على الجماع العادي . ومن الممكن ان العلاقات الجنسية مع اولاد آخرين سوف لا تكون ضارة جداً اذا كانت محتملة ، ولكن لها هناك خطر متوقع في انها سوف تؤثر على نمو الحياة الجنسية فيما بعد . فاذا لم يفصل الجفسان عن بعضها ، فمن المحتمل ان يكون هناك نسبة كبيرة من الاتصال الجنسي فيما بين البنات والاولاد والتي لا تؤثر بحزن في التربية . ولكن سوف تسبب حالات حمل في عمر مبكر ، وذلك يكون غير مرغوب فيه .

اني لا افكر انه في الوضع الحاضر هناك برأي المجتمع والجمهور اي حل لهذه المسألة . ولربما سيأتي وقت تصبح الاضطرابات النفسية المسببة في البلوغ بواسطة نظمنا الحاضرة تعتبر يحد حيث يسمح للاولاد والبنات بنوع من الحرية المسموح بها حالياً في « ساموا » وأجزاء اخرى مختلفة في جزر الباسفيك . فاذا جعل هذا ليكون عملياً ، فانه سيكون ضرورياً لاعطاء ارشادات في عكس الاستسلام ولإيقاف الحمل فوراً ، هذا اذا حدث على اقل تعديل . ليس بإمكانني القول انني احبذ مثل هذا الاحتمال ، ولربما يمكن اكتشاف ان حصر النفس اثناء سني البلوغ ، سوف لا تفرض عبئاً غير محتمل اذا كان هناك امل في ان الحاجة اليه سوف تتوقف حوالي سن العشرين . ان هذا يمكن ضمانه بواسطة نظام القاضي « ليندسي » في الزواج المناسب . انني متأكد ان حياة الجامعة ستكون احسن ادراكياً وأخلاقياً اذا كان عند اغلب طلاب الجامعة زواج مؤقت بدون اطفال .

وهذا سوف يقدم حلاً للدافع الجنسي ، ليس مزعجاً ولا سرياً ، وغير مأجور ولا عرضياً . ومثل هذه الطبيعة التي لا تحتاج ، يستهلك وقت يجب ان يخصص للعمل .

قبل بلوغ مسألة الجنس في التربية ، بالامكان معالجتها على مستوى العقل السليم بدون الحاجة الى تكوين اي حكم محدود لدرجة عن النظريات الجنسية ، لكنه من الصعب تقدير كيف يجب ان يعالج الجنس في السنوات الدراسية الاخيرة وفي الجامعة ، ما لم يكن عندنا آراء واضحة معتدلة فيما تفكر انه صادر من ثلاثة مصادر رئيسية : اولاً : الاصرار على فضيلة الزوجات التي هي ضرورية لإقامة اسرة أبوية . ثانياً : التعاليم المسيحية في ان جميع الجنس غير المتزوج هو مخطيء . ثالثاً : التعاليم الحديثة المطلقة لمساواة النساء . فمن هذه العناصر الثلاثة يكون ذاك الصادر من الاسرة الأبوية هو الاقدام . ويمكن مشاهدته في الوقت الحاضر في اليابان بدون العنصرين الآخرين . ان اليابانيين متحررون من جميع الحرمان الجنسي ، وسلوكهم الجنسي يحتوي على قليل لما هو وممي . لا توجد هناك اية ظواهر لمساواة الجنس ، والنساء يبقين بحزم تخاضعات للرجال . ان العائلة الأبوية مقامة بثبات لدرجة بالغة ومفروضة بواسطة رضوخ الزوجات اكثر من جميع تعاليم الاخلاق . والاولاد الصغار مسموح لهم بالمعرفة الجنسية والحديث الجنسي والمسرحية الجنسية لدرجة تكون مذهلة للأوروبي . إن اخلاقية البلوغ هي واحدة تنطبق فقط على النساء ، وقرض عليهن بدون رحمة سلطة الرجال المثالية . وهذا النظام قديم ، كان تقريباً عالمياً في حضارة ما قبل المسيحية .

ان الديانة المسيحية الباكورة قدمت الاعتقاد في ان هناك شيئاً ما غير

نقي عن الجنس ، حيث انها معذورة بواسطة الحاجة لإكثار الجنس البشري . وحتى عندما تكون محصورة بالزواج ، فانها تكون نادراً هكذا مشرفة كالأعتدال . انني لا اعني القول ان مثل هذا الشعور لم يكن قائماً قبل بعث المسيحية : هناك بعض العناصر في الطبيعة البشرية تجعل الرجال عرضة لشعور معاد للجنس ، ولقد كانت تماماً لتلك العناصر السائدة ، والتي استأنفتها المسيحية . وقد كان عند اليهود حرمان جنسي قوي ، ولكن لم يكن عندهم اي شعور كهذا لعدم طهارة الجنس ، في حين ان آثار نهوض هذا الشعور قد وجد في الاسفار المحذوفة .

كانت العقيدة المسيحية لأول مرة في التاريخ معادلة نظرياً فيما بين الرجال والنساء ، مع العلم انه عملياً تبتمد عن الفضيحة ، ومعتبرة اكثر تساهلاً في قضية الرجال عما في قضية النساء .

ان التجارب المسيحية اصبحت هكذا مختلفة جداً عن الحضارة الأبوية لما قبل المسيحية ، في حين تبقى هناك فوارق نفسية كبيرة في حقيقة ان حرية الرجال الجنسية كانت معتبرة مثل الخطايا .

وبحلول تعاليم مساواة الجنس تحطم هذا النظام . سواء أصبح الرجال فضلاء كالنساء كما تأمل جهود الانوثة ، او أن النساء يجب أن يسمح لهن ليكن غير فاضلات مثل الرجال ، كما يميل اختصاصيو الانوثة في جيلنا ليسخموا . ولكن اذا لم تكن الفضيحة مطلوبة من النساء ، فانه من الصعوبة أن ترى كيف بإمكان العائلة الأبوية أن تصمد . والتخلي عن الاسرة الأبوية يشمل تحويلها جذرياً في الجهاز الاجتماعي . وهكذا يبقى هناك اضطراب . ان التعاليم المسيحية كانت دائماً صالحة جداً للطبيعة

البشرية عند الرجل . واذا كانت النساء احراراً كالرجال ، فأنهن ايضاً سيجدن التعاليم المسيحية صارمة لا تحتمل . ان العائلة مؤسسة عميقة الجذور لدرجة ان الرجال ليس بارادتهم التحول . فمن هذا الاضطراب يظهر هناك مخرج واحد واضح وهو بإمكان مركز الأب أن يؤخذ من قبل الدولة - ان النظام الممكن بسهولة في ظل الشيوعية ، ليس سهلاً ليتناسب مع المؤسسات ذات الملكية الخاصة والوراثية . ففي هذا الاسلوب تكون مسألة الملكية الخاصة مرتبطة بمسألة السلوك الجنسي . ليس بالإمكان توقع ان الانسان سيعمل ليساند اطفالاً ليسوا اطفاله . وهكذا يكون نظام الملكية الخاصة متحداً مع العائلة الأبوية ويشمل درجة معينة من الفضيلة في الزوجات . ولطلب فضيلة الزوجات وليس الازواج ، يكون مخالفاً لتعاليم مساواة الجنس ، ومن الصعوبة أن ترى كيف أن الفضيلة تضمن بدون طغيان او تحريمات .

عندي قليل من الشك في أن الحل سوف يوجد لتخفيض قيمة الاب لدرجة عظيمة ، وازدياد في الميل عند الاطفال ليكونوا مدعومين من قبل الدولة اكثر مما من قبل آباءهم . وانني لست متأكداً بالمرة انه سيكون شيئاً حسناً . ان الاخلاص الابوي وشعور الأبناء تجاه آباءهم ، كانت عناصر جذرية هامة في تاريخ الحضارة ، وانني لا اطالب لاعرف ماذا سيكون وضع الحضارة بدون هذه العناصر . ولكن سواء من اجل الخير او الشر ، فإن أهمية الدولة في علاقتها مع الاطفال تظهر انها آخذة في الزيادة ، بينما أهمية الاب سوف تخفض تبعاً .

من جميع هذه المشاكل والاضطرابات الحديثة ، نرى ان اولئك المعنيين في تربية الاحداث رفضوا أن يأخذوا أية ملاحظة . فانهم يتمسكون في

أن التعاليم المسيحية الصارمة، حتى إذا لم يمكن فرضها على الراشدين، بإمكانها أن تحكم صفات أولئك الذين هم معنيين بالأحداث. إن الصفات الأخلاقية للمدارس والجامعات البريطانية تبقى أكثر صرامة بكثير من تلك الصفات للعالم على نطاق واسع. ومن نتائج التربية أصبحت بصورة متزايدة بعيدة المنال مع المجتمع، والمفروض أن تكون فيه لتحضر الناس الأحداث. بينما الرأي العام والمؤسسات الاجتماعية باقية على ما هي عليه ولا أفكر أن أي حل واضح قاطع يكون ممكناً، وذلك بسبب عدم التوافق الأساسي بين مساواة الجنس والأسرة الأبوية.

وبالرغم من عدم التوافق هذا، ومهما كانت الكمية الجيدة، بالإمكان تقريرها بواسطة القواعد العقائدية العامة، ومن خلال الرفض لمعاملة الجنس في أسلوب وممي.

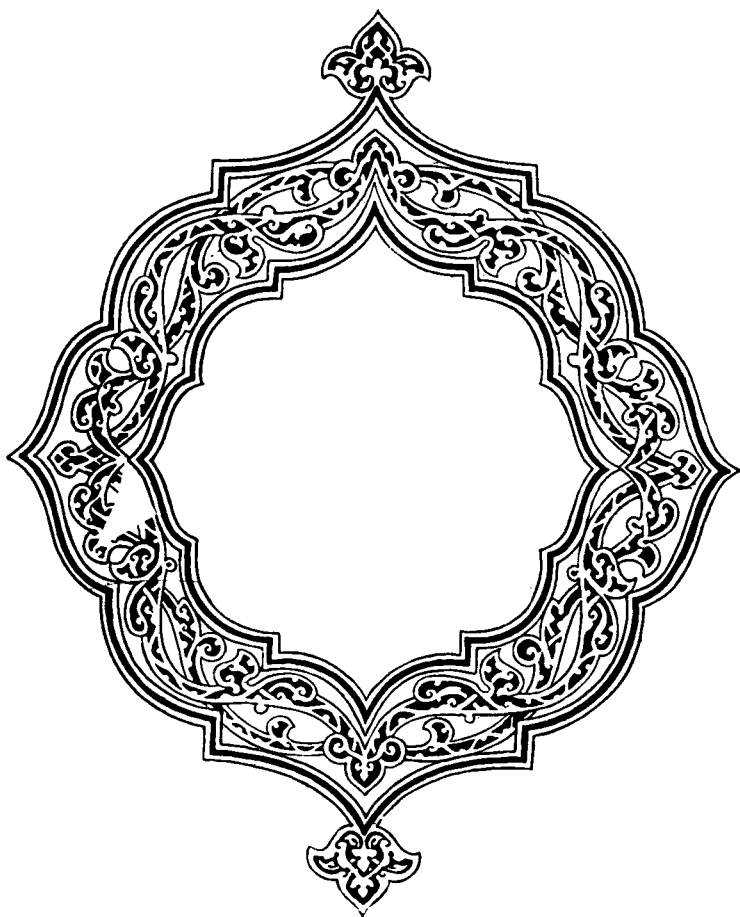
وعليها أن تكون قاعدة مطلقة في جميع المعاملات مع الأحداث، وليس لتخبرهم كذباً مهذباً. فيجب أن تكون قاعدة مطلقة في أن كل موضوع يجب أن يكون مفتوحاً لنقاش معقول وللاعتبار في الأسلوب العلمي. فإذا كان الاحتفاظ بالعائلة الأبوية لتكوين قواعد الاخلاق، فانه من الصعوبة أن ترى كيف أن هذه القواعد تخفض خطايا مثل هذه التجارب الجنسية، كما انه ليس بمقدورها أن توصل الى التطور، مع العلم انها تلك التي هي أكثر من أي شيء آخر تستعرض برعب، ليس فقط من قبل العقائد المسيحية، ولكن أيضاً من قبل قانون العقوبات. إذن يجب أن تدرك أيضاً، حتى عندما يكون نوع معين من السلوك مجرد ذاته مرغوباً فيه، من المحتمل أن لا يكون مرغوباً فيه لفرضه بواسطة نظام صارم جداً، أو بواسطة خلق رعب غير سليم. أن هذه القواعد

تغطي جزءاً معتبراً من التربية الأخلاقية للأحداث . ومن أجل الباقي ، اعتقد انه يجب أن ننتظر لغاية ما يكون اضطرابنا والتحول السريع للمجتمع قد تطور الى بعض من الوضع المستقر .

انه من المهم في جميع التصرفات مع الأحداث أن نمنعهم من الحصول على فكرة ان الجنس هو شيء ما بصورة خاصة قدر وسري . ان الجنس موضوع هام ، ومن الطبيعي للمخلوقات البشرية أن تفكر به وتتكلم عنه .

ففي الوقت الحاضر ، تعالج هذه الرغبة الطبيعية المطلقة في جانب الأحداث من قبل السلطات كشيء ما شرير ، وبالنتيجة يتوصل الأحداث الى اهتمام أكثر في الموضوع مما يكون عندهم طبيعياً . ويتحدثون عنه باستمرار مع جميع سرور الفاكة المحرمة .

ان حديثهم الضروري يكون جهلاً وجنوناً لأنهم متروكون على تخمينهم الخاص ، ونصف معرفتهم الخاصة . وجميع موضوع الجنس أصبح لأغلب الأولاد امر سخريه وقصصاً قذرة . والموضوع الكلي للجنس كشأن انتشاء طبيعي يرتفع في مناسبات للشعر ، وبعض الاوقات الخفيفي الظل والمرحين ، واحياناً للعاطفيين في مسرحية تراجيدية ، تقنع خارج مشهد علماء الاخلاق ذوي التفكير المحدود الذين يكون الجنس لهم إثماً عندما تكون مرتبطة بالمسرات ، وفضيلة فقط عندما تكون جافة وطبيعية . ان الشعر والمرح والجمال تكون خارجة عن الحياة بواسطة هذه الاخلاقية البشعة ، وبعض الاحيان تكون جافة وصارمة . وفي حل جميع علاقات البشر من وجهة النظر هذه يأتي ضعف العقل . ومن الممكن ان تكون وجهة نظر المتحرر لها ايضاً خطرها . لكنها اخطار الحياة وليس اخطار الموت .



الوطنية في التربية

كل انسان لديه عدد من الاهداف والرغبات ، بعضها شخصي صرف ، وبعضها من النوع الذي يمكن مقايسته مع الكثير من الناس الآخرين . ان اغلب البشر يرغبون في المال على سبيل المثال ، ومعظم اساليب الثراء تشمل التعاون مع بعض الفئات . والفئة المعنية تعتمد على أسلوب معين للثراء . ولأغلب الاهداف ، تكون مؤسستان مختلفتان في نفس العمل متنافستين ، ولكن من اجل اهداف تعرفه الحماية فهما تتعاونان . ليست الدرام طبعاً الشيء الوحيد الذي من اجله ينظم الناس الى فئات من نوع سياسي . فهم منظمون في كنائس ، ومجتمعات اخوية متعلمة ، والبنائين . الاحرار . ان الحركات التي تدفع الناس للتعاون هي عديدة : هوية للمضالح تكون واحدة ، وهوية الآراء تكون اخرى ، وروابط للدم تكون الثالثة . فان عائلة روتشليد تعاونت نظراً لروابط الدم . لم

يحتاجوا الى ادوات غريبة لعدم التعاون وذلك لأنهم يثقون ببعضهم البعض ، وجزء عظيم من نجاحهم كان عائداً لحقيقة انه كان هناك واحد من عائلة روتشليد في كل مركز مالي هام في اوروبا .

ان شكلاً من التعاون المرتكز على هوية الرأي ليس ليشاهد في عمل الكوكر الانساني Quakers فيما بعد الحرب . لقد كان باستطاعتهم أن يعملوا معاً بسهولة ، وذلك لتشابه وجهة نظرهم . ان روابط الاهتمام الشخصي تكون القواعد لمثل هذه المنظمات ، مثل الشركات المساهمة والاتحادات التجارية .

ان فئة من الناس المنظمين من أجل هدف ، يكون لديهم بالإجماع ذاك الهدف فقط الذي من أجله تستمر المنظمة . فان عقليتها تكون إذن أبسط وطبيعية اكثر من أي فرد بمفرده . دعنا نقول ان جمعية للأبحاث النفسية تهتم من اجل الابحاث النفسية فقط في حين ان كل واحد من اعضائها يهتم بالعديد من الأشياء الاخرى . فان اتحاد الصناعات البريطانية يهتم بالصناعات البريطانية فقط ، في حين ان اعضاءهم التمتع بالذهاب الى اللعب او رؤية لعبة كريكت . فالعائلة كمجموعة تهتم فقط بثروات العائلة ، وهي راغبة باستمرار ان تصحى بأعضاء لهذا القصد .

والشهوات المنظمة سياسياً تكون أقوى بكثير من تلك التي تبقى غير منظمة . والناس الذين يرغبون في الذهاب الى السينما في ايام الاحاد يكونون اجماعاً قطيعاً غير منظم ، وسياسياً من ذوي الشأن الضئيل .

والمسبتون ^(١) الذين يرغبونهم ان لا يذهبوا يكونون منظمين ، ويكون
عندهم نفوذ سياسي . وأصحاب دور السينما هم ايضاً منظّمون . ومن وجهة
النظر السياسية يكون اذن أمر فتح دور السينما في أيام الآحاد ، نزاعاً
فيما بين المسبتين وأصحاب دور السينما التي بها رغبات الرأي العام
لا تعتبر .

فالإنسان يعلن أنه ينتمي لعدد من المنظمات ، بعضها مفيد وبعضها
ضار ، وبعضها مجرد بريء . فهو ينتمي ، دعوتاً نفترض ، الى جمعية
الفاشيست البريطانية ، والى نادي كرة القدم في قريته ، والى جمعية
البحوث الانثروبولوجية . ففي الامكانية الثالثة يستحق المديح ، وفي الثانية
بريء ، وفي الاولى يكون منبوذاً . فهو يجد ذاته مزيج من الحسن
والسيئ . ولكن المنظمة يكون عندها سلوك بعيد عن الخير او الشر ،
وهو لا يوجد عند اعضائها . انها الهدف الذي من اجله يكون الناس
منظمين والذي يقرر ان تكون المنظمة حسنة او سيئة ، وليس سلوك
الناس الذين يشكلون المنظمة .

ان هذه نوعاً ما ملاحظات بالية المقصود منها ان توصل الى النتائج
الهامة التي تتم من المنظمات البشرية الى الدول . فعلى الاغلب جميع
البلاد المتحضرة ، تكون الدولة فيها ، اقوى المنظمات التي ينتمي اليها
الشخص ، وهكذا تكون اهدافه كمضو نافع في الدولة مؤثرة سياسياً ،
أكثر من أي من اهدافه الاخرى . وتصبح هامة اذن لتعتبر ما هي
الاهداف التي تكون في الدولة الحديثة .

(١) المسبتين : من لا يعملون يوم السبت .

ان جهاز الدولة يكون جزئياً داخلياً وجزئياً خارجياً . ومن أجل هذا الهدف ، فلنفي أشمل الحكومة المحلية ضمن اجهزة الدولة . فبإمكان الفرد أن يقول بصراحة أن الاهداف الداخلية للدولة تكون حسنة ، في حين ان الاهداف الخارجية تكون سيئة .

ان هذا الوضع طبعاً بسيط جداً ليكون حرفياً حقيقة ، ولكنه يمثل تقديراً اولياً مفيداً .

ان الشؤون الداخلية للدولة تشمل اموراً مثل الطرقات ، الانارة ، التربية ، الشرطة ، القانون ، دائرة البريد ، وسواها . ويمكن ان يتنازع واحد مع هذه او تلك من تفاصيل الادارة ، ولكن السياسي فقط بإمكانه التمسك بأن مثل هذه الاهداف تكون بحسب ذاتها غير مرغوبة . وطالما ان فعاليتها الداخلية لها علاقة ، فلذلك تكون الدولة على وجه العموم تستحق الاخلاص والمساندة من قبل مواطنيها .

وعندما نأتي على أهدافها الخارجية ، فإن الامر خلاف ذلك . وفيما يتعلق بباقي العالم ، فإن أهداف الدولة العظيمة تكون اثنين : الدفاع ضد العدوان ، ومساندة مواطنيها في المنازعات الاجنبية . ان الدفاع ضد العدوان هو لدرجة بالغة حيوي ويحتاج اليه لمنع الغزو ، ويمكن ان يسمح به ليكون ذا فائدة مبدئية . ولكن الصعوبة هي ان نفس الوسائل المطلوبة لمنع الغزو ، هي ايضاً قابلة للاستفادة الاجنبية . فإن الدول الموجهة للعالم تهدف لرسم مخطط ضرائب اقتصادية من المسمار والثروة المعدنية في البلاد التي هي اضعف منها ، وتستخدم لضمان هذه الفرائض القوات المسلحة ، التي يكون القصد العادي لها دفاعياً . فعندما اكتشف على

سبيل المثال ان ترانسفال Transvaal كانت تحتوي على الذهب ، غزاها البريطانيون . واللورد سالسبري أكد للأمة « اننا لا نبحث عن حقول الذهب » .

ولكن ، مهما يكن الامر أو سواء فلنذهب ، حيث تكون حقول الذهب ، ونجد انفسنا نخوزها في نهاية الحرب . ولناخذ ايضاحاً آخر ، فكل شخص يعرف ان البريطانيين ذهبوا الى جنوب ايران في رغبة لاستغلال جنوب ايران ، ولكنه أمر مشكوك فيه أن يكون يتوجب ان نأخذ كل الاهتمام في رفاهيتهم ، اذا لم يكونوا يقطنون بلاداً مملوءة بالبترو . وليست ملاحظة غير ماثلة يمكن ان تعمل عن بعض افعال الولايات المتحدة في اميركا الوسطى . وبنفس الاسلوب شعور اليابان في الذهاب الى منشوريا ، يكون طبعاً أنبل ما يكون ، ولكنه حدث بواسطة بعض المفاجآت الغريبة المناسبة مع مصالح اليابانيين .

انه ليس كثيراً جداً القول ان أغلب الفعاليات الخارجية للدول القوية في وقتنا الحاضر معنية بالاستخدام ، او بالتهديد باستخدام القوات المسلحة ، وذلك من اجل نزع ثروات الدول الأضعف ، والتي تتبع قانوناً لهم . إن فعاليات من هذا النوع من جانب الافراد العاديين تعتبر اجراماً ويعاقب عليها من قبل القانون ما لم تكن على نطاق واسع . ولكن من جانب الامم ، فانه يعتبر معجباً بها من قبل مواطني الامم المعنية . وهذا يوصلني في النهاية لموضوع الفصل الحالي اسماً وهو تدريس الوطنية في المدارس .

ولكي نحكم على هذا التدريس فانه من الضروري ليكون واضحاً ، ليس فقط فيما يتعلق بمقصدها ، ولكن ايضاً فيما يتعلق بتأثيرها الفعلي .

الوطنية بالقصد وبأفكار اولئك الذين يدافعون عنها تكون شيئاً جيداً على نطاق شاسع . حب البيت وحب وطن الفرد حتى لدرجة معينة من الكبرياء في تحصيلاتها التاريخية وفيما يتعلق بهذه تستحق الافتخار، ويجب ان لا يحتج عليها . فانها مزيج من الافكار مختصة جزئياً بالحب الحقيقي للتربة والمحيطات المؤلفة لها ، وجزئياً مع شيء ما مطابق لامتداد حب الاسرة . وجذور هذا الشعور يكون جزئياً جغرافياً وجزئياً بيولوجياً . لكن هذا الشعور البدائي ليس بمجد ذاته سياسياً او اقتصادياً . انه شعور الشخص لبلاده الخاصة ، وليس ضد بلاد اخرى . ففي شكلها البدائي ، من الصعب ايجادها الا فيما بين اولئك الذين يعيشون في محيطات الارياف وبدون سفر كثير .

إن ساكن المدن الذي يبدل بصورة مستمرة سكنه وليس عنده قطعة ارض ، بإمكانه ان يسميها ملكه ، فان عنده اقل من هذا الشعور البدائي ، الذي منه تنمو الوطنية مما عند ساكن الارياف من اصحاب الاملاك او المزارعين .

ان سكان المدن عندما بدلاً عنها شعور اصطناعي بدرجة كبيرة ، وأكبر محصول تعليمهم وصحفهم ، وعلى الغالب يكون هذا كلياً ضاراً . وهذه العاطفة ليست كثيراً لحب البيت من المواطنين ، مثل كراهية الاجانب والرغبة في امتلاك البلاد الاجنبية . مثلها على الغالب جميع الشعور السيء ، المنحرف باسم الاخلاص . فاذا رغب شخص ان يرتكب بعض جرم مكروه كالذي يقع منه طبيعياً في الرعب ، فعليك اولاً تعليمه الاخلاص لمصابة من قطاع الطرق ، وبعدها اجعل جرمه يظهر له كإيضاح لفضيلة الاخلاص . فن هذا النجاح تكون الوطنية أحسن نموذج

كامل . خذ على سبيل المثال الاحترام للعلم :

إن العلم هو شعار الامة في مقدرتها المادية . انه يفترض المعركة ، الحرب ، النصر ، وأعمال البطولة . فالعلم البريطاني يوحى ببريتون نيلسون الطرف الأغر ، وليس بشكسبير أو نيوتن أو داروين . ان الاشياء التي عملت من قبل الانكليز لتوسيع حضارة الجنس البشري لم تعمل تحت شعار العلم ولا تأتي للفكر عندما يوقر الشعار . وأحسن أعمال الانكليز قد نفذت من قبلهم ليس كانكليز ، ولكن كأفراد . فان الأفعال التي يقوم بها الانكليز تحت إدراك أنهم انكليز ، تكون من نوع اقل إعجاباً . ولكنها أفعالهم التي يدعون العلم للإعجاب بها ، وما هو حقيقة عن العلم البريطاني يكون حقيقة بالتساوي بالنسبة للنجوم والشرائط ، او عن علم أي أمة قوية .

ففي جميع أرجاء العالم الغربي ، يعلم الاولاد والبنات على ان أهم اخلاصهم الاجتماعي ، يجب ان يكون للدولة التي هم مواطنون فيها ، وان واجبهم هو ان يعملوا حسب توجيهات حكومتها . وخشية ان يتساءلوا عن هذه العقيدة ، فانهم يعلمون تاريخاً كاذباً ، وسياسة كاذبة واقتصاداً كاذباً . انهم يخبرون عن الاعمال المشينة للدول الأجنبية ، ولكن ليس عن الأعمال المشينة لدولتهم الخاصة . يقادون ليفترضوا ان جميع الحروب التي اشتركت بها دولتهم كانت حروباً دفاعية ، بينما حروب الدول الأجنبية هي حروب عدوانية . ويعلمون ليصدقوا انها عندما تكون خلافاً لتوقع بلادهم الخاصة ، لم تقهر بعض الأجني ، وفعلت هكذا كي تنشر الحضارة ، او نور تعاليم الدين المسيحي ، او نفعاً سلوكياً رفيعاً او المنح او شيئاً ما خلاف ذلك يكون طبعاً نبيلاً . فإنهم يعلمون ليؤمنوا في ان الامم

الاجنبية ليس عندها اي سلوك اجتماعي . وكما تؤكد المعزوفة البريطانية الوطنية ، على ان العناية الإلهية « تدحض ألامبيهم الشيطانية » - والواجب الذي سوف لا تتوانى العناية الإلهية من استخدامنا كأداته .

إن الواقع هو أن كل اممة في تعاملها مع كل من سواها ترتكب العديد من الجرائم كما هو باستطاعة قواتها المسلحة ، إن المواطنين وحق المواطنين الصالحين ، يقدمون موافقة تامة للنشاط الذي يحمل الجرائم ممكنة ، لأنهم لا يعرفون ماذا يكون قد عمل او يشاهدون الحقائق في منظر حقيقي . من اجل رغبة المواطن العادي ليصبح بدون وعي منغمساً في جريمة قتل من اجل السرقة ، فان التربية بصورة رئيسية تلام .

هناك اولئك الذين يلومون الصحافة ، ولكن في هذا اعتقد انهم مخطئون . فان الصحافة تكون مثل ما يتطلب الجمهور ، والجمهور يتطلب صحفاً رديئة ، ذلك لأنه عنده تربية سيئة .

إن الوطنية من النوع القومي عند تدريسها في المدارس ، يجب ان تذكر كشكل من المستارية الجماعية التي يكون الأشخاص لسوء الحظ عرضة لها ، وضدها يحتاجون ان يكونوا محصنين من كلا الطرفين ذكاء وعقلاً . بما لا شك فيه ان القومية الأشد خطراً في وقتنا الحاضر هي أخطر بكثير من السكر او تعاطي المخدرات او سوء الامانة تجارياً او اي شيء آخر سواء ، حيث يكون سلوك التربية العادية موجهها .

جميع اولئك القاهرين على استعراض العالم الحديث مدركين انه نظراً للقومية ، فان استمرار الاسلوب الحضاري يكون في خطر .

هذا القول معروف لدى جميع المدركين للشؤون الدولية . فمهما يكن ،

يستمر في كل مكان إنفاق الثروة العظيمة في الدعاية لإيضاح هذا المخطط التدميري .

وأولئك الذين يعتبرون ان على الاطفال ان يدرسوا المجازر الجماعية كأنبل عمل للانسان يدانون بالخيانة ، واصدقاء كل بلد الا بلدهم . فواحد يفترض ان المودة الطبيعية سوف تسبب لكثير من الناس شعوراً بالألم في افكار اطفالهم والموت من الألم . فمثل هذا ليس هو الشأن . في حين ان الخطر رسمياً ، في ان جميع المحاولات للعمل به ينظر اليها كإثم من قبل اغلب من بيدم زمام السلطة في اغلب البلاد .

إن الخدمة العسكرية تمثل كأنبل تحضير للدفاع عن بلد الفرد الخاص ، وليست مجرد كلمة تقال لجعل الشباب يدركون ان العمليات العسكرية لبلادهم يفترض ان تكون قوية ، وأكثر احتمالاً لتحتوي على الاعتداء الخارجي من الدفاع عن الوطن .

إن اهداف تدريس الوطنية عديدة . فليس هنالك اي مانع والذي اعتبرناه انه ما لم يكن خطر الوطنية لكان بالامكان تخفيفه ، فان الحضارة ان يكون بإمكانها الاستمرار . فهناك المانع على انها ممكنة بصورة لتعلم الناس المتحضرين تقاليد سلوك في معهد يعلم للناس ايضاً كيف يقتلون . وهناك المانع في تعاليم الكراهية التي هي جزء ضروري من التربية الوطنية هي في حد ذاتها شيء سيء . ولكن ، علاوة على جميع هذه الاشياء ، هناك للمانع الادراكي الصرف في ان تربية الوطنية تشمل تدريس الافتراضات الكاذبة . ففي كل بلد في العالم ، يدرس الأطفال ان بلادهم هي الأحسن ، وفي كل بلد الا في واحد يكون هذا الافتراض

كاذباً . فممنذ ان الامم ليس بإمكانها ان توافق على ان شيئاً ما هو حقيقة ، فانه سيكون احسن للتخلي عن عادة إطناب سلوك امة واحدة على حساب كل بلد آخر .

ان الفكرة التي تعلم للاطفال ، يجب اذا امكن ان تكون كما اعرف مدمرة جداً في بعض تطبيقاتها حتى غير الشرعي منها . ولكن ليس بإمكانني ان أقوم الاعتقاد في ان الارشادات تكون أحسن عندما تعلم الصديق كما تعلم الكذب . فالتاريخ يتوجب ان يعلم تماماً نفس الشيء في جميع بلاد العالم ، وكتب التاريخ يجب أن ترسم من قبل منظمة دولية بمساعدة من الولايات المتحدة وأخرى من روسيا السوفيتية .

التاريخ يجب أن يكون تاريخ العالم اكثر مما يكون تاريخاً قومياً ، وأن يصر على شؤون التربية اكثر من الحروب . فطالما ان الحروب يصر على تعليمها ، فيجب ان لا تعلم فقط من وجهة نظر المنتصر وأعمال بطولته . على التلميذ ان يتأمل في ميدان المعركة فيما بين الجرحى ، وان يعمل ليشعر بوضع المشردين في الأقاليم المدمرة ، وأن يعمل مدركاً لجميع المآسي والظلم التي تتيح الحرب الفرص لها .

ففي الوقت الحاضر ، اغلب التدريس هو نوع من حرب العظمة ضد تعاليم المدرسة ، ولذلك عمل السلم عبث . هذا ينطبق طبعاً بصورة خاصة على مدارس الاغنياء التي تكون في كل مكان ذكاه وعقلاً أحط من مدارس الفقراء . يتعلم الاطفال في المدارس أخطاء الأمم الأخرى ، ولكن ليس أخطاء أمتهم الخاصة . لتعرف أخطاء وزراء الأمم الأخرى لتقويم السلوك الشخصي وشعور حالة الحرب ، في حين ان تعرف أخطاء

أمة المرم تكون ذات فائدة .

ان ما يتعلمه الولد الانكليزي في المدرسة الحقيقية لفرق البوليس الخاص في ايرلندا Black and Tans . وما يتعلمه الولد الاميركي في المدرسة هو الحقيقة عن ساكو وفانزيتي Sacco and Vanzetti او موني وبيلنكز Mooney and Billings . ونظراً لمثل هذا الهدف ، فان المواطن العادي في كل بلد متحضر يكون ملفوفاً بغطاء من القناعة الذاتية .

ان اغلب تعاليم الوطنية ، في حين انها موجبة ادراكياً خطأ ، تكون عقلياً بريئة . الناس الذين يدرسون هم انفسهم تعلموا على نظام خطأ ، او تعلموا ليشعروا انه في عالم حيث يكون الاجانب شريرين لدرجة ، بإمكان جهود القوة العظيمة فقط حماية بلادهم الخاصة من المصائب . ومهما يكن ، هناك جانب اقل براءة من الدعاية الوطنية . توجد مصالح تجمع منها الثروة ، غير المصالح الحربية . ولكن ايضاً اولئك الذين لهم مصالح استثمارية في البلاد التي تعرف بغير النامية . فاذا كنت غللك ، دعنا نقول بترولاً ، في بلد غير مستقر ، فان نفقات الحصول على الزيت تحتوي على جزئين :

اولاً : التكنيك ، والمصاريف المباشرة لاستخلاصه .

ثانياً : السياسة او النفقات العسكرية لحفظ الأمن والنظام بين الرعايا .

يقع عليك فقط الجزء الاول من المصاريف ، والجزء الثاني من النفقات الذي يمكن ان يكون اعظم عبء يقع على دافعي الضرائب الذين هم مرغين

ليتمهدوا بها بواسطة وسائل الدعاية الوطنية . ففي هذا الاسلوب ارتباط غير مألوف للدرجة ، ينمو فيما بين الوطنية والمال . هذه مرة ثانية هي الحقيقة تمنع الأحداث بكل اعتناء من معرفتها .

إن الوطنية في شكلها العسكري بصورة غير محدودة تكون مرتبطة مع المال . والقوات المسلحة للدولة بإمكانها أن تكون وتستخدم في سبيل ثراء مواطنيها . وهذا ينفذ جزئياً بواسطة الضرائب أو التعويضات ، وجزئياً بواسطة الإصرار على دفع الديون التي من شأنها خلاف ذلك أن تكون مرفوضة نوعاً ما بواسطة حجز مواد خام ، وجزئياً بواسطة وسائل معاهدات تجارية الزامية . فإذا جميع هذا العمل لم يكن مجيئاً بواسطة الإلزام الوطني ، فإن قذارته وشروره ستكون واضحة لجميع الناس العقلاء .

بإمكان التربية بسهولة إذا اختار الناس ، أن تفتيح شعور وحدة للعنصر البشري وأهمية التعاون الدولي . فضمن جيل حيث تكون حواجز التعرف التي نجعل بها لأنفسنا فقراء ، يمكن أن تخفض . والقوة العسكرية التي بها نهدد أنفسنا بالموت يمكن أن تزول ، والكراهية التي نقطع بها أنفسنا يمكن استبدالها بالإرادة الحسنة .

إن العنصرية التي هي سائدة حالياً في كل مكان ، هي بصورة رئيسية حصيلة المدارس ، ويجب أن تأتي على نهايتها ، وأن تسود التربية روح مختلفة .

هذا للشأن ، مثل نزع السلاح ، يجب أن يتصرف به بواسطة اتفاقات دولية . ربما إذا كان بإمكان جمعية الأمم أن توفر أي غسيل أبيض

للمعتدين . بإمكانها عاجلاً ام آجلاً ان تصبح مدركة لأهمية هذا الشأن .
لعمل الحكومات باستطاعتها ان توافق على توحيد تعاليم التاريخ . وربما
بعد الحرب العظمى القادمة اذا كان أي من الناس سيبقى ، يمكن ان
يتحد ويقرر استبدال علم هيئة الأمم بأعلام دولهم العديدة .

ولكن مما لا شك فيه هذه احلام « اليوتوبيين » . انها طبيعة
الاساتذة ليعلموا ما يعرفون مها يكن ذاك ضئيلاً .

تصور اساتذة التاريخ الانكليز مهدين بواسطة اتفاق دولي بضرورة
تعليم تاريخ العالم ، فانه يكون عليهم ان يحدوا تاريخ الهجرة ، ومتى
سقطت القسطنطينية . وعليهم ان يتعلموا عن جنكيز خان وإيفان
الرهيب . وعن البوصلة البحرية التي انتشرت من الصين الى البحارة
العرب . وكيف ان اليونان كانوا اول من عمل تماثيل بوذا . فان حنقهم
لحوزتهم مثل هذه المطالب التي عملت في زمنهم ، سوف لا تعرف
حدوداً ، وانهم سيثورون من اجل حكومة جديدة تضمن ان تسخر
من هيئة الأمم .

والنشاط الفعال لزماننا في جميع انحاء العالم الغربي هو في مؤسسات
رأسمالية تكون بالاجال تعمل للدمار . فان طبقات الناس الذين عليهم
ان يعملوا من اجل شيء احسن مثل الاساتذة ، راضين لأغلب الوقت
بعدالة الوضع الراهن . ان اي اجتماعي سوف يشمل تغييراً في دراستهم
ويكون بذاك المعدل ليتجنب بقدر الامكان . والجهود التي يرغبون تجنبها
ليست فقط علمية ولكنها شعورية . الشعور المألوف يأتي بسهولة ، ومن
الصعب ان تعلم شخصاً ليشعر بشعور جديد بمناسبة مألوفة ، مثل عزف
الاناشيد الوطنية .

وهكذا! عالمنا الحديث يكون الجيد كسلان ، وفقط السيء هو النشيط ،
يمضي ثلاً باتجاه الدمار . ففي لحظات يرى الناس الهوة ، ولكن خمرة
المزيج غير الحقيقي تقفل فوراً أعينهم . فإلى جميع الذين ليسوا سكارى
الخطر الواضح . ان القومية هي القوة الرئيسية التي تسوق حضارتنا الى
دمارها .



الشعور الطبقي في الشريعة

وجدت الفوارق الطبقية منذ فجر الحضارة . في حين انها في القبائل المتوحشة تتخذ في الوقت الحاضر اشكالا بسيطة جداً هنالك زعماء ، والزعماء قادرون أن يكون عندهم عدة زوجات . وليس المتوحشون مثل الناس المتحضرين ، لقد اوجدوا اسلوباً في جعل الزوجات مصدر الثروة ، وهكذا كلما كان عدد الزوجات اكثر عند الرجل ، كلما اصبح ثريا اكثر . لكن هذا الشكل البدائي من عدم المساواة الاجتماعية يفتح باباً آخر اكثر تعقيداً . ففي الاساس ، كان عدم المساواة الاجتماعية مرتبطاً بالوراثة وهذا ما نراه في جميع المجتمعات الراقية مع انخفاض في خط الذكور . وفي الاساس ، كانت الثروة الأعظم لأشخاص معينين عائدة للشجاعة العسكرية . فالمحارب الناجح يتوصل الى الثروة وينقلها لأبنائه . الثروة المستحصل عليها بواسطة السيف عادة تحتوي على ارض .

ولغاية يومنا هذا فإن ملكية الارض هي علامة الارستقراطيين ،
والارستقراطيون يكونون بالفكرة من نسل بعض بارونات الاقطاع الذين
حصلوا على ارضهم من خلال قتل اصحابها السابقين والتمسك بملكيتها
ضد جميع الغزاة . وان هذا يعتبر مصدراً للثروة . هناك شيء آخر أقل
نبلاً بقليل يبرهن عنه من قبل اولئك الذين هم كلياً كسالى ، استحصلوا
على ثروتهم بالوراثة من سلف شجاع ، في حين ان الباقين لازالوا أقل
احتراماً ، تعود ثروتهم الى صناعتهم ففي العالم الحديث ، لا يزال المتنفذون
الذين هم أغنياء يعملون ازاء البوقراطيين الذين كانت دخلهم بالفكرة
مستحصلاً عليه ببطء من ملكية الارض والحصر الطبيعي للأرض . كما ان
الآخرين من البرجوازيين موارد اسمياً هي الامتياز للانتاج من عمل الفرد
الخاص .

إن امتياز انتاج عمل الفرد الخاص هو دائماً قائم فقط على الورق ،
لأن الأشياء معمولة من اشياء اخرى ، والشخص الذي يزود بالمواد الخام ،
له الحق في الانتاج الحاضر كبديل عن الأجراء ، او حينما توجد العبودية
كبديل عن العبد المتطلب للحياة . وهكذا يكون عندنا ثلاث طبقات
من الناس : مالك الأرض ، والرأسمالي ، والبروليتاري . الرأسمالي في الاساس
هو مجرد شخص مكنه توفيره من شراء المواد الخام والمعدات المطلوبة في
التصنيع ، وقد استحصل على الحق في الانتاج الجاهز كبديل للرواتب .

إن الدرجات الثلاث لأصحاب الاملاك ، الرأسماليين ، والبروليتاريين
هي واضحة تماماً بالفكرة ، ولكن الفوارق مضطربة عملياً . فان صاحب
الاملاك يمكن أن يستخدم بعض أساليب الاعمال في انشاء منتج على
شاطئ البحر يكون ضمن لملاكه . والرأسمالي الذي قد حصل على ثروته

من الصناعة يمكن أن يستخدم كلا أو جزءاً من ثروته في الأرض ويأخذ مسكناً بالأجرة . البروليتاري لحد ما ، طالما عنده ثروة في صندوق توفير البنك أو في البيت ، الذي سوف يشتريه على طريقة الأقساط يصبح لذلك الحد رأسمالياً أو صاحب املاك كما يكون الحال .

إن المحامي القدير الذي يتقاضى ألف جنيه من اجل قضية ، يكون في التوفير الشديد صنف كالبروليتاري ، ولكنه سيكون غاضباً اذا عمل هذا وتكون عنده عقلية البلوتقراطيين .

من وجهة النظر العملية ، تعتمد فوارق الطبقة الهامة خارج الاتحاد السوفييتي على العائلة الرفيعة وعملية الأرث . ففي العائلة الرفيعة ، يتلقى اطفال الأغنياء تربية مختلفة ، في حين انها ليست دائماً تربية احسن مما يقدم لأطفال الفقراء . وفي الميراث ، فان اطفال الأغنياء يمكن أن ينظروا للغد اذا رغبوا ذلك وللبطالة بدون مجاعة . فاذا لم يكن هناك مثل هذا الشيء كالميراث ، فإن عدم المساواة في الثروة التي ستكون سائدة هي زائلة في كل جيل . واذا لم يكن هناك مثل هذا الشيء ، كالعائلة الرفيعة ، فإن اطفال الأغنياء لن يربوا خلافاً عن اطفال الفقراء .

إن ميل الاشتراكيين هو تكلمهم عن النظام الرأسمالي بأسلوب غامض ، وبدون تحليل وافٍ عن العوامل المختلفة التي تساهم به . والنشاط العملي للنظام الرأسمالي هو في حقيقة ان أطفاله في وضع امتياز نظراً لثروته في جزء حيوي منها .

انني لا أعني هذا كانتقاد للماركسية طالما أن ماركس يدرك الروابط فيما بين الاقتصاد والعائلة ، ولكنني اقولها كانتقاد للعديد من الاشتراكيين

الناطقين باللغة الانكليزية الذين يتخيلون ان الجهاز الاقتصادي لمجتمع ما ليس له أي روابط حموية بالزواج والمائلة . وكأمر واقعي ، فان الروابط تكون مشتركة .

إن البورجوازي المهتم في جمع ملكية فردية يطبق نظرية الملكية الفردية على زوجته وأطفاله ، ويكون عنده بالتتابع أسلوب معين للشعور فيما يخصهم ، وواقعياً الحسد الجنسي وعواطف الأبوة تكون شعوراً تقود الرجال لرغبة الملكية الفردية في النساء والاطفال . ومن رغبتهم في هذا النوع من الملكية الخاصة فانهم مدفوعون ليرغبوا انواعاً اخرى ايضاً . ففي المجتمع البدائي ، يمكن ان يرغب الرجل ثروة ليكون عنده العديد من الزوجات .

أما في المجتمع الحاضر ، فان أحد أسباب رغبة الثروة هي ليكون قادراً على تقديم وضع اجتماعي لزوجته وأطفاله أحسن مما يخص زوجات وأطفال أصحاب الدخل المحدود . ان روابط الملكية الخاصة في الأشياء المادية مع الملكية الخاصة للزوجات والاطفال تكون هكذا مشتركة . ومن غير المحتمل ان تكون متوقعة من ان واحداً سوف ينهار بدون ان ينهار الآخر . ان الملكية الخاصة في النساء والاطفال تفتج منافسة فيما بينهم ، وهكذا تجلب شعور فوارق الطبقات الى التربية . كيف تتأثر جميع هذه الامور من خلال استعراض الشيوعية ، انني لا أقترح بحث ذلك في هذا الدور .

حيث تكون التربية معنية ، فانها تكون طبعاً الوضع الاجتماعي للآباء الذين يقررون تربية الاطفال . هكذا في اي مجتمع تكون فيه فوارق الطبقات قائمة ، فان الاطفال يحترمون ليس كلياً على معدل

جودتهم ، ولكن ايضاً على معدل ثروة آبائهم . فان اطفال الأغنياء يتوصلون الى اعتقاد أنهم أسمى من اطفال الفقراء ، وتعمل محاولات لجعل اطفال الفقراء يفكرون أنفسهم أخط من اطفال الاغنياء .

انه من الضروري عمل جهد مع اطفال الفقراء ، طالما انه خلاف ذلك ، من المحتمل ان يصبحوا متألين من عدم العدالة التي هم ضحاياها . وتباعاً حيث تكون فوارق الطبقات قائمة ، فان التربية الضرورية عندها ، ذاك الذي ينتج كبرياء في الاغنياء ، وذاك الذي يهدف الى انسانية غير معقولة عند الفقراء .

ان موانع كبرياء الاغنياء واضحة ، وقد أشير اليها من قبل العقلانيين من عهد العبرانيين فما قبل ، في حين ان نسبة ضئيلة من العقلانيين انتلبت لهذا الشر الذي لا يمكن تسويته بمجرد الوعظ ، ولكن فقط بواسطة نظام اقتصادي مختلف .

إن الشرور في محاولة انتاج إنسانية غير معقولة عند الفقراء تكون نوعاً ما مختلفة . فاذا أنتجت ، فان المبادأة واحترام الذات تكون قد انخفضت بضرر . واذا لم تنتج يكون هناك احتقار يميل الى الدمار . سواء أنتجت أم لا فان محاولة إنتاجها تشمل تعاليم الكذب ، كذب سلوكي منذ ظهرت انها عبرت في أن عدم مساواة الاغنياء والفقراء ليس عدم عدالة ، وكذب اقتصادي في حين انها مقترحة على ان النظام الاقتصادي الحالي هو أحسن ما يمكن ، فالكذب التاريخي هو من حين المنازعات السابقة فيما بين الاغنياء والفقراء يكون مشتقاً من وجهة نظر الاغنياء .

عندما يكون الأساتذة أحسن قليلاً من البروليتاريين أنفسهم ، فإنهم يحتاجون الى روح العبودية اذا كانوا يعتقدون ها عليهم ان يدرسوا ، ونقص في الشجاعة اذا كانوا يدرسونها بدون الاعتقاد بها . ففي مجتمعات ما قبل الصناعة ، حيث كانت الثروة بصورة رئيسية ارستقراطية ، فان دفاع عدم المساواة أخذ شكل الاحترام من الولادة التي غالباً تفوق الاحترام من اجل الثروة الحقيقية ، وتخفي المصدر الاقتصادي للشعور .

ان زعياً معدماً بدون نقود ومنفياً ، من الممكن ان يكون اكثر احتراماً من مرابٍ ناجح . ومهما يكن ، فإنها أساس الثروة التي تحترم لأنه كقاعدة في مثل هذه المجتمعات ، فان اصلها الارستقراطي هو مصدر الثروة . وحيث يكون الايمان بالارستقراطية قوياً ، تكون طبعاً مدعومة بجميع انواع الصفاقة ، مثل ان الارستقراطيين عندهم سلوك احسن وتربية اكثر او شعور أرفع من الناس الآخرين . ففي مجتمع بلوتقراطي ، مثل ذاك السائد في الولايات المتحدة ، هناك شكل مختلف من الخداع . ان البلوتقراطي الناجح والمفروض انه توصل الى مركزه بواسطة العمل المضني والجد والشرف يتوجب عليه ان يستعمل مركزه بثقة عامة مع حين دائماً للصالح العام .

في القرنين السادس عشر والسابع عشر الماضيين عندما كانت الثروة العظيمة للبلوتقراطيين مستحدثة ، كانت التربية التقليدية مثل عائلة آدم التي كانت مثارة بملذات الخداع والاحتيال وعدم الشرعية الناعسة التي بواسطتها حصل الكثير من الرجال القادة على ثروتهم^(١) .

(١) راجع : المالية الكبيرة في القرن السادس عشر ، بقلم آدم اخوان . من مطبوعات جامعة ييل .

وفي طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كتبت كتب حول أساليب شركة البترول ستاندرد اويل كومباني . وفي يومنا الحاضر جميع هذا قد تغير . فان البلوتقراطيين العظام يعتبرون كأكبر المحسنين للجمهور ، وكل جامعة تحصل او تأمل أن تحصل على هبات منهم . وكل شاب من ذوي الذوق الأكاديمي يأمل ان يحصل على زمالة بحوث من مكافأة بعض المليونيرة المحسنين . فان الجامعات والصحافة مملوءتين بامتداح الاغنياء جداً ، والرجل في الشارع يُعلم ليؤمن أن الفضيلة متعلقه بالدخل .

ان فوارق الطبقات تكون هكذا هامة في بلاد مثل الولايات المتحدة كما أنها في البلاد الارستقراطية ، ونسبة جيدة اكثر اهمية مما هي عليه في البلاد الاخرى كالنروج والدنمارك ، حيث توجد هناك راحة على نطاق واسع بدون أي ثروة عظيمة .

إن الضرر الناجم عن فوارق الطبقات ليس محصوراً في الاطفال . بل يمتد الى المدرسين والى دورة الدراسة . وهناك معنويات اجتماعية مهمة للاعتناء بالعقل اكثر من اعتنائها بالجسد ، ولذا فان المدرس الذي يقدم ارشادات علمية يكون عادة غير مختلف عن أمور الصحة وجاهل الدلائل التي بواسطتها يتصل بأي اضطراب صحي بالإمكان كشفه . والفوارق فيما بين العقل والجسد هي اصطناعية وغير واقعية ، ولكن ، لسوء الحظ ، لها تأثير على التفاوت الاجتماعي ، وبالنتيجة فان الاعتناء بالجسد والاعتناء بالعقل هما منفصلان لدرجة بالغة في التربية اكثر مما يجب ان يكونا .

وهذا طبعاً ليس إلا شيئاً رديئاً مثلما كان شيئاً في الايام السابقة ، حيث ان الطفل الاطرش يمكن ان يعاقب لعدم الانتباه لسنوات ، وفي

النهاية بدون ان يكتشف أي من الاساتذة انه اطرش . ولكن على اي حال ، مثل هذه الأمثلة البالغة ليس من المحتمل ان تظهر في هذه الايام ، فان الشر لا يزال كامناً في اوضاع اقل إجراماً .

فالمدرس ، على سبيل المثال ، لا يعرف شيئاً عن أوضاع هضم الطفل ، ومن الممكن ان يكون حائقاً على البلاهة والطبع السيئ الذي يكون السبب في وجوده حالة امساك . فاذا اقترحت للمدرسين انه يجب ان يهتموا بعمل الامعاء لطلابهم فان اهتمهم سوف تثور .

اني لا أرغب من القارئ ان يسيء فهمي في هذا الحد ، فاني لا أنكر ان في جميع المدارس الحديثة هنالك اعتناء طبي بالاطفال ، وعلى أن هناك من يعمل لحفظهم في صحة جيدة كما يقارن بما كان يعمل في الازمنة السابقة .

وما اشتكي منه هو أن الاعتناء الصحي والعقلي هما كلياً منفصلان ، وأن الشخص الذي يملك المعرفة المطلوبة لواحد يكون عنده كقاعدة للمعرفة المطلوبة من اجل الآخرين . ففي الراشد ، هناك فجوة معتبرة فيما بين العقل والجسد . ولكن هذه الفجوة ليس لها أي مزيج ضروري . انها انتاج التربية . وفي الطفل لا يوجد أي فجوة ، أما في الولد الصغير فهناك قليل جداً . وفي الطفل الكبير ليس كثيراً .

ولا افترض ان ولدأ في سن العاشرة بإمكانه ان يقدم اعتباراً فلسفياً طيباً عن الفرق فيما بين العقل والجسد ، ولكن كل طفل سوف يفهم في الحال اذا قلت : « ان عقلك هو ما يعنى به من قبل الآنسة » ، « وجسدك ما يعنى به من قبل الآنسة ب » . وان الفارق فيما

بين الآنسة « ا » والآنسة « ب » هو وضع المزيج الناتج من الفارق فيما بين العقل والمادة . فاذا كان كل عمل الآنسة « ا » والآنسة « ب » متحدين في الآنسة « س » ، فان جميع الاطفال سوف ينمون حياديين تفكيرياً ، ويعتقدون ان العقل والجسد هما فقط شأنان مختلفان من نفس البيئة .

ففي هذا الاسلوب تكون الميٹافيزيكا مرتبطة بنظام الطبقات . والفعاليات العقلية تكون أسمى من الجسد ، لأن أولئك الذين يمارسونها بصورة فائقة يحتاجون لخدم يقومون بعملهم الجسدي . إنها تلعب في ان الروح أنبل من الجسد ، وهذا هو قاعدة الشر وهلم جراً .

فما يخص البرامج أيضاً ، فان الاحترام للثروة له تأثير ، في حين ان هذا التأثير هو اقل وضوحاً عما كان سابقاً . وكان اليونانيون مثل جميع الامم التي تستخدم العبيد ، قد تمسكوا بوجهة نظر أن جميع العمل اليدوي منبوذ . وهذا يوصل لمكان اصرار على مثل هذه الاشياء كالثقافة والفلسفة وفن الخطابة ، التي يمكن دراستها بدون استعمال الايدي . وانهم يميلون للتفكير ان جميع المهارة للأشياء كانت بدون قيمة للسيد ، وهذا من المحتمل انه كان له شيء ما مع النقص للنجاح في العلوم التجريبية .

فان بلوتارخ Plutarch أعاد الاختراعات البارعة لأرخميدس اثناء حصار سيراكوس ، مما دفعت عنه تهمة السلوك لمبررات انه كان يعملها لصالح ابن عمه الملك . وان الرومانيين ورثوا وجهة نظر الثقافة من اليونانيين ، ولغاية وقتنا الحاضر ، فان وجهة النظر هذه كانت تعمل في كل بلاد اوربا الغربية .

الثقافة تتكون بعض الاحيان من قراءة الكتب او المحادثة وما يعلم اكثر من هذا ليس على اية حال ثقافة تفسير اليونانيين لهذا المعنى . والتفسير اليوناني للمعنى لا يزال ذاك المختار على اى حال في انكلترا من قبل اغلب اساتذة المدارس والكثير من اساتذة الجامعات وجميع السادة من قدماء السن وعندهم ذوق أدبي .

هذا لا ينطبق فقط على عصور اليونان والرومان ، ولكن ايضاً على التاريخ الحديث ، فانه يعتبر اكثر ثقافة ان تعرف عن هوراس ولبول Horace Walpole اكثر مما تعرف عن هنري كافندش Henry Cavendish ، وجول بولنبروك Bolingbroke اكثر مما تعرفه عن روبرت بويل Robert Boyle ، في انه في كل قضية كان الاخير الأهم . جميع هذه في النهاية مرتبطة بفكرة أن السيد هو واحد ، وهو الذي لا يستخدم يديه ما لم يكن في عمل الشرف في فن الحرب . يمكن ان يستعمل السيد السيف ، ولكن يجب ان لا يستعمل الآلة الكاتبة .

في أمور من هذا النوع ، فان الولايات المتحدة متفوقة جداً عن اوربا ، نظراً لحقيقة انه في اميركا ، أزيلت الارستقراطية مع التنظيم في وقت لا زالت سائدة في كل بلد اوروبي . ولكن شكلاً جديداً من تفاوت الطبقات في التربية اخذ ينمو . وهي الفوارق فيما بين إدارات الاعمال والتقدم التكنيكي للمعامل .

فالرجل المشغول في ادارة الاشغال يكون أرستقراطي المستقبل ، وعبرة « المنفذ العظيم » لها الى حد كبير نفس التعبير في امريكا الحديثة كعبرة « النبيل العظيم » التي كانت في غرائب دزرائيلي . ان استبدال المنفذ

العظيم بالنبيل العظيم كنوع مبدل لكونه له تأثير معتبر على تقاليد القربية . النبيل العظيم ، في أيام تكهنات وأحلام دزرائيلي ، كان مما لا شك فيه رجلاً لا يملك السلطة ، ولكنها كانت سلطة تأتي له بدون أن يكون عليه أن يبحث عنها والتي مارسها نوعاً ما بكسل . وكان أيضاً يملك ثروة عظيمة ، ولكن هذه مرة ثانية كان عليها أن تأتي إليه بدون تعب وتأثر ليفكر قليلاً بها . فالأشياء التي عليها عظم نفسه كانت سلوكه الممتاز ومعرفته بالبحر الجيد والفق مع العالم العظيم وجميع البلاد المتحضرة ، وحكمه فيما يتعلق بصور عصر النهضة ومقدرته من أجل الإشارة الآمرة . ويمكن القول بصورة عامة أن الانجازات الارستقراطية كانت ساذجة ولكنها بريئة .

إن انجازات المنفذين العظام في عصرنا الحاضر مختلفة تماماً . فلأنهم رجال حصلوا على مركزهم بواسطة عزيمتهم القوية ومقدرتهم على حكم الرجال الآخرين . قوة في صبرهم الحاكم والتنظيم هو الفعالية التي بها يتفوقون . أنهم رجال اكفاء في عمل اكبر الاعمال الخيرية ، او اكبر الاعمال المضارة . ورجال يجب ان يحترموا من اجل مقدرتهم وأهميتهم ، أنهم يحبون ويكرهون طبقاً لطبيعة عملهم ، ولكنهم لا يستعرضون بدون أهمية او تقدير .

ففي العالم الصناعي ، يجب ان يأتي هؤلاء الرجال من هذا النوع في المقدمة . وفي الاتحاد السوفييتي يستخدم رجال من هذا النوع من قبل الدولة في طراز يمطي فائدة من مقدرتهم بدون السماح للفردية المهمة التي هي مسموح بها ليكونوا مدانين في العالم الرأسمالي . ولكن سواء في ظل

الرأسمالية او في ظل الشيوعية فانهم رجال من هذا النوع يحتلون في النهاية الحضارة الصناعية ، والفوارق فيما بين عقليتهم وتلك الارستقراطية في الأزمنة الغابرة يجب ان يكون عندها نفوذ هام في جعل التربية الصناعية مختلفة عن المهنة الاقطاعي والعصور التجارية .

إن فكرة « تربية السيد » كان لها تأثير سيء على الجامعات . والشباب الذين ليسوا بصورة استثنائية متعلمين يجدونها صعبة في السنوات فيما بين سن الثامنة عشرة والثانية والعشرين ليأخذوا يحدد الحصول على المعرفة الأكاديمية ، والتي ستكون بدون فائدة مباشرة لهم فيما بعد في حياتهم . إنهم اذاً يميلون ليكونوا كسالى في الجامعة او اذا عملوا فانهم ليعملوا هكذا من مجرد حدم التفكير بوعي .

ومن أجل اولئك الذين تكون مهنتهم الأبحاث ، فإن الجامعات تكون مكاناً مدهشاً ، ولكن من أجل أغلب الباقين ، فانهم لدرجة بالغة بعيدون عن الاختبار في الحياة التي تتبع . انه من الممكن ان تقضي سنوات الجامعة في الحصول على علم كالذي له اختصاص مهني ، ولكن المحافظين على الأكاديمية يستعرضون هذا برعب . واعتقد انهم مخطئون ، كما اظن أن العديد من الشباب الماهرين اصبحوا بدون ذوق ويساورهم الشك بواسطة الادراك ، أن عملهم ليس له اي اهمية حقيقية ، حينما يكونون في الجامعة .

إن هذا لا يحدث لأولئك الذين يدرسون الطب او الهندسة او الزراعة او اي موضوع آخر يكون هدفه واضحاً . ان السيد يميل ان يكون أنيقاً اكثر من ان يكون فاعلاً ، ولكن كي يكون أنيقاً كفاية فإنه عليه ان يزود بدخل غير مكتسب . من أجل اولئك الذين عليهم

الحصول على تكاليف الحياة ، فانه من الحكمة بصعوبة ان تحاول الحصول على شكل من التربية يكون هدفها الرئيسي جعل الكسل مستحسنًا .

إن التعليم المجرد كفكرة له مكانته في حياة المجتمع ، ولكن فقط من أجل أولئك القلة الذين سيخصصون طاقاتهم للأبحاث . من أجل أولئك الذين سيكونون منهمكين في مهن أخرى ، فانه سيكون مستحسنًا لهم قضاء السنوات الاخيرة من التعليم في الحصول على مثل هذا العلم ، الذي سيمكنهم من ملاحقة مهنتهم بذكاء واتساع وجهة نظرهم .

ليس هناك مثل هذا الشيء في يومنا الحاضر كالثقافة العامة ، ولكن هناك ميل ، وخاصة في انكلترا ، لتحليل تلك العوامل في التربية التي ستمكن المرء أن يتكلم بذكاء واضح . بالإضافة الى أن المعرفة المستحصلة في الجامعة إذا كانت تماماً غير مختصة بمهنة عملية فانه من المحتمل أن تنسى عاجلاً .

فإذا جرى فحص الرجال المهنيين في سن الاربعين ، في المواضيع التي درست في الجامعة ، فاني أخشى انه في اغلب الحالات ستكون هناك معرفة قليلة باقية . في حين انه اذا كانوا قد درسوا شيئاً ما يمكنهم من مشاهدة مهنتهم بعلاقتها مع حياة المجتمع وفهم اهدافها الاجتماعية ، فانه من المحتمل على خبرتهم التالية أن يكون من شأنها إعطاء تخطيط لما قد تعلموه ، وتكون إذا قد سببت المعرفة لتبقى في ادمغتهم .

لقد عاجلت فيما مضى عدم الفوائد العرضية الحاصلة من فوارق الطبقات ، ولكنني اتيت فقط على ايضاح عدم الفوائد الكبيرة ، التي هي اخلاقية . فحيثما عدم المساواة الجائرة تكون منتشرة فإن الشخص الذي يستفيد

منها يظهر ليحامي نفسه من فكرة الادانة بواسطة آراء يقترحها على أنه في ناحية ما هو أحسن حالاً من اولئك الذين أقل حظاً ، وان آراءهم تشمل تحديداً للعواطف ومعارضة للعدالة وميلاً للدفاع عن الوضع الراهن فهم هكذا يعملون الأعضاء الأكثر حظاً في المجتمع خصوصاً لكل تقدم ، الخوف يغزو أرواحهم ويرتجفون من جميع القوانين التي يشتبهون ان لها ميولاً كاذبة ، والتي تكون إذاً تهديداً لراحتهم الخاصة .

ومن الجهة الثانية ، فان الاعضاء الأقل حظاً في المجتمع يجب أن يعانون مثل هذا التلف الادراكي في انهم لا يدركون عدم العدالة التي هم ضحاياها . ومن هذا المؤثر من فقدان احترام النفس في أنهم راغبون في أن يرضخوا وينحنوا أمام الرجال الذين هم طبيعياً ليسوا أحسن من انفسهم ، او انه يجب أن يكونوا مشحونين بالفضب والحقد ، يحتجون بحق وبشعرون بحاسة كآبة مستمرة ، ويصبحون تدريجياً مستعرضين للعالم من خلال اعين مريضة ضحية الاجراءات التعسفية .

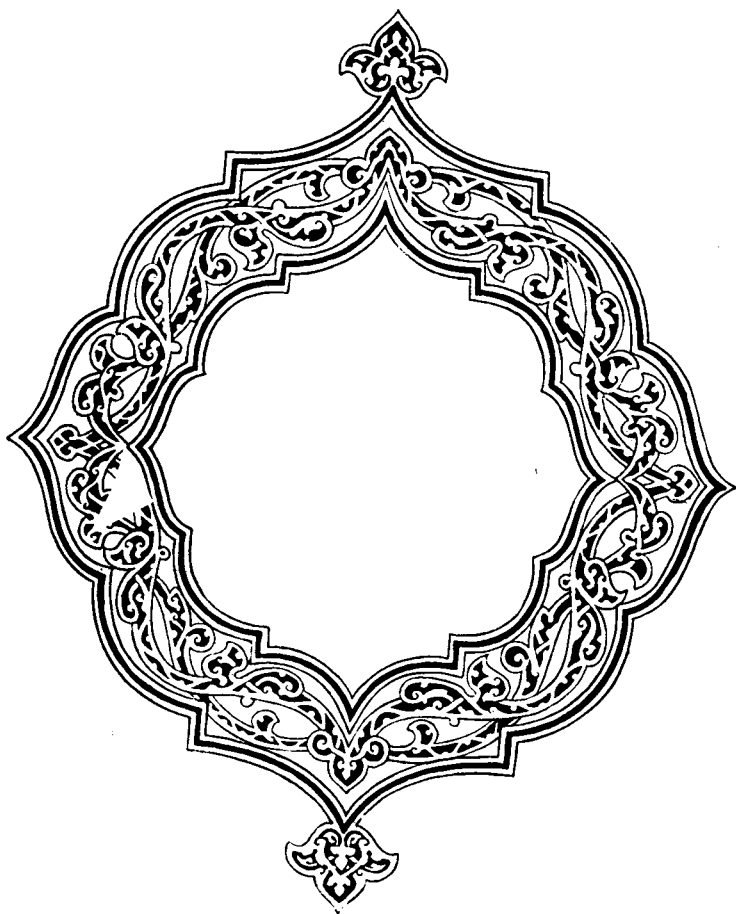
إن عدم العدالة المحتملة ، يكون لها هكذا وجهتان سيئتان . واحدة فيما يخص الحظ والاخرى فيما يخص سوء الحظ .

ولهذه الاسباب اكثر مما عن خلاصة الجودة في العدالة ، ومن أجلها خاصة ، يكون النظام الاجتماعي الجائر شريراً . ففي مجتمع مرتكز على عدم العدالة ، لا يمكن للجانب العلمي من التربية أن يكون كما يجب . وشعور الحقد الذي يعتبرونه في انفسهم هو سيء ، ومن المحتمل أن يكون قوة محركة ضرورية جداً للقضاء على عدم العدالة سواء فيما بين الطبقات والأمم او الجنس . ولكنهم لا يتوقعون أن يكونوا طبيعياً غير مرغوبين

بواسطة كونهم سياسياً ضروريين . ويجب أن يكونوا حجر ارتكاز
للمجتمع الجيد ، الذي به يكون الشعور المفيد لأولئك اللطفاء الاصدقاء
البنائين اكثر مما لأولئك الذين هم غاضبون ومدمرون .

إن هذا الاعتبار إذا اتبع فانه سوف يوصلنا بعيداً ، ولكن بالنسبة
لوضعنا المثالي في التربية ، فاني أترك للقارئ أن يقوم بالجدال لنهايته .





..... التنافس في التربية

كان للأفكار السائدة في القرن التاسع عشر ان امتد بعضها الى عصرنا وبعضها لم يمتد . وتلك التي امتدت من اجل الجزء الاكبر لها حقل اكثر حصراً في يومنا هذا مما كانت عليه منذ مائة سنة ماضية ، ومن تلك افكار التنافس هي خير مثال . وأعتقد انه من الخطأ اعتبار الاعتقاد في التنافس كأنه عائد للداروينية ، فان العكس هو حقيقة هذا الحال : لقد كانت الداروينية عائدة للاعتقاد في التنافس .

وبينا لا تزال البيولوجية الحديثة تعتقد في التطور ، فقد كان عندها اقل اعتقاداً بكثير في التنافس كقوة محركة اكثر مما كان عند داروين ، وهذا التحول يعكس التحول الذي حل في الجهاز الاقتصادي للمجتمع . فان الصناعة باشرت التنافس في عدد ضخم من المؤسسات الصغيرة جميعها ضد بعضها الآخر ، وفي اول الامر مع مساعدة ضئيلة من الدولة التي كانت لا تزال زراعية وأرستقراطية .

ان الصناعيين الاوائل اعتقدوا في مساعدة النفس ، وحرية العمل ،
والتنافس . فمن الصناعة امتدت فكرة التنافس الى المجالات الاخرى .
فان داروين أغرى الناس على أن التنافس فيما بين الاشكال المختلفة
للحياة كان السبب في التقدم التطوري . وان المربين أصبحوا يعرفون أن
التنافس في غرفة الصف كان أحسن أسلوباً لإنماء الصناعة فيما بين الطلاب .

والاعتقاد في التنافس الحر قديم ، استخدم من قبل ارباب العمل
كجدال ضد الاتحادات المهنية ، ولا يزال مستعملاً هكذا في الاجزاء
المتخلفة من أميركا . ولكن التنافس فيما بين الرأسماليين انخفض تدريجياً .
وان الميل كان من اجل اتحاد الصناعة الواحدة وطنياً ، وهكذا فان
التنافس أصبح بصورة رئيسية فيما بين الامم . وأقل مما كان سابقاً فيما
بين المؤسسات المتخلفة ضمن أمة راقية . وبنفس الوقت ، كان طبيعياً
مجادلة الرأسماليين توحيد أنفسهم لتأخير الاتحاد بقدر الاستطاعة ، حيث
ان الموظفين معنيون بشعارهم « بالاتحاد نقف والانقسام سقوط » .

فالتنافس الحر احتفظ هكذا به كفكرة عظيمة في جميع اقاليم
الحياة البشرية ، إلا في فعاليات العظماء الصناعيين . حيث يكون العظماء
معنيين فان التنافس يكون وطنياً ، ولذا يأخذ شكل تشجيع الوطنية .

إن فكرة التنافس في للتربية كان لها نوعان من التأثيرات السيئة .
فمن الجهة الواحدة ، قادت الى تدريس الاحترام للتنافس ضد التعاون ،
خاصة في الشؤون الدولية ، ومن الجهة الاخرى ، قادت الى نظام واسع
للتنافس في غرفة الصف ، وفي الجهد لتأمين منحة دراسية ، وتباعاً في
البحث عن وظائف ، ان هذا الدور الاخير لين نوعاً ما ، حيث يكون

الدخل المحدود معيناً بواسطة الاتحادات المهنية . ولكنها احتفظت بين الرجال المهنيين بجميع قساوتها غير الحسنة .

ان احدى علل الاعتقاد بالتنافس في التربية هو انها قادت ، وخاصة مع أحسن التلاميذ ، لمقدار كبير من زيادة الثقافة . ففي وقتنا الحاضر هناك ظاهرة خطيرة في كل بلد من أوروبا الغربية ، في حين انه ليس في شمال أو جنوب أميركا توقع أن يكون للأحداث ثقافة متزايدة بحيث تكون مدمرة للتخيل والعبقرية ، وحق للصحة البدنية . ولسوء الحظ ، يعاني الأحداث الكثير من هذه الظاهرة ، ففي كل جيل تضحي أحسن الأدمغة والتخيلات على مذبح الإله الأعظم : المنافسة .

فالشخص الذي عنده كما كان عندي خبرة في الجامعة ، لبعض أحسن العقول لجيل ما ، فان الخراب الذي يحصل من شدة العنف في الشباب يستحق الرحمة . فالجهاز التربوي في الولايات المتحدة يكون بالعديد من السبل دون ذاك في غربي أوروبا ، ولكن في هذا الشأن ، فانه أحسن مما هو في غربي أوروبا . والمتخرجون الشباب في أميركا نادراً ما يكون عندهم اتساع الثقافة او محض امتداد سعة الاطلاع ، التي توجد في نفس الدرجة في أوروبا ، ولكن عندهم حب المعرفة وحماس للابحاث وانتعاش للبداهة الإدراكية ، التي تكون عادة في أوروبا أعطت مكاناً منهاكاً ودقة مستهترة . لتتعلم بدون التوقف عن حب التعليم يكون ذلك صعباً ، ومن هذه الصعوبة لم يجد المربون الاوروبيون الحل .

إن أول شيء يباشره المربي المعادي في عمله هو قتل التخيل في الحدث . إن التخيل غير قانوني ، او غير نظامي ، فردي ، وليس صحيحاً

ولا غير صحيح . ففي جميع هذه الشؤون يكون غير مناسب المدرس ، خاصة عندما يتطلب التنافس نظاماً صارماً من الموهبة . وتصبح مشكلة العلاج الصحيح للتخيل أكثر صعوبة من خلال الواقع انه في أغلب الاطفال ينهار طوعاً كلاًهتام في زيادة العالم الحقيقي . وان الراشدين الذين يبقوا التخيل عندهم قوياً هم اولئك الذين احتفظوا من الطفولة بشيء ما من تحررها من الحقيقة ، ولكن اذا كانت تخيلات الراشد قيمة ، فان تحررها من الحقيقة يجب أن لا ينبع من الجهل ، ولكن من نقص معين في الاستعباد . ان Farinata degli Uberti أوضح جهنم باحتقار عظيم رغم ان عليه العيش هناك للأبد . وهذه الصفة باتجاه الحقائق محتملة جداً لتنمي تخيلات مثمرة في الراشد .

وللعبور الى اعتبارات اكثر رسوخاً ، خذ مثلاً لهذا الشأن رسم وتصوير الاولاد . فان اغلب الاولاد من سن الخامسة الى حوالي الثامنة يظهرون تخيلات معتبرة من النوع التصويري اذا شجعوا ، ولكن يكون خلاف ذلك اذا تركوا احراراً . فالبعض في حين انهم أقلية نادرة ، قادرون على الاحتفاظ بالدافع ليرسموا بعد ان اصبحوا شخصياً منتقدين . ولكن اذا كانوا قد تعلموا لينسخوا باعثناء وليهدفوا الى تمثيل دقيق ، فانهم يصبحون بصورة متزايدة علميين اكثر مما كانوا فنيين ، ورسومهم تتوقف لتظهر تخيلات . فاذا كان هذا من المفروض تجنبه ، فعليهم ان لا يرشدوا الى كيفية الرسم بدقة إلا عندما هم انفسهم يسألون عن ارشادات . ويجب ان لا يسمح لهم ليفكروا ان الدقة تشمل موهبة .

ان هذا صعب للمدرس طالما ان جودة الفن هو شأن رأي وذوق افرادي ،

بينما الدقة تكون عائدة لاختبارات منظورة . إن العنصر الاجتماعي في تربية المدرسة ، وحقيقة كونه واحداً من افراد الصف ، يميل ما لم يكن المدرس استثنائياً جداً ، ليقود الى التشديد في التحقيق الاجتماعي للتفوق اكثر مما الى الاعتماد على الصفة الشخصية . فاذا كان سيحتفظ بالصفة الشخصية ، فان التدريس المحدود يجب ان يخفض لأدنى حد ، ويجب ان لا يحمل الانتقاد لمثل هذا الحد ، حيث ينتج جبن في التعبير عن النفس . إلا أنه ليس من المحتمل لهذه القواعد ان توصل للعمل الذي سيكون ساراً للفتش .

ونفس الشيء في عمر اكبر قليلاً ينطبق على تعليم الآداب . فان المدرسين يظهرون ليعلموا كثيراً جداً ، وليعلموا قواعد غبية في الأسلوب ، مثل ذلك في الجملة التي تبتدىء مع « و » او « لكن » . فإن ارتكازات محدودة للقواعد يجب ان تلاحظ ، مع العلم انه حتى القواعد ، تكون اكثر مرونة مما يفترض أغلب المدرسين . فأبي ولد كتب :

« ولعنة عليه ذاك الذي يصرخ اولاً بالتمسك ، كفاية »

انه سوف يؤنب ليس فقط من اجل التدنيس ، ولكن ايضاً من اجل القواعد السيئة ، فيما يتعلق بالآداب وما يخص الرسم ، يكون الخطر اقل دقة ، ويجب ان يستبدل بالتفوق الفني . فان تدريس الآداب يجب ان يكون محصوراً في المطالعة ، والمطالعة من المفروض ان تكون محدودة اكثر مما تكون متسعة .

من الجيد أن تعرف عن ظهر قلب الاشياء التي منها يتوصل الفرد الى السرور الاختياري ، وتكون إجمالاً عديمة الجدوى من وجهة نظر

الثقافة في الآداب ، لتطالع شيئاً ما مهما كان كلاسيكياً وهو لا يعطى للقارئ .

ان الآداب التي تقرأ بشراهة وبتعبير وطرارز معروف انه بالـ ، في حين ان الآداب التي تطالع مرة بمرود ، تنمي تقريباً محادثة الادراك الظاهري . فالطلاب عليهم طبعاً ان يكتبوا مثلما يقرأون ، ولكن ما يكتبونه يجب ان لا يكون منتقداً ، لا ان يبين لهم كيف يمكن ان يكونوا قد كتبوا احسن ، حسب رأي المدرس . ولدرجة ما الكتابة معنية ، فلا لزوم ان يكون هناك تعليم .

وللانتقال من التخيل الى العقل ، فاننا نجد نوعاً ما ابحاثاً متشابهة متعلقة مع بعض اشياء اخرى معينة متصلة بالتعب . التعب يمكن أن يكون عاماً او خاصاً ، فالاسبق يعتبر فيما يتعلق بالصحة ، ولكن الاخير يحفظ في عقل كل اولئك الذين هم مشغولون في التدريب العقلي . لعل القراء يتذكرون كلب بافلوف ، الذي تعلم ليميز المستطيلات من الدوائر .

ولكن بما ان بافلوف عمل المستطيلات تقريباً مستديرة ، فلقد حل في النهاية نقطة - حيث كانت النسبة القصوى والدنيا للمحاور ٩ - ٨ - والتي بها قوة الكلب التمييزية تحيد عن الصواب ، وبعد هذا ينسى جميع ما سبق وتعلمه في موضوع الدوائر والمستطيلات . ان نفس الشيء حدث لكثير من الاولاد والبنات في المدرسة . فاذا ارغوا لحل المشاكل التي هي حتماً فوق طاقتهم ، فان نوعاً من الرعب المرتبك يحل بهم .

وليس فقط فيما يتعلق بالمشاكل الخاصة المعينة ، ولكن ايضاً فيما يتعلق بالأشياء الاخرى الفكرية المحيطة . وان العديد من الناس سيثون في

المواضيع الحسابية طيلة حياتهم ، وذلك لانهم باثروا بها عندما كانوا صغار السن لدرجة . فن الطاقات التي تختبر في المدرسة قوة استخلاص المبررات ، حيث تكون الأخيرة لتطور ما يمكن مشاهدته من التفاصيل المجموعة في كتاب بياجيت Piaget القيم عن التمييز والاستدلال في الطفل . فان معلم الاحداث ما لم يكن انسانياً وخبيراً جداً ، لا يمكن أن يصدق ان الاحداث هم ذوو افكار مشوشة وطالما ان التجارب الشفهية قد حصل عليها ، فانه من المفروض ان الموضوع مفهوم .

والحساب والرياضيات تدرس بصورة عامة في عمر مبكر جداً ، مع ان النتيجة فيما يتعلق بذلك تكون ان الكثيرين من الطلاب يحصلون على حماقة مصطنعة كتلميذ بافلوف في الهندسة .

ولنمنع هذا النوع من التعماسة ، فانه من الضروري أن يكون عند الاساتذة بعض المعرفة النفسية وتدريب معتبر في فن التدريس ، وحرية معينة لتراخي دورة الدراسة حيث يكون ضرورياً . ومن المرغوب ان تعلم كيف تكون حالياً فكرة مرغوبة للفقير ، ولكن اولاد السادة لا يزالون يدرسون من قبل اساتذة غير مدربين . وهذه احدى النتائج غير المفزية للأبهة .

ان التعب يدمر نوعية الادراك الواقعي ، ويكون محزناً جداً . انه اقل بلاء ، في حين لا يزال يجد ضار ، وعدم التشجيع في صالح الاشياء التبصيرية التي تنتج من حقيقة ان الكثير مما يدرس يكون (او على اقل تعديل يظهر) كلياً عديم الفائدة . خذ اي معدل من مائة ولد : فانني استطيع الكشف على ان تسعين منهم يتعلمون فقط خوفاً من

القصاص ، وتسعة من رغبة المنافسة للنجاح ، وواحد من حب المعرفة .

ان هذا الوضع المؤسف الراهن ليس من الصعب تجنبه . بواسطة وسائل مثل ساعات قصيرة ، دروس اختيارية ، وتدريس جيد ، ومن الممكن ان تكون السبب في ان حوالي سبعين بالمائة سوف يتعلمون من حب المعرفة . وعندما يكون بالامكان إثارة هذه الفكرة ، فان الانتباه يصبح رغبة وغير مفروض بالقوة ، مع النتيجة ان التعب يكون قد خفض لدرجة بالغة ، والذاكرة تحسنت بصورة ما .

وعلاوة على ذلك ، فان الحصول على المعرفة يأتي ليشعر به كسرور ، مع العواقب في ان يكون محتملاً ان لا يتابع بعد انتهاء الفترة السابقة من التربية . وسوف يتضح ان الاكثية يتعلمون في الساعات الاقصر للدروس الاختيارية اكثر مما في الاوقات الاطول من الفرض والانتباه المهمل . ولكن المدرس يجب ان يختار الارشادات لعقلية التلاميذ مما يستحق ان يعرف ، وليس ليحاول أن يفزعهم بظواهر غير مغلصة في أن الرصاصة القديمة لها بعض الشذوذ الغامض .

هناك خطأ ادراكي واحد غالباً ما يكون في جميع مراحل التدريس ، إلا الدرجة العالية من تدريس الجامعة ، وهو تشجيع الرغبة والاعتقاد على أجوبة محدودة ، تكون معروفة على الاسئلة التي هي امور مشروعة للنقاش .

انني اذكر مناسبة كان عدد منا يتناقش فيما تكون احسن مسرحيات شكسبير . وكانت غالبيتنا مهتمة في توجيه الجدل للآراء غير العادية ، ولكن شاباً حاذقاً ، كان ارتفع من المدارس الابتدائية مؤخراً الى

الجامعة قد اخبرنا الحقيقة ، التي كنا بدون حساب نجهلها ، على ان مسرحية هملت كانت احسن مسرحيات شكسبير ، وبعدها اقبل هذا الموضوع .

ان كل رجل دين في اميركا يعرف لم سقطت روما : طبعاً لفساد الاخلاق التي ظهرت بواسطة جوفينال وباترونيس Juvenal and Petronius . فالحقيقة هي ان الاخلاق اصبحت مثالية منذ حوالي قرنين قبل سقوط الامبراطورية الغربية ، وذلك كان غير معروف او مجهولاً .

إن الاولاد الانكليز يتعلمون وجهة نظر واحدة عن الثورة الفرنسية . وان الاولاد الفرنسيين يتعلمون وجهة اخرى ، ولا واحدة منها صحيحة ، ولكن في كل حالة يكون التسرع لعدم الموافقة مع الاستاذ ، وقليل يشعرون بأي ميل يفعلون هكذا .

ومن المفروض على الاساتذة ان يشجعوا عدم الموافقة الادراكية من جانب تلاميذهم ، حتى يحثوهم ليقروا كتباً فيها آراء مناقضة لآراء المدارس . ولكن هذا يعمل نادراً ، مع نتيجة أن اغلب التربية تشمل تثبيت الاعتقادات غير الاساسية بدلاً من روح الاستفسار . وهذه النتائج ليس من الضروري أن تكون خطأ من الاستاذ ، ولكن من المنهاج الذي يتطلب علماً كثيراً ظاهرياً مع الحاجة الناتجة عن التسرع والتحديد الزائد .

إن الصورة الأكثر خطراً من زيادة التعليم يكون تأثيرها على الصحة ، وغالباً الصحة العقلية . هذا الشر كما هو سارٍ في انكلترا يكون نتيجة للتسرع في تطبيق شعار الاحرار « تساوي الفرص » ، ولفاية وقت

متأخر حديث ، كانت التربية امتيازاً لأبناء الأثرياء ، ولكن تحت تأثير الديمقراطية ، شعر بحق ، ان تربية أعلى يجب ان تكون مفتوحة لمن بإمكانهم الاستفادة منها ، وعلى ان الكفاءة للاستفادة هي بواسطة الاعتماد في الاساس على الذكاء . فان وجد الحل في نظام واسع للتلمذة معتمداً على الكفاءة التدريسية في عمر مبكر ، ولدى واسع جداً على المنافسة في الامتحانات .

فان الاعتقاد في الفضائل المسيطرة المنافسة تمنع أي واحد من التأمل في أن الاولاد والبنات الراشدين يجب ان يكونوا عرضة للضغط الصارم المشمول جداً . فاذا كان الضغط فكرياً فقط ، فانه سيكون سيئاً لدرجة ، وينعكس على النجاح في فحص قصير بعد استعداد طويل اعتبر حالة ولد ذكي من عائلة فقيرة ، الذي يكون اهتمامه غالباً فكرياً ، ولكن رفاقه لا يهتمون بشيء من اجل الكتب . فاذا نجح في الوصول الى الجامعة ، فانه يمكن ان يأمل في عمل اصدقاء مقارنين له ، وأن يقضي حياته في عمل متجانس . واذا لا ، فانه يكون عرضة ليس فقط للفقر ، ولكن للعزلة العقلية . ومع النقيض السابق ، فهو متأكد تماماً ليعمل بشوق ، ولكن ليس بحكمة . وليلدمر مقاومته العقلية قبل ان تنتهي دراسته .

بينما يكون الشر واضحاً لكل من يكون عنده خبرة للتدريس في الجامعة ، فان العلاج ليس سهلاً ليدبر . ومن المحتمل ان يكون غير مرغوب ، ومن المؤكد انه سيكون غير ممكن تقديم تربية جامعية لكل شخص . وقباعاً يكون بعض الاسلوب للاختيار ضرورياً ، والأسلوب يجب ان يعتمد بصورة رئيسية على الكفاءة الفكرية . انه سيكون من

الاحسن اذا لم يكن الضغط هكذا منتشرًا كما هو عليه ، عندما تعتمد على الامتحان . واذا كان الاساتذة بإمكانهم اختيار قسم معين من طلابهم على قاعدة انطباعاتهم العامة ، فما لا شك فيه ان هذا سيقود الى مقدار معين من المماثلة والتحييد .

ولكن من المحتمل ان هذه الشرور ستكون أقل حزنًا من التي تنشأ في النظام الحاضر . فانه سيكون حسنًا اختيار اولئك الذين سيحصلون على تربية جامعية في سن الثانية عشرة والتي بعدها يجب ان يكونوا عرضة للتنافس . ولكن فقط لأوضاع معقولة للصناعة . وفي سن الثانية عشرة يكون عليهم أن يختاروا من اجل الادراك للكفاءة الفعلية .

ان هذه موهبة في اختبارات الذكاء ، وهي مستعملة قليلا في انكلترا ، في حين انه في اميركا يعتمدون عليها لحد ما ، وأظن ، انه لا يوجد هناك انصاف علمي . ان موهبتهم ليست خالية من الاخطاء - ولا اختبار بإمكانه ان يكون ذاك - ولكنها تجلب أكثر او أقل نتائج صحيحة على وجه العموم ، وعلى انهم لا يتطلبون كل هذا الاستعداد المنهك المضني الذي يكون مطلوبًا من اجل نوع الامتحان العادي .

ففي المناطق المتحضرة ، وحيثما توجد هناك كثافة كافية للسكان ، يتوجب أن يكون هناك مدارس خاصة لكل ولد وبنت مجدين ، كما ان هناك ايضا مصحات من اجل من عندهم نقص عقلي . فبداية من هذا النوع عملت في اميركا^(١) . ولكن لا تزال لغاية الآن على نطاق ضيق .

(١) راجع الاطفال الموهوبين ، تأليف هولنغ وورث ، الفصل الرابع والخامس .

إن من بعض النتائج الهامة على سبيل المثال ، الولد الذي يكون مجموع علاماته للذكاء ١٩٠ (ومائة هي المعدل) قد وجد في مدرسة عادية حيث لم يكن له اي أصدقاء وكان يعتبر مثل المجنون . لقد انتقل الى صف خاص للاولاد مع معدل ذكاء ١٦٤ ، حيث اعترف به بسرعة كقائد « وانتخب لكثير من مراكز الثقة والشرف » .

ان مقداراً كبيراً من الألم الذي لا حاجة له والاحتكاك سوف يؤمن للأولاد الحاذقين اذا لم يرغبوا ليتحدوا برغبة مع الاقران البلهاء . فهناك فكرة ان الصقل ضد التنوعات في عهد الصغر هو تحضير جيد من اجل الحياة . فان مؤلفي الكتب ليسوا ملزمين ليعيشوا فيما بين رجال الدين ولا رجال الدين فيما بين مؤلفي الكتب .

ففي الحياة ، تعطى فيما بعد مهنة الانسان ووضعه دلالة عن مصالحة وإمكانياته . وكان لي في يومي اني عشت في مختلف الرتب الاجتماعية مع دبلوماسيين ، زعماء ، مسالمين ، مساجين وسياسيين - ولكن لم اجد في مكان النقاش الحاد وعدم الاكتراث لمجموعة من الاولاد ، ان القسم الاكبر من الاذكياء لم يتعلموا بعد ليخفوا ذكاهم ، واذا هم عرضة لقصاص دائم على حساب غرابتهم . والاكثر تناسياً بينهم تعلم في وقت ليظهر عادياً وليسبغ على نفسه مظهر نعومة وبلاهة ، ولكنه ليس بمقدوري ان ارى ذلك الدرس يستحق التعلم .

فاذا سرت عبر مزرعة ، بإمكانك ان ترى الابقار ، والاغنام ، الخنازير ، الماعز ، الوز ، البط ، الدجاج والحمام جميعها تسلك طرقها العديدة ، ليس هناك احدي يفكر انه يتوجب على البطة الحصول على تناسق اجتماعي

بتعلمها لتسلك مثل الخنزير ، مع العلم ان هذا ما فكر به هكذا للاولاد في المدرسة ، حيث يميل الخنزير ليكون الارستقراطية .

إن فوائد المدارس الخاصة للاولاد الأذكيا تكون عظيمة جداً . وليس فقط انهم سوف يتجنبون العقاب الاجتماعي ، وبذلك يتخلصون من الألم الكثير والتعب الشعوري وجميع الدروس في التخاذل ، التي تسبب للراشدين الماهرين غالباً ان يؤجروا ادمغتهم لخدمة الأقوياء الاغبياء .

ومن وجهة النظر الفكرية بإمكانهم ان يتعلموا بسرعة اكثر ، ولن يكون عليهم معاناة عبء سماع اشياء يفهمونها تماماً ، مما تكون تشرح للاعضاء الآخرين في الصف . وعلاوة على ذلك ، فان محادثتهم مع بعضهم البعض من المحتمل ان تكون من نوع تثبيت العلم في ذاكرتهم ، وبالإمكان ان يكون وقت فراغهم جيداً بدون الخوف من السخرية .

لا نبيء بإمكانه ان يبحث ضد مثل هذه المدارس الا المصاعب الادارية . وذلك الشكل من الشعور الديمقراطي الذي له عنصره في الحسد . فعالياً كل ولد حاذق او بنت يشعر باستغراب ، وفي مثل هذا المحيط سوف يختفي هذا الشعور .

إن إحدى المصاعب لكل جهاز تربوي هي ان الراشدين يكونون كقاعدة ، ليسوا اساتذة ، وليس عندهم الخبرة المطلوبة لمعرفة ماذا يكون ممكناً وماذا يكون غير ممكن . فعندما يباشر الانسان التعلم ، ما لم يعلم فئة مختارة من الطلبة الأذكيا بصورة خاصة ، فانه يجد فجأة ان الناس حديثو السن يتعلمون اقل بكثير وأكثر بطئاً بكثير مما افترض هو ،

ان الموضوع يمكن ان يستحق المعرفة ، ولكن مها يكن لا يستحق التدريس لانه في الوقت الحاضر لا يتعلم اغلب الطلاب شيئاً منه . وان ميول اولئك الذين يضعون المنهاج بدون ان يكون عندهم خبرة في التدريس ، يضعون فيه كثيراً جداً ، مع النتيجة ان ولا شيء يعلم تماماً .

ومن الجهة الاخرى فان الاساتذة ذوي الخبرة ، من الملائم أن يكون عندهم القواعد المختلفة ، التي تكون غير مرغوبة تماماً . والميل الكلي هو أن يضع التلاميذ في نظام البداهة ، وتفضل تلك المواضيع التي لا يمكن أن يكون بها أي شك . مثل أن يكون الطالب قد قدم الجواب الصحيح .

إن المشكل الطويل للقواعد اللاتينية عائد نسبياً لهذا المصدر . والحساب لنفس السبب مقدرة قيمته اكثر . وفي المدارس الانكليزية الابتدائية يستغرق اكثر بكثير من الوقت مما يجب أن يستغرقه . والانسان العادي عليه أن يكون قديراً لعمل الحسابات ، ولكن خلف ذلك من النادر أن يكون عنده مناسبة للمبالغ . وماذا يمكن أن يكون قد تعلم من حساب معقد ، سوف لا يكون ذا فائدة عملية بالنسبة له في الحياة فيما بعد اكثر مما يكون للاتينية التي كان بإمكانه تعلمها في نفس الوقت . وأقل استعمالاً مما بإمكانه تعلمه عن علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم حفظ الصحة البدائي .

إن مشكلة التعليم المتزايد هامة وصعبة . هامة لأن الشخص الماهر الذي حاز على تعليم زائد يفقد اختياره في ثقة النفس والصحة ، وبهذا يصبح عضواً أقل نفعاً للمجتمع مما كان يجب أن يكون . وصعبة لأن

فوضى المعرفة السارية تنمو اكبر ، حيث اصبحت بصورة متزايدة شاقة لتعرف كل ما هو متعلق بها . وكلاهما يكون في المسائل المعقدة العملية بصورة بالغة ، وفي الاكتشاف العلمي . لذا ليس بإمكاننا تجنب ضرور التعليم المتزايد بمجرد القول « دع الاولاد والبنات يحرقون بطيش وان لا نكثر بالتعليم المتزايد » .

فان جهازنا الاجتماعي يعتمد بصورة متزايدة على الذكاء المدرب والتعلم . وصكابة العلم على اتساعها هي بصورة بالغة عائدة لفقر في التربية من جانب الرجال العمليين . فلماذا كان الصرافون والسياسيون يفهمون النقد والرصيد ، فانه يتوجب علينا جميعاً من الاعلى الى الاسفل أن نكون اثرياء اكثر بكثير مما نحن عليه .

إن تقدم الفكر - ولناخذ ايضاحاً آخر - ليس بإمكانه متابعة أي شيء مثل سعره الحالي ، ما لم يكن الانسان بإمكانه أن يصل الى حدود المعرفة السائدة في الوقت الذي يكون فيه في سن الخامسة والعشرين ، طالما أن قلة من البشر قادرة على التوصل الى الأساس العميق بعد عمر الثلاثين . والمواطن العادي ليس بإمكانه أن يلعب دوره في عالم مرتبك ما لم يكن اكثر تعوداً مما هو حالياً ليستعرض الاصدارات العملية كأمر تقرر بواسطة الادراك لكتل الحقيقة ، اكثر مما تكون بواسطة الشعور الضار والكلام الفارغ . فجميع هذه الأسباب ، التربية الادراكية هي ضرورة حيوية في النظام الاجتماعي الحديث .

ومن المفروض أن تكون هناك ارشادات كافية ، وأن تكون هناك ضرور التعليم المتزايد . وهذا يتطلب ثلاثة اشياء : الاول والاقصى أن

يكون هناك قليل من الضغط الشعوري بقدر الامكان فيما يتعلق في الحصول على المعرفة ، وهذا يتطلب تطورات عظيمة في نظام الامتحانات والتدريس والتفريق حيث يكون ممكناً بالنسبة للطلاب الأذكياء . ان الضغط الشعوري هو العنصر الرئيسي للتعب الضار ، وبصورة واضحة ان التعب الفكري مثل تعب العضلات يعالج كل ليلة اثناء النوم ، ولكن التعب الفكري يمنع النوم الكافي ، ويجعله غير مريح بواسطة الاحلام السيئة . فائناء التعليم ، يجب أن يكون للأحداث بقدر الإمكان كيان مرح .

والشيء الثاني المطلوب هو إزالة كلية الإرشاد التي تخدم هدفاً غير مفيد . انني لا اعني ان على الاطفال والاحداث ان يحصلوا على ما هو مشروط ومفيد ، ولكن عليهم ان لا يتعلموا اشياء كانت دائماً تقريباً . فإني كنت اسأل باستمرار الأحداث الذين انتهوا من المدرسة مؤخراً بما تعلموه من التاريخ . ولقد وجدت بصورة عامة أنهم درسوا التاريخ الانكليزي من هنكست Hengest وهورسا Horsa لنورمان الفاتح Norman conquest مرة تلو الاخرى في كل صف جديد ، وانه خلاف ذلك لم تعرفوا شيئاً . لعلي أكون وحيداً في ذلك ، ولكنني لم أجد نفسي بعد في وضع حيث كانت الحقيقة مفيدة لأعرف عن (مثلاً) علاقات ممالك ميرسيا Mercia ووسيكس Wessex في القرن الثامن . هناك الكثير في التاريخ يستحق المعرفة بغزارة ، ولكن هذا يدرس بصعوبة في المدارس .

أما المطلب الثالث فهو أن جميع الارشادات العليا يجب ان تعطى بوجهة نظر لتعليم الروح والتكنيك للاستعلام اكثر من مقام اذاعة الأجوبة الصحيحة للسؤالات . فهنا مرة ثانية تلام الامتحانات . فالشخص الشاب

الذي عليه ان يجتاز (مثلاً) امتحاناً ابتدائياً في الأدب الانكليزي من الممكن ان ينصح حسناً لأن يقرأ كلمة واحدة لأي من الكتاب العظام ولكن ليتعلم عن ظهر قلب بعض كتب تعطي جميع المعلومات الا ما لا يستحق الحصول عليه . فمن اجل شأن الامتحانات على الناس حديثي السن ان يتعلموا عن ظهر قلب جميع انواع الاشياء مثل التواريخ ، التي تكون اكثر جدية لتطلع في كتب تشار اليها .

والنوع الملائم من الارشادات يعلم استعمال الكتب ، وليس مهارة الذاكرة عديمة الجدوى التي خططت لجعل الكتب غير ضرورية . فان هذا معترف به تماماً فيما يتعلق بعمل خريج الجامعة ، ولكن يتوجب ان يعترف به في طور مبكر جداً من التعليم . وان ابحاث الطالب يجب ان تحكم بواسطة الاستقامة او خلافها من النتيجة القائدة اليها ، وليس بواسطة امتداد المعرفة ومعقولية الجدال . فان هذا الاسلوب سوف يجعل الحصول على المعرفة شيقاً ، وبذلك يخفض لدرجة بالغة الجهد لإرغام شخص ما ليعطي انتباهاً لما هو منهك ، ولذلك فان أي أسلوب يزيل العبء ، هو ايضاً يزيل أغلب التعب .

بواسطة هذه الأساليب ، سيكون ممكناً أن يصبح متعلماً تعليماً عالياً بدون تعريض الصحة وحسن الاختيار للخطر . ولكن هذا لن يكون ممكناً حين يكون طفيان الامتحانات والتنافس مستمراً . فإن التنافس ليس شيئاً فقط كحقيقة تربوية ، ولكن ايضاً فكرة للتمسك بها قبل الاحداث . فما يحتاج اليه العالم الآن ليس التنافس ، ولكن التنظيم والتعاون ، فإن كل اعتقاد في توحيد التنافس قد اصبح غير متناسق . وحتى اذا التنافس كان مفيداً ، فانه ليس بحذ ذاته مستحسن ، طالما ان الشعور

المتصل به هو شعور العداء وعدم الاكتراث . والرأي مجتمع كجمع
أسامي يكون صعباً جداً لأولئك الذين تكون عقولهم منغمسة بأفكار
التنافس . إنه أدبياً وليس أقل عن وجهة النظر الاقتصادية غير مرغوب
فيه لتعليم الأحداث ان يكونوا منافسين .



التربية في ظل الشيوعية

رأينا في الفصول السابقة الشرور الناجمة عن التربية بواسطة المؤسسات ذات الملكية الخاصة وارتباطها مع العائلة الفاضلة . والآن علينا أن نبحث ما هو في ظل الشيوعية ، الشرور الأخرى المعادلة المتوقعة أو عكسها ، انه بالإمكان أن تكون التربية العامة احسن في ظل الشيوعية اكثر مما كان باستطاعتها في ظل الرأسمالية .

ان وضع التربية حالياً في الاتحاد السوفياتي يجب ان يعتبر في هذا الشأن ، وهو طبعاً ليس بواسطة اي وسائل قطعية ، طالما ان روسيا لا تزال منهمكة في اعمال الانشاء ، وانها لا تزال بعيدة عن الهدف النهائي . وهي اكثر تربية من اجل هدفنا في ان نبحث ماذا تأمل ونقصد حكومة الاتحاد السوفياتي أكثر مما توصلت اليه . لما عمل لفائدة الآن هو ضروري في طبيعة المساواة . ففي مطلع الثورة ، كان معظم

الاجلبية من الروس أميين ، والمزارعون الذين يشكلون ٨٠ في المائة من عدد السكان كانوا محافظين جداً في عقليتهم . وأن النقص في الرأسمال ، والنقص في المباني المدرسية ، والنقص في المدرسين ، جميعها كانت عقبات أليمة .

وبالرغم من جميع هذه المصاعب ، فإن الكثير قد عمل لجعلها واضحة فيا سيكون نظام التعليم هنوما تنجز . اننا سنبحث اذن ماذا أنجز لغاية الآن في التربية ، وبعدها نحاول شرح المستقبل المقصود للتربية .

ان اكثر او اقل احصاء رسمي قدّم من قبل ب . بينكيفتش P. Pinkevitch رئيس جامعة الولاية الثانية لموسكو في كتابه عن التربية الجديدة في الجمهورية السوفياتية ، نشر في لندن من قبل وليامز ونوركيت ليمتد .

هذا الكتاب يمكن قبوله كمرجع رسمي لجميع الاسئلة بالنسبة للمنظمات التدريسية وأهدافها الحالية . والكثير من القراء سوف يفاجأون حين يجدون كم يوجد هناك تشابه لما هو قائم في البلاد الغربية .

ان تعليم الاولاد ليقروا ويكتبوا ويعملوا حسابات هو قطعاً من التطبيق الفعلي الذي ليس متأثراً بالنظام الاقتصادي . والأسئلة بالنسبة للصحة هي ايضاً غير قابلة للجدل . ولكن علاوة على مثل هذه الأمور ، فانه توجد هناك أنظمة الكشف في تدريس اخلاقية المدرسة ، وفي تقرير الاخلاص للدولة ، وهلم جرأ ، السقي تقريباً مشابهة لتلك المستعملة في انكلترا واميركا . وشيء ما من وجهة النظر المألوفة لعميد الجامعة كما هو معروف في الولايات المتحدة يخرق من خلال الاسلوب الشيوعي غير

المألوف . وبالرغم من هذه الأصداء للأنظمة الأقدم ، فإنه مهما يكن هناك الكثير فهو جديد ، وما هو جديد له أهمية بالغة .

والارتباط الودي فيما بين التربية والنظام الاجتماعي الذي سبق وشرح في الصفحات الماضية أكد طبعاً بدرجة محدودة جداً من قبل الشيوعيين . فان بينكيفتش ذكر من تسابير لينين عن المدارس في البلاد الغربية الرأسمالية :

« إن الدولة البرجوازية التي كانت أكثر ثقافة ، هي الأكثر دهاء في الخداع » مؤكداً ان المدارس بإمكانها ان تبقى خارج السياسة ، وهكذا تستخدم المجتمع . ففي الحقيقة كانت المدرسة أداة كلية لسيطرة الطبقة في ايدي البرجوازيين ، وكانت طيلة الوقت مشحونة بروح الطائفية ، وهدفها كان لاعطاء الرأسماليين عبيداً الزاميين وعمالاً أكفاء .

ففي البلاد الشيوعية ، تكون المدرسة أداة لسيطرة الطبقة في أيدي البروليتارية . ولا يوجد هناك أي تدريس للسلوك خلافاً لما هو مفيد للعمال في كفاح الطبقة .

ونقل عن لينين مرة ثانية قوله : « اننا ننكر أي نوع من الاخلاق يكون مأخوذاً من الفكرة الإنسانية وغير الطبقة ، ونعتبر مثل هذه الاخلاق كخيانة وخداع تقفل أدمغة العمال والمزارعين لصالح اقطاعي الارض والرأسماليين ، وأننا نقول أن اخلاقنا تكون خاضعة كلياً لصالح الطبقة الكادحة من البروليتارية » .

وأنها لتظهر تتبع ذلك عندما توصلت البروليتارية الى نصر محتم ، وهكذا لم يعد هناك أي كفاح طبقي ، ولم يكن هناك أي شيء .

كأخلاق . وبينكيفتش ، مهما يكن ، سمح لفكرة نوعاً ما أكثر
إيجابية لتظهر حين قال :

« ان هدف الطبيعة والارشادات العامة في روسيا السوفياتية هو
المساعدة في جميع التطورات الصحية ، القوة ، الشجاعة الواقعية للانسان
المستقل فكرياً وعملياً ، متعرفاً بالجوانب العديدة للثقافة المقترنة ، والمبدع
والحارب في صالح البروليتارية وتباعاً في التحليل النهائي لصالح جميع
البشرية » .

ومن خلال حذف الاشارة الطارئة الى البروليتارية في هذا التعبير ،
فاننا حصلنا على فكرة محدودة جداً لا تشمل شيئاً بوضوح للشيوعية .
ولكن في فترة الانتقال تلعب الدعاية دوراً كبيراً ، وأثناء هذه الفترة
« فان الهدف هكذا لنتكلم عما هو تعليم العقيدة للشباب في فلسفة
البروليتارية » .

وقد اعترف بنيكيفتش انه « من وجهة نظر تشكيلات سلوك
الأحداث والأطفال في انها بدون منازع أهم فترات الحياة » . فهو أعلن
انها ستكون مرغوبة اذا اعتني بالأطفال في مؤسسات ليس فقط من
أجل خاطرهم ، ولكن ايضاً كي ندرك تماماً الدولة الاشتراكية التي
بها المرأة تحررت من الذل والغباء والاداة غير المنتجة ، تحتل مكانها
جنباً لجنب مع الرجل . ففي كل من الطفولة والقصور يفكر ان
المدرسة ذات تأثير احسن من العائلة .

ان انتقادنا الرئيسي للمدارس المقارنة هو انها تتعاطى مع الاطفال
الذين يقضون ربع وقتهم في الخارج ، وبعيدين عن نفوذ المدرسة مع

الاطفال الذين يأتون الى المدرسة لمعلومات وتقاليد معينة ، وعلى أقل تعديل الى ميل باتجاه وجهة نظر معينة عن العالم . وبدون ادنى شك فان بيت الطفل حيث يدخل الاولاد والبنات فيه عهد الطفولة او اليقاعة المبكرة ، ويبقون لغاية اقتراب عهد الرجولة ، يقدم شكلاً تاماً من التربية ففي بيوت الاطفال ، بإمكاننا أن نوجد بدون ظروف معينة نوع المحيط المثقف الذي نحن مدرسي اليوم نتوق اليه . ونجد أنفسنا غالباً عاجزين في المدارس اليومية العادية نظراً لتفوق قوة البيت والعوامل الاخرى الخارجية .

إن مطامح الحكومة السوفييتية قد جعلت واضحة بواسطة هذه التعابير ، ولكن من أجل الحاضر فهم ليسوا أكثر من طامحين ، وفقط ٤ أو ٥ ٪ من الاطفال الذين في سن ما قبل المدرسة يعنى بهم بواسطة نوع من المؤسسات . ان التعليم الدولي الاجباري محصور حالياً في اربع سنوات من سن الثامنة للثانية عشرة ويقضي في المدارس الابتدائية .

أثناء فترة الدراسة سواء كانت طويلة او قصيرة ، فان المدارس الروسية تختلف عن تلك في البلاد الاخرى ، في كونها أقل علماً وأقل بكثير تركيزاً في بلوغ المعرفة . فالمعرفة يجب أن تكون الهدف ، بل ان تكون أكثر طبيعياً وانتاجاً عرضياً لنوع معين لمنظمة حياة الاولاد في المدارس .

ففي الحقيقة يجب أن نجعل مدارسنا « حياة مدرسية » . ففي عمل المدرسة يكون الاتصال بصورة ودية بالحقيقة ، والمكان الواضح يعطى للعمل المنتج . فان الجهاز الكلي للمدرسة عليه أن ينمي تطور الفرائز الاجتماعية ويجهز تدريباً اشتراكياً للثوريين الشيوعيين في المستقبل .

الأولاد في المدرسة لا يتعلمون الدروس فحسب ، بل والعمل اليدوي المفيد أيضاً ، وذلك بقدر ما تسمح به قوتهم ومهارتهم . ويعملون هذا ليس كتعليم ولكن كجزء من واجبات المواطن .

إن بنكيفتش يتكلم عن القاعدة الهائلة الاجتماعية والسياسية للعمل في المدرسة ... فطالما أن العمل ينظر إليه كشيء ما مفيد أو قيم من وجهة نظر التدريب الآلي ، فإنه يجب أن لا يكون عندما تستحق مدرسة أن تحمل اسم الاشتراكية أو الشيوعية . وعلى طلابنا أن يشعروا بأنفسهم أنهم أعضاء عاملون في منظمة عمالية . هذه هي إحدى أهم ظواهر التربية في روسيا .

ولم يوضح بنكيفتش بتفاصيل كثيرة عما يشكل عمل الأولاد وكـم ساعة من المنهاج تكون مخصصة لها ، والمهن القانونية في الانتاج الفعلي في المعمل أو المطحنة . فهو يقول انها تكون جزءاً من العمل اليدوي للمدارس بفكرة انهم يتناسقون مع المنهاج التعليمي . ففي النواحي الريفية ، فإن العمل في المزارع يحل مكان العمل في المصانع وبالنسبة لهذا فان جوليان هكسلي يقول حقيقة (١) :

ان هذا الارتباط للمدارس الريفية مع المزارع هو اكثر بكثير ليحكي من اجله ، اكثر من تلك المدارس في المدن التي بها مصانع . ومن اجل الزراعة هناك موضوع واسع ، بينما كل مصنع يتعاطى فقط بفرع اختصاصي من الصناعة ، فان الزراعة اكثر تناسباً مع حياة الريف من الصناعة

(١) في وسط العلماء السوفييت ، صفحة ١٠٢ .

المتناسبة مع حياة المدن . وان انسجام المدرسة مع المزرعة كجزء مكل
لمؤسسة افرادية جيد من وجهة النظر التعليمية .

وجهة النظر هذه ، مهما يكن ، هي اصلا مختلفة عن تلك التي عند
المرشدين السوفيت ، الذين جعلوا عمل اولاد المدارس نوعاً ما في ضوء
النظام السلوكي . « وبينما الدراسة ضرورية » ، يقول بنكيفتش : « ان
تعاليم فعاليات الحياة العملية لا تكون اقل ضرورة . ففي مدرسة
عمالية اشتراكية تكون الفعاليات اجتماعية ، وبالطبع تكون نافعة .. »
هل نحن نعتبر اجتماعياً العمل المفيد ، كعمل له صبغة اجتماعية للمدرسة
وتلاميذها ، او كعمل للمدرسة يكون مفيداً للمجتمع المحيط بها ؟
ان اسلوبنا في التفكير بالمعنى المطلق للمشكل يعتمد على تقبل التعبير
الثاني . وذلك في القول ان عمل الاولاد يجب ان يكون عملاً اعتبارياً
ضرورياً وليس عملاً خاصاً اختير على حساب القيمة التربوية .

ان العمل المفيد اجتماعياً في المدرسة يقسم الى قسمين رئيسيين :
الاول ، يشمل الاثارة والدعاية . والثاني ، يشمل العمل العملي . فتحت
العنوان السابق يثار الاولاد على تنوع عظيم من المستويات ، فمثلاً دوران
الحصول من اجل « الاكثر استحقاقاً » للمرشحين في الانتخابات ضد
الدين ، الملايا ، البق ، التدخين والسكر . وان الجهد العملي يظهر تنوعاً
مشابهاً . فالاولاد الذين يكونون مشغولين في تعقيم الجراثيم باهتمام بالغ ،
وفي شره التعارك بواسطة غرس الاشجار ، وفي تمديد الكهرباء الى بيوت
المزارعين ، وفي توزيع النشرات الانتخابية ، وفي قراءة الصحف للأمين ،
وفي إقصاء الطفيليين ، وفي مساعدة الارامل المحتاجين .

ليس هدف المدارس السوفيتية فقط تفهم العالم ، ولكن تطويره .
وهدفها كما ذكر بنكيفتش هو « اعادة انشاء العالم وفقاً لنظرية ماركس ،
فان بجمل الفكرة للادراك العابر تكون غريبة بالنسبة للنظام ، وهذا
يجب ان يتذكر اذا كان النظام سيحكم بانصاف .

واعتقد انها كانت كالروسيين اكثر منها كالماركسيين ، حيث ان المؤتمر
الخامس والثلاثين لجميع روسيا في فترة ما قبل التربية المدرسية اختار
الحلول التالية : « ان الموسيقى يجب ان تتخلل كلياً حياة الطفل ، وان
يكون هناك موسيقى اثناء العمل ، موسيقى اثناء اللعب وموسيقى اثناء
الاعياء . فالمدرس عليه ان يأخذ بعين الاعتبار الخلق الشخصي للطفل ،
ومن خلال تنظيم اركسترا وغناء جماعي يجهز بالخبرة الموسيقية الضرورية .
ان هذا يستحق الاعجاب ، ولكن ليس بإمكاننا الاعتقاد ان ثورة شيوعية
سوف تجعل الانكليزي موسيقياً ..

إن العقلية الحربية ضرورية في روسيا ، نظراً لعداء البلاد الاخرى
للشيوعية ، حيث ادخلت الى التربية عدد من الظواهر التي هي تقريباً
مشابهة لتلك التي نتجت عن الوطنية في الاماكن الاخرى . فان « الرواد
الشباب » هم نسخة عن الكشاف ، وعندما تقريباً نفس القوانين والوعود
وقوانينهم هي :

- ١ - العامل هو حقيقة لمبرر الطبقة العاملة ووفقاً لآراء لينين .
- ٢ - العامل هو الأخ الاصغر والمساعد الى الكومسومول والشيوعي .
- ٣ - كما إن العامل رفيق للرواد وللشغيلة وأولاد المزارعين في العالم .

٤ - العامل ينظم الاطفال المحيطين ويساهم معهم في الحياة المحيطة :
العامل مثال لجميع الاطفال .

٥ - إن العامل يكافح من أجل المعرفة ، والمهارة والمعرفة هما قوة
في الكفاح لصالح العمال .

العامل يقسم ايضاً اليمين المعظم :

« أنا عامل شاب في الاتحاد السوفيتي ، في حضور زملائي اقسم
بشرفي : (١) انني سوف ادافع بثبات عن صالح الطبقة العاملة في الكفاح
من أجل تحرر العمال والمزارعين في العالم . (٢) وانني بشرف وبدون
تهاون سوف انفذ توصيات لينين وقوانين وعادات الرواد الشباب » .

ومع كل فائنا أعلننا علناً أن الحكومة السوفيتية لا تعتقد في
التربية « الاخلاقية » ، فهناك ذوق ظاهر للاخلاق ، بإمكان المرء القول في
تعظيم الذات عن تلك القوانين والوعود . إن صورة الرائد الشاب المكافح
من أجل المعرفة ، كونه نموذجاً لجميع الاولاد ، يعود الى كتب التقوى
للأولاد في شباني » .

قال اولئك الذين اصغوا الى دعاية الرجعية ، فانها ستأتي لهم مفاجأة
ليجدوا ان صفات السوفييت في تربية الجنس هي بعيدة عن الواقعية .
« ان دور المدرس والآباء » كما يقول بنكيفتش هو « لحماية الولد ضد الاثارة
غير المتوجبة لصالح الجنس » . ونشاط الشباب « يجب أن يوجه باتجاه
الثقافة الطبية والرياضة الفعالة ، العمل اليدوي ، والنشاط الفكري ،
والحركة العمالية ، وجميع اشكال العمل الاجتماعي الذي يتطلب مقداراً

معتبراً من القوة البدنية . فاذا تمددت قوة الطفل بصورة اعتيادية في هذه الاتجاهات فانه لن تبقى قوة للتطور المثير في ميول الجنس .

إن التربية المشتركة موافق عليها كمنخفض لجاذبية الجنس فيما بين الاولاد والبنات . والمعلومات عن المواضيع الجنسية يجب أن لا تكون متزايدة طالما انها « اذا كانت فان النتيجة تكون فقط اثاره غير صحيحة ، والواحد بإمكانه أن يفترض صفات فضيلة غير كافية باتجاه علاقات الجنس » . لقد رفض بذعر الاقتراح انه يتوجب على الاطفال أن يراقبوا النكاح في الكلاب ، الدجاج ، المواشي ، والخيول . ويقال : « ان مسألة الجنس لم تكن منفردة لتحليل منفصل وخاص ، فان انتباه الاولاد والراشدين سوف لا يكون محدوداً بهم » . انه يشار الى أن سؤال الجنس يجب أن يكون خاضعاً « لمشاكل اخرى اكثر اهمية » . فجميع هذا يمكن أن يكون سليماً او غير سليم ، ولكنه لا يظهر أي شيء متعلق بالثورة . إلا من أجل تحليل التربية المشتركة ، التي من الصعب أن تدعى جائرة ، وان الآراء المعبر عنها تكون باتفاق واقعي مع تلك لمدراء المدارس الانكليز .

ولتقدير وجهات نظر التربية في ظل الشيوعية من التجارب الحالية في روسيا ، ليس ذلك من السهل . ليس فقط ان هناك وجهات نظر هامة تكون بها مقاصد الحكومة لم تنفذ بعد ، ولكن ما هو اكثر اهمية هو عقلية الحرب الناتجة عن صراع العالم على نطاق واسع فيما بين الرأسمالية والشيوعية . هكذا يسود المدارس في انه من الصعب التكهن كيف انها ستتطور اذا كانت الشيوعية في كل مكان منتصرة .

ولما كنت شخصياً في روسيا عام ١٩٢٠ كان قد أنجز القليل . ففي ذلك الوقت رأيت مدارس حضانة ، حيث كان الاطفال سعداء ، والعناية الصحية كانت ممتازة . ولكن حينما يكونون عرضة لدعاية شديدة ، فانهم يتمكنون من التكلم . ولقد رأيت مدارس لأولاد اكبر ، وكانت تعمل أقصى جهدها بالرغم من الفزع لنقص المعدات . وتكلمت مع اساتذة الجامعات الذين كان وضعهم بعيداً عن التوافق ، ولكن هذه الخبرة لها فائدة قليلة نظراً للتطورات المتتالية . كما بالنسبة لها ، فقد اصبح عندي فائدة اول تقارير شخصية .

أما ما يتعلق بالدين والجنس فيظهر حالياً أنها يكونان فارقاً بسيطاً فيما يتعلق بالمدارس الروسية والغربية . فان الدين الذي يدرس ليس نفس الشيء ، ولكنه يدرس بعقيدة متساوية . ففي روسيا كما في الغرب ، هنالك افتراضات ، والمفروض الاعتقاد بها بدون شك ، وليست عرضة لانتقاد دقيق . ففي حقيقتها ، ان الدين الروسي غير مشابه لدين البلاد المسيحية ، وانه واحد ، وأغلب الناس الشباب الذين يكونون عرضة له يتقبلونه بحماس ، ويعملون قواعد حياتهم طبقاً له . والحقيقة ، هي ان الناس الاذكياء بإمكانهم اعتبار الديانة الروسية كوسيلة باتجاه خلق عالم افضل ، وبإمكانهم تقبل عقيدتها على اقل تعديل فلسفياً بدون الاستسلام العقلي .

ففي هذا الخصوص ، فان الماركسية عندها الآن الفوائد كالتي كانت عند المسيحية عندما كانت حديثة العهد ، ولكن هل بإمكانها الاحتفاظ بهذه الفوائد اذا كانت قائمة ومنتصرة ؟ انها متحدة في اللحظة الحاضرة مع الأمل والفعاليات المثمرة نظراً لوجود بلاد شاسعة نصفها خال وناضج للتطور الاقتصادي .

لقد كانت اميركا في وقت ما بنفس الوضع ، وكانت لها ريادة الديمقراطية ، ونسبوا لها الفضائل التي بإمكاننا الآن مشاهدتها في الارتباط بوجود القارة المنتظرة آثارها . ان حدثا جغرافيا مشابهاً يعمل الآن لصالح الشيوعية ، ويجب ان يعم تأثيره قبل أن نقدر النتائج ، التي من المحتمل أن تكون في البلاد النامية اقتصادياً .

فاذا بقيت العقيدة الماركسية معدية كما هي حالياً ، فانه من المحتمل مع الوقت أن تصبح عقبة عظيمة في طريق التقدم الفكري . وسابقاً هنالك مظاهر للعلم الحديث يمجدها الشيوعيون لإخفاء لاهوتهم . فمثلاً وجهات النظر فيما يتعلق بالذرة التي اوصلت اليها نظرية الذرة . فإت الرأي على أن كل شيء في صفات البشر له دوافع اقتصادية يمكن في اي لحظة أن يتحول الى خلاف عنيف مع العلم .

وعلى سبيل المثال الدودة الوحيدة تتلاشى قدرتها في البلاد الحارة ، وفي هذا الشأن يكون الطقس وليس الاقتصاد العامل النهائي . وعلاوة على ذلك ، فإن جميع الفلسفة الماركسية تكون هكذا مهتمة جداً في الكفاح الطبقي حيث أصبحت غامضة وغير محدودة ، عندما تدرس العالم بدون الطبقة كما تريده . فاذا العقائد الماركسية القاهرة كانت تحل مكان المسيحية ، فمن المحتمل أن تكون عقبة عظيمة للتقدم العلمي كما كانت المسيحية .

ومها يكن يظهر غير محتمل في ان الفلسفة المتحدة حالياً مع الشيوعية سوف تحتفظ بقوتها ، اذا كان الشيوعيون منتصرين . فالشيوعية في حد ذاتها مجرد نظام اقتصادي يحكم به بموامل اقتصادية وسياسية . فالعقيدة

المادية المنطقية والتعبير الاقتصادي للتاريخ ليسا عقلياً اجزاء ضرورية للنظرية الشيوعية . فاذا لم يعد أحد يتحدى الشيوعية كنظام اقتصادي ، فانه سوف لا تكون هناك نفس الحاجة لقمع الضلال الديني . وإن كلا من ماركس ولينين ، مما لا شك فيه ، كانا لا يزالان موقرين ، ولكن يكون مكتشفاً انهم لم يعنوا ما قالوه . ان عقيدة الوقت الحاضر هي حادث في الكفاح ، وبإمكاننا أن نأمل انها سوف تتلاشى تدريجياً اذا كان الكفاح قد وضع في اصدار ناجح .

كما ان هناك تطابق اعتبارات مماثلة فيما يتعلق بـ«تسارع الطبقات» . فالتربية في البلاد الرأسمالية تعاني كما رأينا من نفوذ الأغنياء ، والتربية في روسيا تعاني بالعكس من نفوذ البروليتارية . ان اولاد البروليتارية يتعلمون ليحتقروا اولاد « البرجوازية » والناس الشباب من اصل « برجوازي » عندهم صعوبات اكثر من الآخرين في الحصول على تعليم أعلى . ولكن خلال جيل ، فان هذه المتاعب سوف تزول حالماً لم يبق عندها سوى اولاد البروليتارية .

ان الأمر الأكثر أهمية فيما يتعلق بالمستقبل ، هو الإزالة الجوهرية للعائلة . وليكن متوقعاً انه عندما تسمح الاعتمادات المالية فإن الحكومة السوفياتية سوف تجعل الاولاد اكثر فأكثر يتلقون علومهم كلياً في مؤسسات . وأن يكون لهم القليل من الاتصال مع آبائهم . والفوائد وعدم الفوائد لهذا النظام قد بحثت في فصل سابق . واني سوف لا أعيد ذلك . ولكن سواء للخير او الشر ، فان هذا من المحتمل ان يكون المظهر الأكثر أهمية في التربية الشيوعية المتطورة كلياً .

هنالك العديد من الظواهر التي بها التربية في ظل الشيوعية تكون مفضلة عن أن يكون في البلاد الرأسمالية . واحدى هذه هي تسكين التنافس واستبدال فعاليات المجموعة من اجل عمل الفرد . والحقيقة ان المدارس التقدمية المعزولة باستطاعتها ان تحاول هذا في مثل هذه البلاد كانكلترا واميركا ، ولكنها معرقله بواسطة الحاجة لتحضير الاولاد للامتحانات ، ومن اجل كفاح التنافس في حياة الراشد .

علاوة على ذلك ، فان الاولاد الذين تربوا في مدارس استثنائية هم عرضة لأن تكون عندهم بعض الصعوبات في ملاءمة انفسهم للمحيط - صعوبة من المحتمل ان تستحق التحمل ، ولكن يكون منها الولد الروسي معقياً .

ان المدرسة التي تهدف الى خلق محيط غريب ، عليها ان تكون اكثر او اقل عزلة عن العالم العادي ، وهذا حدث يؤسف له حق عندما يكون ضرورياً . ففي روسيا ، أزيل التنافس ليس فقط من المدارس ، ولكن حتى من الحياة اليومية ، التي تجعل خلق روح تعاونية ممكنة وغير معروفة في الغرب .

ان مساهمة المدرسة في العمل العادي للعالم في حين ان لها اخطارها وفوائدها ، هي بنظري تتفوق على جميع العيوب الممكنة . فعالياً هناك دعاية متزايدة في العمل الذي يتوقع ان يقوم به الاولاد ، فانهم يجعلون في عمر مبكر في ارساليات للعقيدة الشيوعية ، التي لا يمكن ان تفشل في ادخال سعادة معينة وضمآن نفسي غير مرغوب فيه . ولكنها حسنة للناس والشباب ليشعروا بأنفسهم كجزء من المجتمع وليكون عندهم

إدراك انه يتوجب عليهم ان يكونوا نافعين بقدر ما تسمح به طاقاتهم .

واعتقد ان المدرسين التقدميين في الغرب كانوا ميالين لخلق الأهمية الشخصية في الطفل ، وليدعوه يشعر نفسه ارسقراطياً قليلاً ، كما يجب ان يخدمه الراشدون . وهذا يوصله لينمو فوضوياً ، ضجراً من قيود الحياة الاجتماعية . من هذا العطل ، تكون التربية الروسية حرة : فان الطفل يعمل ليشعر ليس هكذا كثيراً بواسطة الفرض ، ولكن اكثر بواسطة توجيه فعالياته . وهذا الجزء السلوكي من التربية الاخلاقية في روسيا يكون بديعاً . وعندما اذا كان يعتقد في بنية النتائج حيث أقدر ان الشباب يشعرون بأنفسهم جزءاً وحزمة من المجتمع ، وليس كما يفعلون غالباً في الغرب وحدات معزولة ، والذين يصبحون مستهترين بواسطة اليأس او مفترسين بالتهكم .

ان الشيوعية اكتشفت نظاماً اخلاقياً ، بإمكان الشباب الحديث تقبله ، وأسلوباً للحياة بإمكان الشباب الطليعي ان يكون سعيداً . ان البلاد الرأسمالية تجد هذا المشكل غير قابل للحل ، لأن مؤسساتها لا يمكن حفظها بدون خداع .

والمثقف فكرياً ، ثقافة غنية ومعقدة لحضارة قديمة ، يجب أن يعترف على شيء ما ضئيل ، وعلى الغالب بصورة لا تحتمل روتيننا في مظهر الشيوعية ، ان عملية إحالة جميع الأسئلة مها كانت بعيدة الى حرب طبقية تدب الفوضى في كل شيء ، وتدمر السرور في المهارة الفكرية . إن أي إيضاح من الفكر الصحيح سوف يخدم ليبين ما اعنيه : خذ على سبيل المثال الأساليب التي تقدر بها مسافات النجوم البعيدة والشهب .

إن في هذه الأساليب نموذجاً ممتازاً للذكاء والتعقل المتحذر متحد مع الملاحظة الدقيقة . ولغاية ما اعرف فانها تعمل فرقاً بسيطاً للأنجاز ، كفاح الصف سواء المسافة للنجم المعني تكون مائة او الف سنة ضوئية ، إلا أنها تزيد احترامنا للجنس البشري في ان البشر عليهم أن يكونوا قادرين ليقرروا أية من تلك تكون اقرب الى الحقيقة .

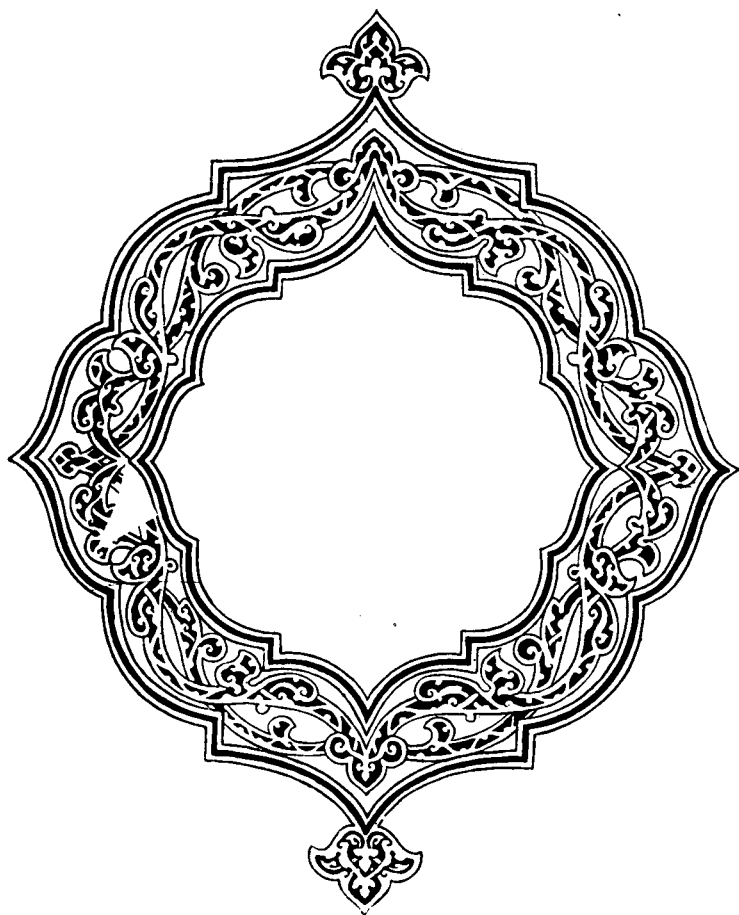
انا لا اعلن ان الشيوعية سوف تضع فيتو على الابحاث الفلكية ، ولكنني احسب ان فلسفتها اذا اعتقد بها واقعياً ، سوف تحول باعث حب الاستطلاع العلمي الذي يقود البشر الى مثل هذه التحريات . ان مظاهر الماركسية تقود الى تحليل خطأ ، فمثلاً عمل نيوتن يمكن أن يكون عنده جميع انواع الدوافع الاقتصادية ، ولكن العمل بحذ ذاته يكون اكثر فائدة واهمية من دوافعه ؛ وبعد كل شيء ، فإن الاقتصاد عليه أن يعمل مع المشكل للمحافظة عليه على قيد الحياة اذا كان هذا المعضل قد حل بصورة مرضية ، كما باستطاعته أن يكون بواسطة الشيوعية . فعلينا أن نحتاج الى شيء آخر نفكر به ، وبعض قاعدة جديدة نعبّر بموجبها عن تاريخ المستقبل . ان البساطة هي ميزة في الهتاف ، ولكن ليس في إحدى الفلسفات .

إن كل شيء مخطط عن قصد من المحتمل أن يعاني من البساطة غير المتوجبة التي تقود الى الملل ، وحتى الى نوع من الجنون من سماع نفس النغم يعزف باستمرار . ومن المحتمل أن تكون الحياة بنفسها متجنبة هذا الخطر . وعلى اي حال ، ففي روسيا لا تزال هناك مخلفات كثيرة من قبل ان تحمل الثورة ، حيث ان مخططات الشيوعية لم تتمكن من ادخال بساطة غير لازمة من اجل وقت طويل آت . ولكن في التربية ، اذا لم

يكن هناك مثل هذه الاعمال العملية الواضحة والمفيدة لتنجز ، فإن خطر زيادة التسهيلات ستكون حقيقية جداً .

ان العالم اكثر غنى وتنوعاً مما هي قاعدة الماركسيين ، والجبل المحصور ضمن فلسفة الرأسمال يمكن ان يكون سعيداً ، ولكن يكون حكماً ، وليس بإمكانه ان يعرف انها ليست فكرية ، ومن المؤكد انها ستكون سطحية . قول هذا من وجهة نظر الفلسفة وليس السياسة .

ومن وجهة نظر السياسة (في اوسع معنى) اعتقد ان فتوانا يجب ان تكون مختلفة ، إن الشيوعية تقدم حلاً للمعضل الصعب للعائلة وتساوي الجنس - وحل من المحتمل ان نقتنه ، والذي ليس بأي حال يقدم منفذاً ممكنًا . - انها تمنح الاطفال التربية ، التي منها فكرة التنافس المعادية للمجتمع تكون قد استبعدت كلياً . وتخلق نظاماً اقتصادياً يظهر ليكون النقيض العملي الوحيد لنظام الأسياد والعبيد . انها تدمر فصل المدرسة عن الحياة ، لكون المدرسة مدانة لأصلها الرهباني ، نظراً لأن العقلاني في الغرب يصبح بصورة متزايدة عضواً ضاراً في المجتمع . إنها تمنح الشبان والشابات أملاً ليس خيالياً . ونشاطاً في المنفعة ، لا يشعرون منها بالشك . واذا قهرت العالم كما يمكن ان تفعل ، فانها سوف تحل أغلب الشرور الرئيسية لوقتنا الحاضر . وعلى هذه الأسس وبالرغم من التحفظ ، فانها تستحق المساندة .



..... التربية والاقتصاد

في التربية العامة كما هو ساري في الوقت الحاضر في البلاد الغربية ، وجدنا في فصول سابقة ظواهر مختلفة دعت الى الانتقاد . فهناك اولئك الذين يتمسكون انه مهما يكن خطأ في التربية ، او من ذاك الشأن ، اي شيء آخر فمصدره في النظام الاقتصادي السيء . انا شخصياً لا اعتقد بهذا ، وانني أميل الى وجهة النظر على انه في ظل اي نظام اقتصادي سيكون هناك مقدار معين من الغباء ، ومقدار معين من حب النفوذ ، وكل منهما سوف يقف في طريق إبداع نظام تربوي كامل . فهما يكن تأثير العوامل الاقتصادية على التربية ، يكون بدون شك عميق الأثر ، وليس دائماً ظاهرياً واضحاً . وسوف أحاول في هذا الفصل ان اعزل العامل الاقتصادي في التربية ، في أزمنة وأمكنة مختلفة .

عندما انتعشت التربية الأوروبية بعد العصور المظلمة ، كانت امتيازاً

للرهبانية . ولغاية يومنا هذا لها خاصيتها التي تعيدها الى أصلها الروحاني .
فقبل عصر النهضة ، كان للارستقراطية المنتشرة على العموم قليل من
المعرفة ، ولكن الاكليروس ، خاصة الاكليروس المنتظم ، كان ليس
بصورة غير متكررة يحوز على سعة اطلاع معتبرة . فقليل من معرفة
اللاتينية كان حاجة مهنية ، ولكن هذا الحد الأدنى من التعري لن
يكون قد اعتبر كثيراً . لقد كان بصورة رئيسية متصلاً مع المغاربة ،
خاصة في صقلية واسبانيا ، وهو سبب انتعاش التعليم في القرون الحادي
عشر والثاني عشر والثالث عشر . وبينما هذا الاتصال كان له طبعاً اسبابه
التي كانت بصورة كبيرة اقتصادية ، نرى أن تأثيره على التعليم يجب أن
يعاد بالاساس للفريزة الفكرية غير المكترثة من جانب عدد قليل
من الأفراد .

ان الفلسفة المدرسية ، وتعليم القرون الوسطى كانا بصورة عامة عائدين
لحماس الأقلية الروحانية ، وأغلبهم استنتج قليلاً من الفائدة المادية من
عملهم ، بينما ليس هناك قلة تعرضوا الى خزي بواسطة وقاحة تأملاتهم .
إن وجود الكهنة والرهبان كان ضرورياً من اجل الحركة ، ولكن سببها
البدائي كان التعطش المجرد من أجل المعرفة .

وفي تربية الارستقراطية العامة ، التي باشرت نوعاً ما فيما بعد ،
يمكن ان يقال نفس الشيء . فالامبراطور فريديريك الثاني الذي في عهده
يمكن اعتبار الثقافة التعليمية قد بدأت ، كان على اتصال مع المحمدية
منذ فجر حياته الباكر ، وقد استغرق في حب استطلاع نهم متعلق
بكل شيء مؤكداً . وانتعاش اليونانيين في ايطاليا في القرن الخامس عشر ،
والثقافة الوقور التي انتشرت منها الى الأمم الشمالية ، عائدة بتسريها

لحب التعلم من أجل شأنها .

إنها الحقيقة في هذا الباعث كان غارقاً في المعرفة اللاتينية ، وبعض المعرفة اليونانية أصبحت علامة السيادة ، وكانت تفرض على الأولاد . مع ان النتيجة هي ان الناس فقدت الذوق من اجلها ، وحق معها مها كان الباعث للحصول على تعليم عال ، كان فخرياً اكثر منه اقتصادياً . ولم يكن من اقطاعي توقف عن تسليم أجرته حين فشل في الحصول على الثقافة . ان الارستقراطي مثل الراهب كان رجلاً عاطلاً عن العمل وباستطاعته ، اذا اختار ان يتعلم ، فمن اجل السرور بدون اي هدف نفقي .

ومع ذلك ، فان فكرة المعرفة كشيء مرغوب على حسابها الخاص لا تزال تتوانى في الجامعات ، وفيما بين كل من الفلاسفة المتمسكين (الذين انا واحد منهم) بأشياء مختلفة حدثت وغيّرت كلياً وجهة النظر السائدة فيما يتعلق بعمل التربية . والعامل الاكثر اهمية من تلك هو انشاء تعليمات دولية اجبارية . فلقد وجدت ان الاولاد والبنات بامكانهم ان يتحولوا الى مواطنين احسن وعمال اكثر كفاءة اذا عرفوا كيف يقرأون ويكتبون بما اذا كانوا لا يعرفون .

إنها الحقيقة في تعقب هذا الهدف . وهو ان ارباب السياسة قد عرقلوا من خلال التقاليد المدرسية . فان التربية في المدارس الابتدائية تكون غالباً بصورة واضحة في حب المطالعة في الكتب . بينما من الممكن ان تناقش على ان تدريباً شبه عملي سيكون قد قدم هدف رجال السياسة . ففي هذا الشأن ، فان التربية الروسية احسن ملاءمة للجيل . ومهما يكن ، فان المدارس الابتدائية بشكل عام عملت ما هو مطلوب منها ، وهي

الآن في كل بلد متحضر احدى الوسائل الحيوية للحكومة .

عامل آخر يميل الى وجهة النظر النفعية للتربية في نمو العلم والصناعة .
فالتقدم التكنيكي يتطلب حالياً معرفة علمية ، والاختراعات الجديدة هي
مصدر لكل من الثروة والعظمة الوطنية . ففي هذا الشأن ايضاً ، منعت
تقاليد عصر غابر التوافق مع الحاجة الحاضرة ، إلا في روسيا . فاذا كانت
التربية كلياً محكومة باعتبارات نفعية ، فان مكانة العلم والتكنيك الصناعي
ستكونان اكثر بكثير مما هما عليه ، ومكانة الثقافة الأدبية ستكون اقل
بكثير . ولكن في حين أن هذا لم يحدث بعد كلياً ، فانه قد يحدث على
درجات ، وهو ما حدث كلياً قبل زمن طويل .

ان تأثير العوامل الاقتصادية على التربية يمكن التصرف به تحت خمسة
شروط سوف نبحثها بالتوالي :

اولاً - حسب الظروف الاقتصادية للدولة ، فان المبالغ المادية التي
يكون بالمقدور إنفاقها على التربية سوف تختلف ، ولكن من اجل غنى
الأمم الغربية بواسطة الثورة الصناعية ، فان التربية العالمية الاجبارية قد
تكون غير ممكنة . وليس هناك من بلد كان عنده الاحترام الاعظم
للتعلم اكثر من ذاك الذي كان سائداً في الصين قبل ان يختار الصينيون
المستويات الاوروبية ، ولكن الصين لم تكن غنية كفاية لتعلم القراءة
والكتابة لأكثر من خمسة بالمائة من مجموع السكان . ففي انكلترا عام ١٧٨٠
او حتى عام ١٨٣٠ كان من الصعب جداً ان تفرض ضرائب جديدة
كافية لتجهز دراسة لكل شخص . وحالياً لا تزال تعبر غير ممكنة
لتجهيز مدارس حضانه إلا في قلة من المناسبات النادرة .

إن رفع مستوى سن المدرسة من الجهة الثانية لا يفكر فيه لترفع الصعوبات الاقتصادية . ونظراً للبطالة والحصانة ، فإن الرجال العاملين وافقوا على ان عمل أي شخص يعمل يجعل اي شخص سواء أفقر ، وهكذا تكون فائدة المجتمع في الاحتفاظ بأي قسم بعيداً عن الاستخدام المنتج . وعلى هذا الأساس يعتقد انه علينا ان نكون جميعاً أغنى من الاولاد الذين يحفظون بالمدرسة لوقت اطول . ان المعضلة في انكثرتا لرفع سن المدرسة ليس اقتصادياً ، ولكن لاهوتياً : ان الطوائف ليس بمقدورها ان توافق بالنسبة لنوعية الحرافات ، التي يها الاولاد والبنات سوف يرسلون للخارج الى العالم .

ثانياً - ان أحد أهداف التربية هو لزيادة مجموع الانتاج . ومن المحتمل ان هذا كان الدافع الاساسي في عقول اولئك الذين اول من أدخلوا التربية العالمية ، وبما لا شك فيه انها باعث سليم . فالتناس الذين بإمكانهم القراءة والكتابة يكونون اكثر كفاءة من اولئك الذين لا يحسنون ، ولكن الدافع لتقدير الانتاج مضخماً ، يعمل حق اكثر مباشرة في تنمية التربية التكنيكية ، والارشادات العلمية، والابحاث .

إن الحكومة البريطانية تتفق مبالغ اكثر بكثير على الابحاث مما كانت قد أنفقت فيما اذا كانت محروسة بواسطة احصاء مالي سليم ، والسبب هو كون أغلب الموظفين المدنيين عندهم تربية كلاسيكية وهم جهلاء بكل شيء يجب ان يعرفه الرجل الحديث . اعتبر على سبيل المثال الابحاث الطبية . إن المواطن العادي هو كلفة على الأمة في بداية ونهاية حياته ، ولكنه مفيد أثناء سنوات عمله .

إن الاطفال الذين يموتون يكونون محض خسارة اقتصادية ، وانخفاض الاخلاق خلال السنوات الباكرة يكون اذاً ربحاً للدولة ، او مرة ثانية اعتبر هذا الامر كالاقتصاد . ففي دراسة علم الحيوان التي هي ذات أهمية فائقة في كثير من فروع الزراعة يجب ان تعتبر دقة مصروفنا العام في هذا الموضوع قبيحاً مقصوداً . أنا لا أقول شيئاً من الاكثر وضوحاً والفروع المعروفة جيداً للابحاث الصناعية مثل الصناعات المركبة ، المتفجرات الشديدة ، الغازات السامة وسواها . إن بعضها يكون مفيداً وبعضها يكون العكس تماماً . إن الفائدة من المعرفة العلمية لا تزال لغاية الآن لم تدرك حتى بواسطة المواهب الفنية والمكان الأوسع بكثير من اجل الفكر في منهاج المدارس الثانوية .

ثالثاً - نظام التوزيع له تأثير عميق على التربية ، أعظم بكثير من العاملين الذين جرى بحثها فيما سبق . ان نظام التوزيع يقرر تقسيم الامة الى طبقات ، وحيثما يكون هناك طبقات ، فإن الطبقات المختلفة سوف تتلقى انواعاً مختلفة من التربية . ففي المجتمع الرأسمالي ، يتلقى ذوو الدخل المحدود تربية اقل ، وأولئك الذين يهدفون لدخول مهنة تعليمية يتلقون الأكثر ، بينما مقدار متوسط يعتبر مناسباً لأولئك الذين سيكونون سادة او رجال اعمال .

وكقاعدة عامة ، فان الولد أو البنت ينتميان الى نفس الطبقة كوالديهم ، ولكن اولئك الذين يرحبون بمنحة دراسية بواسطة كفاءة خاصة ، بإمكانهم الارتفاع من طبقة ذوي الدخل المحدود الى الطبقة المهنية . بواسطة هذه الوسائل في انكلترا ، فإن أحسن الأدمغة عند الذين يخلقون في الطبقة ذات الدخل المحدود يكونون سياسياً معقمين ، وينقطعون كقاعدة

ليكونوا في الجانب الذي قرر لهم بواسطة ميلادهم . وفي هذه الميوعة على الطبقة ، فان المجتمع البلوقراطي يختلف عن المجتمع الارستقراطي . وهذا هو احد الأسباب التي تجعل الثورات أقل عرضة لتظهر في ظل البلوقراطيات مما في ظل الارستقراطيات .

ان النظام الاقتصادي الذي يدعوه اخصامه بالرأسمالية ، نظام معقد . ومن أجل اهدافنا فهو هام لنعرضه في درجة ما للتحليل . واني أؤكد القول ان هناك ثلاثة مصادر رئيسية للثروة في العالم الحديث خارج الاتحاد السوفيتي .

اولاً : ملكية الاراضي والخصر الطبيعي .

ثانياً : الميراث في العائلة الأبوية .

ثالثاً : مؤسسات الاعمال .

وهذه الثلاثة ليست بصورة ملازمة مرتبطة معاً . فهري جورج رغب في إزالة الأولى ، بينما ترك الثاني والثالث بدون أن يمس . وفي الرهبة الكاثوليكية العلمية ، فإن الأول قائم والثالث محتمل أن يكون قائماً ، ولكن الثاني استبعد عداء معيناً لليهود إذا كان بإمكان واحد أن يحكم بواسطة كراهيتهم ، قد يحتفظ بالأول والثاني ، بينما يدمر الثالث .

اعتقد ان ملكية الاراضي والوراثة كلاهما من مخلفات العهد الارستقراطي ، وهما عرضة اكثر لانتقادات الاشتراكيين من مؤسسات الأعمال . حيث هذا الأخير يكون المصدر الوحيد للنجاح ، كما على سبيل المثال في قضية هنري فورد ، انه عرضة للتساؤل فيما اذا كان يسبب ضرراً كثيراً لصالح الأمة كمجموعة . ومؤكداً ان فكرة الطبقة كما تفهم بصورة عامة هي

غير ممكنة بعيداً عن الميراث . ففي التربية بصورة خاصة ، فإن الشيء الهام هو أن اولاد الأغنياء عندهم تربية تكون مختلفة عن تلك التي تعطى لأولاد ذوي الدخل المحدود . وفي اميركا حيث البلوتقراطية تكون أقل تأثيراً مما في اوروبا بواسطة تواني بقايا الارستقراطية .

ان مؤسسات الاعمال هي عادة ممثلة كالمصدر الرئيسي للثروة . وهذا له تأثير على عقلية الأحداث ، التي تكون تماماً مختلفة عن تلك التي ظهرت في المجتمع عندما كانت ملكية الأرض والميراث اجتماعياً ، المصادر الرئيسية للثروة .

انها تشدد على جهود الفرد وتكون لذلك المدى حسنة ، ولكنها تشدد على الجهود في شكل التنافس ، وتلك في هذا الشأن معادية للمجتمع . ففي ظل نظام اقتصادي اكثر عدلاً ، لن يكون هنالك تنافس من النوع الحالي ، ولن يكون هناك طبقة مثل التي تكون مؤلفة لنا .

انها الحقيقة في انه من المحتمل انه لا يزال هناك تنافس من نوع ما ، كما انه لا يزال هناك طبقات مختلفة في الادراك . ولكن النوع والادراك قد يكونان مختلفين جداً عن تلك التي اعتدنا عليها . ففي مجتمع شيوعي ، سيكون هناك مراكز نفوذ كما أن هناك مراكز يكون بها العمل بصورة غير عادية ساراً .

إن الرجال الذين يشغلون هذه المراكز هم في بعض الشؤون يشكلون طبقة اعلى من اولئك الذين يشغلون مراكز تشمل نفوذاً قليلاً وعملاً غير سار . وسيكون هناك بالتقدير تنافس للحصول على المراكز التي تشمل نفوذاً اكثر وعملاً ساراً اكثر . ولكن في عالم بدون وراثة ونفوذ وراثي ،

فان كل فرد سوف يزاحم كليا على جدارته ، وليس على مصلحة جائرة
لفرص تربية احسن . فاذا حصل على تربية احسن من جاره فسيكون
ذلك لأنه اظهر نفسه احسن اختصاصاً في التوصل اليها ، وليس لأن والده
حدث أن كان غنياً .

فهما كان انصاف الطبقات الذي يمكن أن يسود في مثل هذا المجتمع ،
سيكون اذا موجوداً في قضية كل فرد معتمداً على استحقاقه الضمني .
فالوسيقار العظيم مثلاً ، سيكون دائماً متفوقاً . الواحد الذي يكون
متوسطاً ، سوف يكون اكثر اشرافاً حق اذا لم يتقاض اجراً عالياً اكثر .

ان هذه الدرجة من عدم المساواة والتناقض اللذين يكونان غير قابلين
للتجنب . وعدم المساواة متأصلة في طبيعة الاشياء ، والتنافس يكون
ضرورياً كي ينجز ذاك العمل الصعب من قبل الرجال الاكثر كفاءة ،
ولهذا فان معضلة التربية المتزايدة التي سبق وبجئناها في فصل سابق
تكون معضلة صعبة .

ان التنافس التربوي سوف يكون مهماً كان أقل صرامة بكثير مما
هو عليه حالياً ، حيث يكون عند الجميع مساواة اقتصادية ، كما يكون
عندهم ضمانة اقتصادية ليس فقط لأنفسهم ، ولكن من أجل اطفالهم . ان
عدم المساواة والضمانة هما اللذان يجعلان التنافس هكذا مزيراً في الوقت
الحاضر ، وحين تزال هذه العناصر ، فان اللسعة ستخرج منها .

اما فيما يتعلق بالوطنية ، في حين ان الدوافع الاخرى تدخل ضمنها ،
هناك ارتباط مع الملكية الفردية . وهذا ليس واضحاً فورياً ، ولا يوجد
في وجدان أغلب الافراد . انه ارتباط بصورة غير مباشرة حسب

الاضاع الأكثر تقدماً للرأسمالية . ان البلاد غير المتطورة عندها فائدتان
لمركز المستثمر كأسواق ومصادر للمواد الخام .

ففي كلا الشأين تكون أكثر فائدة عندما تكون تحت اشراف الدولة
التي ينتمي اليها المستثمر . فالرأسمال الاميركي يجد مجالاً مفيداً للاستثمار
في شمال افريقيا ، كذلك الرأسمال البريطاني في الهند ، والرأسمال الاميركي
في اميركا الوسطى .

ففي هذه الطريقة ، المستثمر الذي يفكر في استثمار رأسماله خارج
بلاده الخاصة يصبح مهتماً بالامبريالية اقتصادياً اذا لم يكن اقليمياً ،
ويجد انه بواسطة الدعاية الوطنية يكون قسماً معتبراً من نفقات مؤسسته
قد تحول على اكتاف دافع الضرائب .

ان هذا هو المصدر الغالب لوطنية الأمم القوية ، في حين ان المواطنين
الذين يهتمون للمعرفة يكونون على العموم غير مدركين للقوات المنحوسة
التي اوصلتهم ليفعلوا هكذا ، فان وطنية الامم الاضعف تكون دفاعاً
ضد الأمم المفترسة . ولحد ما طالما انهم يقاومون الاستغلال بدلاً من ان
يمارسوه ، فانهم مؤقناً في وضع اخلاقي احسن من ذاك الذي عند الأمم
الأقوى . ولكن العواطف التي تولدت في امّة ضعيفة تحارب من اجل
استقلالها ، تكون حاملة تنجح مستحصلة على جميع النواقص التي كانت
سابقاً قد ندد بها ظالموها . فبولونيا بعد مائتي سنة تقريباً من الازعان ،
حصلت على الحرية ، لكنها رأت عدم وجود مبرر كي تنقل الى الاكرانيين
الأعباء التي عانها سابقاً البولونيون .

ان القومية هي قاعدة فاسدة ، ويجب لا تستحسن حق في الأمم التي

تحارب من اجل حريتها . هذا ليس لنقول ان الأمم يجب ان تقاوم الضغط ، بل لنقول انه يجب ان يقاوم من وجهة دولية وليس مجرد وجهة نظر قومية .

ان شرور القومية سواء في أمة قوية او ضعيفة تكون مرتبطة بالملكية الخاصة . ففي الاهتمام بالاستغلال او بالمقاومة للاستغلال ، فانه من المعقول ان نفترض انه اذا كانت الرأسمالية الخاصة قد ازيلت ، فان الجزء الشرير الذي يمثل دوره حالياً بواسطة القومية في التربية ، سيكون بصورة معتبرة منخفضاً . ومع كل يمكن أن لا يزول كلياً .

والعامل الرابع لبحثنا عن تأثير الدوافع الاقتصادية على التربية هو المواهب ، وحيثما الحرية بالوصية تكون قائمة ، فان الانسان بإمكانه ان يترك ملكيته لأي هدف لا يعتبر مناقضاً للسياسة العامة . ولأمد قريب ، فان الموقف من اجل نشر العقلانية كان لاغياً في انكلترا على اساس ان العقلانية مناقضة للسياسة العامة لدولة مسيحية . والآن هذا لم يعد الحال . ولكن مع ان الهبات من اجل اهداف تقدمية يمكن أن لا تكون غير شرعية فانها مؤكداً ان الهبات يجب بصورة رئيسية ان تكون قوة محافظة .

انهم يحدون رغبات البشر الذين هم اموات . وغالباً الذين ماتوا منذ قرون . فان الكنائس ، والجامعات القديمة والعديد من المدارس ، يعتمدون الى حد كبير او ضئيل على الاوقاف القديمة . ففي اميركا . تكون العقول النيرة على نطاق واسع حديثة ، ولكن حيثما تكون فانها تأتي من البلوتقراطيين العظماء ، الذين من الضروري ان يكونوا محافظين . وغالباً غير مثقفين . هكذا يكون عندهم تأثير فعال في عرقلة الحركات التقدمية في

التربية . فرئيس الجامعة الذي كان اساتذته مشتبين بالتطرف ، يكون اقل احتمالاً ليضمن الهبات من المحسنين من قادة الصناعة ، اكثر من اولئك الذين يظهر زملاؤهم جبهة حصينة في صالح الوضع السائد .

ان العقول النيرة عندها تأثير فعال في عمل الجانب الديني في التربية اكثر محافظة مما قد تكون خلاف ذلك . والروابط فيما بين الدين والملكية الخاصة تتبع من خلال حقيقة أن الناس يتركون اموالهم للأشخاص الدينين . وعلى ان هذا يضحي لقرون بعد وفاتهم الدعاية من النوع المعين من الخرافة التي آمنوا فيها . ففي انكلترا واسكتلندا يكون من الحقيقة ان هذا بإمكانه ان يتغير بواسطة التشريع .

ففي عهد الاصلاح تركت الملكية من قبل المتدينين في القرون الوسطى وتحولت من اهدافها الاساسية الى التعاليم الانجيلية . وعندما كانت ملكية الكنائس الحرة في اسكتلندا قد قررت قضائياً لتتبع حسب القانون الاحرار الصغار ، وكان القانون قد تغير ، حيث إن ارث المؤمنين المتعصبين بالقضاء والقدر بإمكانه ان يستعمل لتعليم العقائد ، التي منها الايمان بالقضاء والقدر قد ازيل . ولكن في اميركا يمنع الدستور مثل هذا التشريع .

فاذا تركت اموالك الى مؤسسة مكرسة الى عقيدة اهالي كينتوكي Kentucky والأسباط العشرة الضائعة ، فان الاموال لا يمكن ان تتحول من ذلك الاستعمال . وفي انكلترا ، مع ان التحويل غير ممكن فانها نادرة . حيث ان الكنيسة الانجيلية والكنيسة الرومانية الكاثوليكية هما مؤسستان غنيتان ، ويكون دخلها جاهزاً لأولئك الذين يعترفون بمعتقد مناسبة .

هكذا تكون هنالك دوافع اقتصادية لا تحصى للتمسك بنفس الآراء ، كما كان متمسكاً بها من قبل الاجداد الغابرون . فلكل تقدم فكري ، هنالك عقوبة اقتصادية . حيثما اكتشف Colenso ان الارنب لا يضع الاجترار ، فقد جرد من راقبه .

فاذا لم يكن هناك مثل هذه الاشياء من الهبات الدينية ، فمن غير الممكن ان يشك ان الاشياء قد تغير بسرعة اكثر مما هي عليه الآن . حق كما هي عليه فانها بالحقيقة بسرعة اكثر مما في السابق .

هناك اشياء عديدة ، وعلى رجال الدين الانجيليين ان يعترفوا ليؤمنوا بها ، في حين انها مفتوحة لهم ليقولوا انها مجرد مهنة ، ولا احد يفكر بالأسوأ منهم اذا قالوا هكذا .

فبعض اجزاء من الايمان المسيحي كانت له حياة في وقت ما ، وبعضها في وقت آخر . مثلاً في الوقت الحاضر ، تكون وجهة نظر اغلب المسيحيين في ان ملاحظات المسيح في موضوع الطلاق هي تفسير حرفي ، بينما اقواله بالنسبة لمثل هذه الامور غير قابلة للمقاومة ، وعفة الايمان ، ومنح ملكية الفرد الى الغير تفسر استعارياً كأنها تعني العكس لما قالوه . ولكن المسألة التي تبعد عن تعاليم المسيح تكون جائزة للمسيحي ان يتقبلها وهي مسألة معقدة سوف لا أتابعها ابعد من ذلك .

والعامل الخامس لبحثنا في التأثير الاقتصادي على التربية هو التقاليد . ولا أعني التقاليد بشكل عام فهي موضوع اوسع بكثير . بل أعني التقاليد المستقاة من بعض العوامل الاقتصادية التي سادت في الماضي ولكنها لا تسود حالياً . فالاخلاق الجنسية التي هي غالباً محافظة جداً ، تقدم احسن

الايضاحات لهذا العامل . ففي الايام السابقة عندما كان العالم اقل اهلية بالسكان ، وكانت اخلاق الطفل عالية ، فان الزوجين كانا يقومان بخدمة اجتماعية في انجابههم كثيراً من الاولاد . ولغاية ما التربية ومنع تشغيل الطفل قد جعلت الاطفال مصدر نفقات ، فالاولاد كانوا غالباً فائدة مالية لآبائهم . فالشعور ضد حصر النسل والاجهاض كانا في تلك الايام إجراء اقتصادياً سليماً يفتقر اليه حالياً ، ولكن الشعور مستمر لانه اصبح متحداً مع الدين .

إن العائلة الأبوية عندها يجلاء اساس اقتصادي ، طالما ان النساء ليس بمقدورهن ان يصطدن بنجاح اثناء الحمل والرضاعة . فلغاية الاوقات الحديثة كان عند النساء مجال ضيق لاقامة معيشة مستقلة ، واصبحن اذاً ملازمات ان يتكن على الأزواج او اي قريب ذكر . ان العائلة تشمل اعالة الزوجات ، والنسل من جانب الذكر قادت بالطبع الى الاصرار على الفضيلة في الزوجات مفروضة بأداب صارمة جداً ، والقداسة الدينية عادة في الحضارة الباكرة بواسطة عقوبة الموت للنساء المدانات بالزنا . بينا العقوبة القانونية اصبحت اخف وزالت اخيراً الا في قلة من الاقاليم مثل ولاية نيويورك ، فان الاحكام القانونية والدينية باقية . وهذا الجزء من القانون الساري كما رأينا يكون غير ملائم عملياً ، في حين انه ليس نظرياً مع المطالبة في مساواة النساء مع الرجال . وحيثاً بإمكان النساء كسب معيشتهم فان مطلبهن في المساواة لا يقاوم .

ان جهوداً جنونية بذلت لمنع المرأة المتزوجة من الحصول على الاستخدام ، ولكن ليس لتفترض ان هذه الجهود بإمكانها ان تحرز تقدماً اكثر استمراراً . وسيكون ايضاً ازدياد في عدد الاساليب التي يكون

من الممكن للمرأة ان تكسب معيشتها بدون ان تكون معصومة بالفضيلة من وجهة النظر العرفية . فقانون الاخلاق الساري المفعول يكون اذاً في تقدم التخلي عن العوامل الاقتصادية .

ومستوى النسل المنخفض مقروناً بالجندية يمنح الدولة اهتماماً متزايداً في رفاهية الاولاد ، طالما انه ضياع من وجهة النظر الحكومية من اجل ذكر يموت قبل ان يصبح مسناً كفاية ليقتل في ميدان المعركة . وحيث العوامل الاقتصادية تكون متحدة لتخفف فضيلة النساء ولتزيد نصيب الدولة في العناية بالاولاد ، فانه واضح ان اهمية الآباء يجب ان تضمحل ، وبذلك يكون جميع الشعور والفروض الاخلاقية مرتبطاً بالعائلة الأبوية . وفي الوقت الحاضر ، ان الآباء والدولة متحدين بالتفكير على انه سيكون حسناً للاولاد ليعلموا مظاهر عن الامور الجنسية التي تأتي من الماضي وليست متناسقة جيداً للعالم الحاضر . وهذا هو مثال المحافظة على الشعور حيث يكون الجنس والعائلة معينين . هذه المحافظة تكون بصورة خاصة قوية فيما يتعلق بالتربية ، طالما ان اغلب الناس من رأي انه بمقدورها ان تسبب ضرراً للاطفال ليعلموا اخلاقاً صارمة .

فالتربية اذن تميل لتمنع المجتمعات من ملاءمة انفسها لحاجات جديدة بسرعة كما ينبغي ، وتسبب للكثير من الرجال والنساء الراشدين ان يشعروا بالفزع مشتق من تدريبهم الباكر فيما يتعلق بما هو حسن لتقبله كأمر طبيعي . بينما تكون العوامل الاقتصادية قد لعبت دوراً في انتاج سلوك الجنس ، الذي يعلم في المدارس . فان هذه العوامل تنحصر في الماضي ولا تجد اي انصاف في الحاجات الاقتصادية في يومنا الحاضر .

وعلى أي حال ، كما رأينا العوامل الاقتصادية مرتبطة مع الملكية

الخاصة تميل لتجعل التربية محافظة ، فانه من المحتمل ان يشك ، اذا
ستكون اقل محافظة في ظل الشيوعية ، عندما تكون فترة الثورة قد
انقضت . انها ستكون عرضة كلياً لتتحد مع الإشراف البيروقراطي ،
والبيروقراطية ليست قاعدة مشوقة جداً للتحول . ولربما عندما يكون
هناك اقل حاجة للتحول السريع مما هي عليه حالياً . ولعل الجنس
البشري سيكون الأحسن في فترة استقرار سلمي . ومهما يكن ذلك ،
فان استبدال التعاون بالتنافس كفكرة تربية سيبقى تقدماً اخلاقياً
راسخاً ، ويجعله فقط التحول الكلي في النظام الاقتصادي ممكناً . وعلى
هذا الأساس وحده يرينا التأمل ان التربية في ظل الشيوعية سوف تلتج
رجالاً ونساء احسن مما بامكان الغرب ان ينتج ، بينا النظام الحالي مستمر .



الدعاية في التربية

ان الدعاية يمكن ان تحدد كأبي محاولة بواسطة وسائل الاقناع ، وفي تحبيذ المخلوقات البشرية في خدمة حزب واحد لأي خلاف . انها هكذا مميزة من الاضطهاد ، بواسطة اسلوبها الذي هو احد من يجتنب القوة ، ومن الارشادات بواسطة باعها الديني وليس المعرفة ، لكنه المولد لنوع من شعور الحزب . قد تختلف عن الارشادات في لاشيء ، ولكن الباعث طالما انه (في حين ان هذا ليس استثنائياً) يحتوي كلياً على معلومات دقيقة . ولكن حق عنده فانه يحتوي على مثل هذه المعلومات مثلاً يميل في اتجاه معين الى استثناء كذاك الذي يكون عنده ميل معاكس .

ان الثناء والقدح كما يكونان معارضين للتحليل النفسي العلمي ، هما دعاية . بينما أغلب البشر عندهم فضائل كافية وعيوب تامة ليتمكنوا من الاستغناء عن الكذب . ففي اسلوب مستحسن ، سيكون ممكن أن تكتب

تاريخ امة من وجهة نظر الصداقة او العداة . ولتحدد شخصاً ما في عمل هكذا في إفادات حقيقية ، فان الانطباع الذي ينقل الى القارئ يكون غير صواب ، ولكن فقط بواسطة حذفه .

ان الدعاية في التربية لها دورها ، وليس من راشد بإمكانه تجنب التعبير عن كراهيته وما يفضلها ، وان ابي تعبير كهذا في حضور الشباب له تأثير الدعاية . فالمسألة من اجل المربي ليست في انه سيكون هناك دعاية ، ولكن كم وكيف نظمت ومن اي نوع ؟ . وايضاً في بعض الطور اثناء التربية ، يجب ان يعمل لتحرير الاولاد والبنات بقدر الامكان من تأثير الدعاية بواسطة تعليمهم أساليب من الوصول الى احكام مصنفة .

ان الدور الذي يلعب بواسطة الدعاية في التربية كان بصورة مستمرة في تزايد منذ عهد الاصلاح . وأول من كان يتقن فنهما هم اليسوعيون ، الذين من خلال حصولهم على الاشراف على التربية عززوا المكاسب التي عملت في العهد المناوئ لعهد الاصلاح . ولكن البروتستانت لم يكونوا متخلفين بكثير . فمثلاً في انكلترا ، انتفع من التحقيق الاسباني : ونيران سميثفيلد Smithfield ومؤامرة البارود لأبعد مدى . فالقرن الثامن عشر ، كما تبين مع القرن السابع عشر ، كان سليماً ومتحرراً من الدعاية لغاية انفجار الثورة الفرنسية .

ان حروب القرن الثامن عشر ، كانت هامة كما كانت في بدايتها ، ولم تكن عنيفة جداً ، كما لم تمنع المتنازعين من احترام بعضهم الآخر . ولكن اليماقبة قادوا الى روح العنف في اوروبا ، في حين اصبح الانكليز ضد نابليون محاصرين ، كما اصبح الالمان وطنيين . فمن ذاك الوقت الى يومنا

الحاضر ، فلن الخلاف غيا بين التقدم والرجعية قد نما اكثر فأكثر مرارة .
بينما لعبت القومية دوراً متزايداً في حياة الرجال والنساء العاديين . ففي
الوقت الحاضر ، يكون اختلاف الأمم ، وحق الفئات السياسية المختلفة
ضمن نفس الامة منفصلاً كلياً ، ليس فقط بواسطة معتقداتها ، ولكن
بواسطة ما تعرفه وما لا تعرفه من خلال احكامها عن الرجال العظام ،
ومن خلال آمالهم وخوفهم من المستقبل .

ان الدعاية تكون اولاً تأثيراً ، وبعدها دافعاً ، في الاقسام القائمة في
العالم الحديث . قبل عهد الاصلاح ، كان هناك درجة معينة من الوحدة
في اوروبا . فشل هذا الضلال كما كان سائداً قد عولج بواسطة التعذيب ،
ولم يكن هناك حاجة للدعاية في الفكر الحديث . في حين أثناء الحروب
الدينية كان على العكس ، النصر او الفشل يمكن ان تقبلها القوة لعمل
الهدى . فانتصار فرنسا في الحروب الثورية كان لحد كبير عائداً للنشاط
والحماس المولود من دعاية اليعاقبة .

ان الاشتراكية والشيوعية قد قدمت كلياً بواسطة الدعاية ، ولكن من
أجل الدعاية الوطنية ، فان الأمم لم تصان التضحيات المطلوبة منها في
الحرب العظمى .

والترية العالمية قد زادت لحد بالغ للناسبات للدعاية . ليست الدعاية
هي نفسها الداعية فقط ، ولكن قوة القراءة تجعل جميع السكان مشتبين
لتأثير الصحافة .

لقد كان هذا السبب الرئيسي في جعل الحرب الاخيرة اكثر مرارة
من الحروب السابقة . فالتناس الذين تعلموا ليقروا ، ولم يتعلموا أي شيء

خلافه ، بإمكانهم ان يتأثروا بواسطة الروايات الشنيعة . بينما في الأزمنة السابقة ، لم يكن أغلب الناس عندهم اي تعليم او مقدار جيد منه ، وكانوا في كلا الحالتين عندهم حصانة نسبية . وكما هذه البادرة تظهر ، فان الدعاية الآن عندها أهمية لم تكن لها فيما قبل .

ان الاشكال الرئيسية للدعاية هي ثلاثة : من أجل الاحزاب السياسية ، من أجل الطوائف ، ومن أجل الأمم . الاول من هذه ليس بالامكان ان يكون علانية متمهداً من قبل الدولة ، التي بإمكانها مهما كان ، ان تشغل في الدعاية ضد أحزاب صغيرة جداً كالشيوعيين في انكلترا وامريكا . الدعاية من اجل الاحزاب السياسية هي بصورة رئيسية ليست موجهة في مجرى التربية . وبالطبع فان جو المدرسة للاغنياء يكون محافظاً . الاولاد سوف ينمون في أي حال محافظين ، وهكذا ليس هناك حاجة كثيرة لدعاية الحزب .

الطوائف والامم تعتبر اموراً مناسبة للدعاية في المدارس . فالروم الكاثوليك يفضلون ان يتعلم اطفالهم في مدارس الكاثوليك الرومانيين ، والبروتستانت يفضلون جواً دينياً لطيفاً يعبر تقريباً عن اعتقادهم . فكل امة عظيمة تتذرع بالروح القومية لتتغلغل الى مدارس الدولة ، وتعتبر هذا الشيء أهم الاجزاء القيمة لتربية المواطنين العاديين . في ظل الشيوعية القومية لا تدرس ، ولكن هناك دعاية فائقة للشيوعية مرتبطة بالمعلومات ان الاتحاد السوفيتي هو زعيمها ومن المحتمل أن يشك في ان التأثير على عقول الاولاد يختلف لدرجة بالغة عن القومية الناجمة عن التربية في البلاد الرأسمالية .

الدعاية في التربية تكون عادة ناجحة في اهدافها ما لم يكن هناك سبب خاص لفشلها . إن الاغلبية العظمى للجنس البشري يتقبلون الدين الذي ترعرعوا فيه ، والوطنية التي تعلموها في المدرسة . إن الاولاد المهاجرين في الولايات المتحدة اصبحوا وطنيين اميركيين ، وعادة يحتقرون بلاد آباؤهم الاصلية . هذا الشعور هو بصورة رئيسية من تأثير المدارس . والشئ الوحيد الذي يسبب للدعاية القومية ان تفشل على نطاق واسع هو الاندحار في الحرب . فأغلب الروس امتنعوا أن يكونوا وطنيين في عام ١٩١٧ ، وكثير من الالمان امتنعوا في عام ١٩١٨ ، واغلب هذه الاخيرة ، مهما كان ، كانت مرغمة بواسطة معاهدة فرساي للتخلي عن الامية . الدعاية سوف لا تفشل كقاعدة ، ما لم تحاول أن تجعل الناس يعتقدون شيئاً ما يكون عندهم ضدها اشمزاز قوي ابتدائي .

انها لم تعد ممكنة في جعل الايرلنديين الجنوبيين يشعرون بوطنية انكليزية ، او ان يختاروا الدين البروتستانتى . فاذا كانت الدعاية تريد أن تنجح ، فانه يجب ان تلقن شيئاً ما يولد بعض نوع من الغريزة المحبذة . وفي تلك الحالة ، باستطاعتها في درجة بالغة أن تزيد حقد شعور فئة .

وحيثما تكون بعض الكراهية سارية ، فبالإمكان تقويتها . وحيثما بعض الشعور الخرافي يكن ، فبإمكانها ان تمسك بزمامها وتجعلها سائدة ، وحين يكون حب القوة راكداً بإمكانها ايقاظه . ولكن هناك حدود بإمكاننا عملها في الدعاية من أجل الخير والشر . وعلى أقل تعديل ، طالما هذا هو الحال ، فربما عندما تكتمل الكتلة النفسية ، سوف لا يكون هناك حدود لما باستطاعة الحكومات ان تجعل رعاياها يعتقدون .

ومن المحتمل ان تكون الدعلية متعلقة بالقيم ، او بالاقتراحات العامة ،
او بأمور حقائق تنطبق نوعاً ما على اعتبارات تلك الحالات الثلاث .

إن القيم النهائية ليست اموراً يكون الجدال فيها ممكناً . فاذا اعتقد
انسان ان التعاسة مرغوبة ، وانها ستكون شيئاً حسناً اذا كان دائماً عنده
ألم اسنان ، فمن الممكن أن لا نوافق معه . ومن الممكن ان نسخر منه
عندما نمسكه ذاهباً الى طبيب الاسنان ، ولكن ليس بإمكاننا ان نثبت
انه مخطيء ، إلا إذا قال ان الحديد اخف من الماء .

فاذا كان هناك عرف يقول باعتقاد ان السعادة يجب ان تكون
محصورة في اولئك الذين اسمهم الاول يبتدىء بحرف « ز » ، فمن المحتمل
ان يلقي تأييد المتحمسين من جيش Zacharys و Zedekiahs و Zebedees ،
ولكنه في النهاية سيكون مدحوراً بواسطة الفرق الصلبة من جونز
وجورج . ان هذا مهما يكن سيكون نقضاً فلسفياً لرسالة النبي التي ستبقى
صالحة عقلياً تماماً كما يكون نقيضها وبالنسبة للقيم النهائية يمكن أن يوافق
اولاً ، على انه عليهم ان يحاربوا بالبنادق او الاقتراع بالورق ، ولكن
ليس بالامكان تبرير ذلك عقلياً .

ففي الحياة العملية ، من الصعوبة للمسائل ذات القيم النهائية ان تظهر
في نقاوتها المعقولة طالما ان البشر مهتمون بما يجب ان يعمل . فالعمل
الذي سينفذ يعتمد على اعتبارين .

اولاً : ما يحتمل أن يكون تأثيره .

ثانياً : سواء هذه التأثيرات تكون اجمالاً حسنة او اكثر دقة فهي
الرصيد الذي يكون احسن من تأثيرات اي عمل آخر يكون ممكناً في

الظروف . ومن هذين السؤالين الاولين ، يكون ذلك علمياً وليس نظرياً ، ويكون مسؤولاً للجدال المعقول مثل اي سؤال آخر علمي . انه عندما يكون خلاف ما يجب أن يعمل ، يتحول الى السؤال الثاني في انه ليس هناك اي امكانية نظرية لتقريره بواسطة الجدل .

ففي النزاع السيامي ليس هناك نقيضان ، الواحد الاسمي والثاني حقيقي . كل انسان يترك للعمليات غير المساندة للفرصة وسوف يصر ان سعادته الخاصة هي الخير السامي ، وتأتي بعد ذلك عائلته في الدرجة الثانية . وبينما ذاك لأمنه ولحزبه ولدينه يكون مرغوباً فيه ، طالما انه لا يتضارب مع مصالحه الخاصة . فاذا كان ملكاً مطلقاً يمكن ان يتمسك بهذا الرأي طيلة حياته . ولكن اذا لم يكن (والذي يكون بعد كل شيء الحالة العادية) ، بإمكانه ان يسلك طريقه فقط من خلال مساعدة الحلفاء ، ومن الحصول على حلفاء على اقل تعديل بواسطة التظاهر انه يلاحق بعض أهداف مألوفة بالنسبة له ولهم . وكقاعدة ستكون هذه الظاهرة واقعية جيناً وجزئياً لا . فطالما انها ليست واقعية فانها تعتمد جزئياً على مولد الاحساس ، وقسماً على المبررات الكاذبة . فالدور الذي يمثل بالمبررات الكاذبة هو أعظم من أي افتراض حديث غير معقول .

فمثلاً من نهاية الحرب لغاية خريف عام ١٩٣١ ضحت الصناعة الانكليزية بالمصارف البريطانية لأن مجموع الصناعيين البريطانيين قد غرر بهم بواسطة الجدل الكاذب الذي قدم من الصرافين البريطانيين . فكل حزب سيامي ، بينما يمثل واقعيّاً مصالح فئة ما يحاول ان يقدم نفس النتيجة بواسطة وسائل شعور مثير . وفي كلا الحالتين ، فان الخلاف بالنسبة للقيم النهائية لا يظهر طالما ان الحزب السيامي لا يتجراً على

الاعتراف بأفانية الفئة التي تكون مصالحها قد شكلت لتتسع . ان كل حزب سياسي يؤكد ان اهدافه هي السعادة العظمى الممكنة لجميع المجتمع في هذا العالم وبعدها في التالي ، اذ بالامكان اجمال المسائل ذات القيم الأدبية النهائية في وضعها العقلي ، بينما تحتفظ بأهميتها السياسية في الاوضاع الشعورية .

وضمن ما قيل يتبع أن هناك قطاعاً معتبراً في الخلافات السياسية يكون مفتوحاً للجدال العلمي . عندما تناضل فئة في ان مصالحها هي حقيقة متاثلة مع مصالح الآخرين ، وأن نضالها بإمكانه دائماً نظرياً وبعض الاحيان عملياً أن يوافق عليه او لا يوافق ، فالأمم الأمبريالية تتمسك في ان الامم المتخلفة (أي التي لا تملك قوات مسلحة قوية) تكون أسعد بما تكون حرة تحت سيطرتها . والى غاية ما أصبح للنساء حق الانتخاب ، كان الرجال يتمسكون بأن النساء هن أسعد في ظل حكومة من الرجال اكثر من حكم من التساوي . ورؤساء الصناعة يتمسكون بأن ذوي الدخل المحدود تحت إشرافهم الحكيم هم اكثر رفاة مما يكونون اذا كانت الصناعة عرضة لادارة عامة . مثل هذا الجدل يقنع نسبة مئوية معينة من الفئة المقصودة التي يوجه لها .

ولكن كما في هذه الحالة ، فإنها ليست مدعومة من قبل الصالح الشخصي لتكون ممكنة عندما تكون كذباً في جمل هذه الحقيقة واضحة بواسطة الجدل ، وحتى الفئة المسيطرة سوف تفقد الضمانة الشخصية اذا كانت قناعتها لصوابها الخاص بالامكان ان تكون مزعومة . وان العديد من الارستقراطيين الفرنسيين في عام ١٧٨٩ والعديد من الارستقراطيين الروس في عام ١٩١٧ شكوا فيما اذا كانت امتيازات نظامهم منصفة ،

ولكن من اجل هذا الشك ، فان الثورات الفرنسية والروسية كان سيكون عندها الكثير من المصاعب في النجاح .

فعملياً مهما كانت الأساليب المستخدمة في الدعاية الاخلاقية ، لغاية هذا الحد من اجل المظاهر العقلية للمسائل القيمة ، فانها شعورية اكثر مما تكون عقلية . ولمشاهدتنا فإن جميع احكام القيم تكون مرتكزة في التحليل الاخير على الشعور ، فانه طبيعياً ان الدعاية الاخلاقية عليها ان تكون شعورية . ومهما يكن ، هناك تمييز يعمل بالنسبة لأنواع الشعور التي تكون متولدة ، كما بالنسبة للأساليب التي تنفذ بها .

الدعاية الشعورية يمكن ان تكون مباشرة او غير مباشرة . ان كوخ العم توم هو دعاية مباشرة ، وهكذا شأن « يا بحارة انكلترا » . ففي الدعاية المباشرة يوصف الهدف المعني بمثل هذه الشروط ، اي يدفع نحوه الشعور المرغوب من قبل الدعائيين . والدعاية غير المباشرة تحتوي على إثارة الشعور في النفوس بدون ارتباط مع الهدف في مناسبات تنشأ من اتحاد مع الهدف . وهذا هو عمل موسيقى الكنيسة ، وجميع الموسيقى التي تستعمل فيها يتعلق في بعض فئة اجتماعية .

إن الحب الذي تشعر به الطبقة العالية من الانكليز من اجل مدارسهم العامة هو شعور معقد ، وعلى نطاق واسع عائد لحقيقة انه شعور لاجتماعي قوي مختلف ، قد شعر به في جماهير المدرسة . وهذا الشعور قوي لدرجة كافية في ان يستمر عبر الحياة وليكون له اهمية سياسية معتبرة . فان شعور الكاثوليك الرومانيين من أجل الكنيسة مرتبط بالشعور الذي شعر به بعهد الشباب في قداس منتصف الليل في خشوع

الجمعة الحزينة ، وابتهاج عيد الفصح على البخور والظلام والغموض . في حين يصبح شعور الاولاد والشباب من هذا النوع مشتركاً مع فئة سياسية ، فبإمكانه غالباً ان يولد شعوراً يكون قادراً للتغلب على جميع العقائد الفكرية .

ان هذا الشكل من الدعاية يفهم احسن من قبل الكنيسة الكاثوليكية التي اصبحت عندها تقريباً ألفا سنة لتكمل فنها . ولكن الشيء نفسه قد أنجز في حين انه اقل إكمالاً بواسطة الدول الوطنية في مثل هذه الاوضاع ، كالموسيقى العسكرية والاستعراضات العسكرية . ففي عهد طفولتي ، كان الجنود البريطانيون لا يزالون يرتدون الستر التقليدي الحمراء ، واذكر تماماً السرور في مشاهدة الفرق في العرض . فمثل هذا السرور يميل اذا لم يكن موجهاً ضده هجوم معاكس ليولد ايماناً في العسكرية .

ان الدعاية الشعورية لها عدة أخطار . ففي المكان الاول تكون مستعملة بسهولة تامة كما تستعمل في دافع سيء لاداة أحسن ، ولربما أكثر سهولة . حقاً ان السلوك المعقول بصورة عامة يشمل بعض السيطرة على الشعور ، وشكلاً من الدعاية التي تحتوي على الاثارة نوعاً ما بسيطة ، وشعوراً غير حضاري ليس بإمكانه أن يكون عقبة في سبيل السلوك الحسن .

وعندما تكون الحرب آتية ، فان البشر يطربون لأنهم سيدعون شعورهم البربري يلعب دوره الحر . انهم يمارسون سروراً ليس كلياً غير مشابه لذلك الذي يهدى عادة اعتبارات الشخص عندما يقع في الحب .

إن كلا من الدين والوطنية يعوده الى شعور بدائي جداً يكون خطراً

على الحضارة . فاذا كان للبشر أن يعيشوا متقربين بحزم من بعضهم البعض ، فيجب أن يكون عندهم تنظيم اجتماعي حريص ، وأن يكبحوا غرائزهم العدوانية لبعضهم الآخر . إن صيانة مثل هذا العدد الضخم من السكان كما هو في البلاد المتحضرة حالياً ، يكون غير ممكن اذا أطلق حرية العنان للطباع غير المتحضرة ، وهكذا يكون الناس المتحضرون عندهم إزعاج مؤكد ، وتجربة للعودة الى طرق أكثر بدائية للشعور ، يرجع اليها مثيروا الدعاية الشيوعية . الحرب والدين هما أهم الاوضاع السياسية لمثل هذا النوع من المرض الاجتماعي .

هناك خطر آخر للدعاية الشيوعية ، هو أنها تميل الى اقفال أدمغة النقاش . فالطفل الواعي يمكن أن يكون عاقلاً ، ولكن تماماً تحت مستوى الادراك لاعتقادات لا يمكن تحويلها وهي باقية من السنين الباكورة . ان الكثير من البشر في الاوقات الهادئة يكونون عالمين ومفكرين أحراراً ولكن عندما يكون هناك خطر حرب او موت ، فإنهم يصبحون وطنيين او دينيين . وهذا يكون طبعاً عائداً جزئياً فقط للدعاية الباكورة على قياس كبير حيث انها تأثير طبيعي للخوف . ولكن الدعاية تلعب دورها في تمكين الخوف ليتذكر لذاته كشيء ما أكثر احتراماً ، مثل حب الوطن او حب الله .

والدعاية فيما يتعلق بالافتراحات العامة مثل العقائد الدينية ، تكون موجهة بصورة رئيسية بواسطة الوسائل الشيوعية . بالنسبة للكاتوليكي على سبيل المثال ، فإن الشعور الذي يميز يكون متحداً مع الايمان الكاثوليكي حيث انه بدون الايمان في الافادات الفلسفية المبينة يكون غير سعيد . وحيث يكون الاعتقاد في طائفة لها علاقة فانها تكون ممكنة نظرياً في

أن تكون متقاربة مع الوسائل العقلية الخالصة . ولكن هذا ان يكون ناجحاً إلا مع نسبة ضئيلة من الناس العاقلين بصورة استثنائية . وعلى العموم عندما يكون عدد ضخم من الرجال والنساء قد هجروا عقيدة قد ترعرعوا فيها ، فانه يكون هناك بعض البواعث الاقتصادية في العمل ، في حين انه غالباً يكون بدون ادراك .

لم يكن للإصلاح أن يتمكن من النجاح الذي توصل اليه ، ولكن من أجل أراضى الكنيسة والجزية المدققة من قبل روما ، كان الاشتراكيون في القارة بصورة رئيسية معادين للمسيحية . وقد قدموا جدلاً اقتصادياً أن المسيحية هي في صالح الأغنياء ، وانه نادراً ما تنازعت عقيدة دينية بنجاح من المنطق . ولعل الادراك الفرنسي في القرن الثامن عشر هو أهم مثال .

انه مهما يكن مرغوباً ذاك المبرر الذي سيلعب دوراً أكبر مما يفعل في تقرير اعتقادات الناس ، فان فقدان الاعتقادات في مثل هذه الامور تنصرف بها العقائد الدينية . فالدعاية التي تلازم الشعور ، المديح خاصة او القدح ، تؤمن او لا تؤمن في افتراضات معينة تكون عقبة للروح العلمية وكذلك للحضارة .

ومع ذلك ، فمن النادر أن تتحمل الحكومات اختيار الوسائل لتعريض الاحداث لدعاية من جوانب مضادة في مسائل هامة مكدره . فانه لا يساورني ادنى شك في ان هذا سيكون أحسن مخطط اذا كان بالامكان ادخاله .

ان مطلب المدرس هو انه يجب ان يمتنع كلياً عن التعبير عن آراء

جدلية يكون مطالباً فيها أن يكون بليداً ، وأن يخمد نصف شخصيته .
والحقيقة ان أولئك الذين ليس عندهم ميل حزبي نادراً ما يعملون اساتذة
قديرين . وليس مرغوباً في التربية ان تتجنب تصنعاً جميع المسائل التي
تتحول بها الاحداث المناوئة . على الشباب أن يشجعوا ليفكروا في مثل
هذه المسائل بواسطة سماعهم إياها تبحث عن جميع وجهات النظر .

إن الشيوعية يجب أن تناقش في المذيع أيام الاثنين المتعاقبة من قبل
السفير السوفييتي ومسر ونستون تشرشل ، وأولاد المدارس يجب ان
يرغوا على الاصغاء . وبعد أن يستمر النقاش ثلاثة أشهر تجري كل مدرسة
انتخابات حرة . وفي أيام الثلاثاء ، تناقش الهند بين غاندي والحكم العام .
وأيام الأربعاء المسيحية فيما بين ستالين ورئيس اساقفة كنتربري .

إن هذا سيكون تحضيراً حقيقياً من اجل اخذ الدور في الديمقراطية ،
وسوف يعلم الفن الصعب لاستخلاص الحقائق من الادعاءات الباطلة . انها
ليست دعاية كذلك التي تكون خطأ ، ولكن دعاية ذات جانب واحد .

ولتكون ناقداً للدعاية يجب ان يكون عندك ما يعرف في اميركا
« بمقاومة المبيع » ، ان ذلك مرغوب فيه لدرجة . وليس للتوصل اليها
بواسطة الابتعاد عن الدعاية اكثر من الحصانة من مرض الحصبة ، انه
يتوصل اليها من خلال الابتعاد عن مرض الحصبة . وقد يتوصل اليها
بواسطة اختبار الدعاية والاكتشاف انها غالباً مضللة . من اجل هذا
الهدف ليس من مخطط ، بإمكانه ان يكون مناسباً للدعاية المنافسة في
المدرسة ، التي من اجلها تزود الاذاعات بالتركيب الميكانيكي .

وأظن انه يجب الاعتراف ان عياراً معيناً من الدعاية يكون ضرورياً

من اجل الحد الأدنى من الالتحام الاجتماعي . بينما يمكن ان تكون هناك مناسبات حين يكون نقض القانون فرضاً ، فالاحترام من اجل القانون يكون على وجه العموم مرغوباً فيه .

واذا أردنا تجنب الحروب ، علينا ان نكوّن أداة دولية للتسوية الخلافات ، ومن الضروري تعلم الاحترام من اجل الجهاز الذي سيعمل التسوية .

ان المجادلة من قبل محب السلم هي انها ليست مجادلة وجود الدعاية التي تسبب الضرر ، ولكن وجود الانواع المناقضة للدعاية . فاذا بدلنا تعليم كل أمة لقوميتها الخاصة ، تعلمت الاعجاب بالولايات المتحدة ، ولن يكون بعد الآن أي مناسبة للخلاف فيما بين الأمم .

واذا كان جميع التعليم الاقتصادي بأنحاء العالم شيوعياً ، او اذا كان جميعه رأسمالياً ، فان الخلاف فيما بين الحكومة السوفيتية والحكومات الغربية سوف ينتهي فوراً . هكذا أقول ان محب السلم يمكن ان يناقش . فالدعاية اذاً يجب ان تكون مغايرة بقدر الامكان لأجل كل من التقدم والتربية تأملاً وموافقة . وهذا جزء من الممانعة لكل نوع من المراقبة السياسية .

ان أحد الاقسام الهامة للتربية وأشد الاقسام المهمة ، هو ذاك الذي يعلم كيف فصل الى النتائج الحقيقية عن المدلولات غير الكافية . وكنطقي فاني مدرك لأطلق ما يكون منطقياً دقيقاً ، انه مجرد عبث حين أرى هذا . ومهما كان جميع النجاح في الحياة العملية ، فانه يعتمد على الكفاءة لينتجز ، وهذا ظاهر مهارة غير ممكنة .

ان القائد الناجح هو الشخص الذي يحزر بصواب ما يعمل خصمه .
والمنظم الناجح يكون الشخص الذي بإمكانه ان يختار أعوانه الجيدين
بعد مواجهة قصيرة . حتى رجل العلم الناجح يعمل تخميناً فيما يمكن
تحقيقه بعد .

ففي السياسة ، تكون المدلولات كافية بصعوبة لتمكن رجلاً عاقلاً ان
يتوصل الى نتيجة معقولة . ولكنها تكون غالباً هكذا كي تمكن الانسان
الذي يكون عاقلاً وماكراً ليصل الى نتيجة بارعة . ولعمل هذا ،
تتطلب الفقدان العلمي للميل وقوة الافكار الحديثة . ولكنها تتطلب ايضاً
شيئاً آخر - تلك النوعية التي تدعى باهم الحكم .

هذه هي النوعية التي تتحسن بدرجة بالغة في اي اتجاه بواسطة
خبرة في المواد المناسبة . فالشباب يتوجب عليهم في بعض أطوار تربيتهم
ان يتعلموا التمييز السياسي بواسطة الاصفاء الى بلاغة معروفة مقدماً ،
لتكون مضلة بواسطة قراءة الروايات الحزبية عن الأحداث الماضية
ومحاولة استنتاج ما حدث حقيقة وهم جراً . ان جميع هذا هو عكس
الدعاية ، انه التكنيك من اجل تقديم مناعة الرجال للدعاية .

انني مدرك لما كنت أقوله ، فقد اتخذت تقديراً لجميع الجوانب في
المباحثات التي هي موافقة جداً لهذا الانجاز . لقد أكدت على ان الآراء
يمكن ان تكون صحيحة او كاذبة ، وليس مجرد مفيدة وضارة ، كما
أكدت انها قاعدة في اي حال حيث شؤون الحقائق تكون مفيدة ومن
السهل لتعرف سواء كان الرأي صحيحاً اكثر مما يكون نافعاً . وأخيراً
لقد أكدت ذلك كقاعدة عامة . انها اكثر نفعاً لتصديق ما هو صحيح

مما يكون كاذباً . ان جميع هذه التقديرات يمكن ان تتحدى وذلك من قبل الفلاسفة المنطقيين والشيوعيين . فدعونا اذاً نتفحصهم بأكثر دقة .

لقد قيل ان القيصر قتل في عيد منتصف آذار . لم أفحص الافادة بأي اعتناء ، ولكنني قرأت الرواية في كتب مختلفة ، ويظهر انه معتمد عليها وأنا هكذا صدقتها . ففي عهد الشباب يمكن ان يكون مفيداً لتصديقها طالما انه ممكن ان تكون مساعدة في اجتياز الامتحانات . ولكن عندما تنقضي فترة الامتحانات ، فان هذا الاعتقاد يتوقف عن خدمة أي هدف نافع .

وفي الحال نأتي الى افتراضنا الثاني ، حيث بوضوح أسهل لتعرف الحقيقة من الافتراض « القيصر قتل في عيد منتصف آذار » ، مما يكون لتعرف منفعتها ، الا لمن يجتازون الامتحانات فانها لدرجة كبيرة عرضة للسؤال . ففي قولنا هذا ، ومن المحتمل ان أظهر لأنقض الافتراض الثالث اسماً ، على انه كقاعدة عامة فانه اكثر نفعاً لتصديق ما هو حقيقة مما هو كاذب .

ان هذا يكون صحيحاً فقط عندما تكون هناك منفعة في واحد او آخر . وأغلب الافتراضات لا تستحق التصديق او عدم التصديق .

تصور عملية الضرب تمتد بصورة غير محدودة لأرقام اكبر فأكبر ، انها ستحتوي على عدد غير محدود من الافتراضات ، التي منها عدد محدود فقط سيكون نافعاً عملياً . ولكن حينما تكون احدى هذه الافتراضات من أجل سبب ما يحتاج اليها ، فانها تكون في أعلى درجة غير محتملة ، ليكون من الاحسن الحصول عليها خطأ مما تكون صواباً .

ومن غير الممكن ذلك طالما انك ارتكبت غلطة سابقة تقاس تماماً بغلطتك الجديدة . لكن هذه الامكانية بعيدة جداً عن أن تهم السياسيين والذين يطالبون بصواب ان الاولاد يجب ان يعملوا حسابهم بصواب .

لعل عملية الحساب يسلم بها من قبل الشيوعيين ، ولكن فيما يتعلق بالآراء الجدلية فانه سوف يتمسك بأن هناك وجهة نظر برجوازية ووجهة نظر بروليتارية . خذ على سبيل المثال مسألة الخلود . فان الطريقة للتصرف في هذه المسألة هي ان الشيوعي سيقول انه لا يفحص علاقات الروح والجسد او البنية التي قدمت من قبل الابحاث الروحانية ، ولم تتمكن بعد من ارجاء الحكم على اساس ان البنية تكون غير كافية من اجل قرار ، ولكن لتلاحظ ان وعد السماء فيما بعد يستخدم لجعل البروليتاريين يقنعون بنصيبيهم هنا تحت ويقبلون بأجورهم المنخفضة مع أنهم يطلبون خلاف ذلك . وهكذا تكون عقيدة البقاء قد جعلت لتظهر كأحد اسلحة الرأسمالية ، في حين ان تكذيبها يكون احد اسلحة الشيوعية .

ان مسألة الصدق او الكذب لا تدخل في هذا الشأن ، فواحد بامكانه ايضاً ان يسأل هل الرصاصة هي حقيقة ام كذب . ان الشيء الهام بالنسبة للرصاصة يكون اي جيش تخدم ؟ وبالضبط نفس الشيء يكون ما هو هام بالنسبة للرأي .

هذه وجهة النظر هي طبعاً انكار للوضع العلمي ، وهي تكون عبر اقليم كبير ممكنة لاكتشاف الصدق التقريبي ، وانه حيث يكون هذا غير ممكن لتردد الحكم ، يكون الوضع المعقول الوحيد . علاوة على ذلك ، فان الشيوعي لا يتمسك بصورة مناسبة بوضعه الخاص الاحادي .

ان مذهب الماديين المنطقيين يتمسك به لكونه حقيقة واقعة ، وليس هناك اعتقاد موافق من اجل البروليتاري ليؤمن به . والافتراض ان كذا وكذا لا يمكن ان يجعل القواعد لعمل ناشري الدعاية ، فان الفلسفة البرجماتية للشيوعي ينقصها هكذا الشجاعة ، واكثر بقليل عن تعبير فقدان الصبر .

انني انجز ان هناك حقائق بالامكان معرفة بعضها تقريبا ، وذلك يكون غالباً مفيداً ، وذلك الاعتقاد الذي يكون كذباً هو نادر وهفيدة . وانني انجز ابعد من ذلك في انها تكون واحدة من اهداف التربية تعلم الاحداث ليتوصلوا الى نتائج صحيحة حيثما يكون ذلك ممكناً .

ان الفشل لعمل هذا سوف ينمي المارارة في روح الحزب ، وخطر نزاع مدمر . بينما من الجانب العقلي تؤخر بشدة التقدم العلمي . جميع هذه البيانات ستعمل جيداً عندما تقري لاستعراض التربية كمجرد فرع من الدعاية السياسية .



..... التوفيق بين الفردية والمواطنة

في الفصل الأول طرحنا سؤالاً : هل بإمكان نشوء الفرد الكامل أن يكون مرتبطاً بأقل ما يمكن من التلاحم الاجتماعي الضروري ؟ وهذا قادنا الى اعتبار الأساليب المختلفة التي تكون بها التربية متأثرة بالسياسة والاقتصاد موجوداً أغلبها ليكون ضاراً للأولاد والبنات المعينين . هل من الضروري ان يكون تأثير السياسة والاقتصاد على الفرد دائماً ضاراً ؟ أم أن هذا سوء طالع مؤقت لزماننا ؟ وفي الحالة الاخيرة ما هو الأمل القائم لتناسب أكثر فيما بين الفردية والمواطنة في المستقبل غير البعيد ؟

إن الضرر الذي يلحق التربية بواسطة السياسة ينبع بصورة رئيسية من مصدرين : الأول ، هو أن مصالح بعض فئات حزبية توضع قبل مصالح العنصر البشري . والثاني ، ان هناك حباً متزايداً لدرجة في الشباب في كل من الشعب وموظفي الحكومة . ومن هذين الشرين ، فان الاول حالياً هو الاعظم . ولكن اذا تغلب على الشر الاول فان الثاني سيصبح محزناً .

لقد كانت عادة التربية تحبيذ بلد الشخص الخاص ودينه الخاص ، وجنس الذكور ، والثراء . ففي البلاد حيث تكون عدة اديان مختلفة قائمة جنباً الى جنب ، فان الدولة لا تتمكن من تحبيذ اي منها في مدارسها . ولكن هذا يقود الى خلق تبعية المدارس لطوائف مختلفة أو كما في مدينة نيويورك وبوسطن ، فانها ميالة للانحراف في صالح الكاثوليك بالتاريخ الذي يدرس في المدارس العامة ^(١) .

إن جنس الذكور ليس بإمكانه ان يفضل اكثر من ذلك كما اعتاد أن يكون . ولكن التربية في روسيا لا تزال توجه لتبعد مصالح الاغنياء ، وطبعاً في كل مكان تعلم الاخلاص الشامل لدولة الفرد الخاصة .

ونتيجة الوضع الراهن هي ان التربية اصبحت جزءاً من الكفاح من اجل النفوذ فيما بين الاديان والطبقات والامم . فان الطالب لا يعتبر من اجل خاطره الخاص ولكن كمتطوع : ان الآلة التربوية ليست مهمة في رفاهيته ، ولكن بأهداف سياسية بعيدة المدى . وليس هناك مبرر للافتراض ان الدولة سوف تضع مصالح الطفل قبل مصالحها ، ولذا علينا ان نستفسر سواء هناك أي امكانية للدولة التي نرى أن مصالحها فيما يتعلق بالتربية ، سوف تكون مماثلة مع تلك المصالح للطفل .

من الواضح أن المطلب الاول لهذا الهدف هو إزالة الحروب على نطاق واسع . فاذا هذا توصل اليه بواسطة إقامة سلطة دولية ، فان تعليم الوطنية العسكرية سوف لا يخدم بعدها اي هدف ، كما سيضمحل حالاً لدرجة يصبح عديم الضرر . وسوف لا يكون هناك أي حاجة لدورات

(١) في مدينة نيويورك ، على سبيل المثال ، لا يستطيع الاساتذة التكلم عن حركة الاصلاح في « الثورة البروتستانتية » .

تدريب الضباط او للخدمة العسكرية الاجبارية ، او من اجل تدريس تاريخ كاذب . فان التدريب المسلحي سوف لا يكون بعد ذلك ، عنده قتل الانسان للانسان كأسمى هدف لحياة فاضلة وكل شيء سواه يوصل اليه . ان إقامة سلطة دولية قوية ، تفرض حلولها في الخلافات ما بين الدول المتنازعة ستكون احسن شكل من وجهة النظر التربوية كما من أي وجهة نظر اخرى .

هناك مها يكن عقبات مخيفة لإقامة مثل هذه السلطة - عقبات مخيفة اكثر بكثير مما يدرك اغلب المصلحين . اعتبر مثل هذا الوضع القائم فيما بين الشيوعية والرأسمالية ، انه من غير المحتمل لدرجة بالغة ان يسوى هذا الوضع سلمياً . فن كلا الجانبين يعتبرها البشر حيوية لدرجة تستحق ان يحاربوا من اجلها ، ومن الصعب التصور ان اي جهاز دولي قوي يمنعها من ان توصل للحرب .

تصور على سبيل المثال ، حرباً أهلية في المانيا ما بين الشيوعيين والوطنيين ، فهل نتطلع كل من روسيا وفرنسا اليها بنظرة عابرة ؟ واذا انخرط فيها الكل ، فهل بإمكان بريطانيا العظمى ان تبقى على الحياد ؟ وهل تغامر الولايات المتحدة بانتشار الشيوعية في جميع القارة الاوروبية ؟ وهل تتوانى كل من الصين والهند من الاستفادة من هذه المناسبة ؟ فالى ان تقرر المشكلة بين الشيوعية والرأسمالية في أسلوب او آخر ، فان العالم لا يمكن ضمانه مها كان الجهاز الذي سيوجد .

ومن الصعب ادراك كيف بإمكان هذا المشكل ان يقرر إلا بانتصار الشيوعية على اقل تعديل في جميع انحاء اوروبا . وبعدها لم تقط الرأسمالية قناعة لأنها لن تكون بعيدة حيث يمكن ان يصبح المستوى العام للرخاء

في روسيا اعلى من أي مكان آخر . فان تأثير الدعاية في الوضع الراهن سوف لا يقاوم . ويظهر انه من المحتمل ان اقرب طريق لسم العالم ينحصر في الدعاية الروسية . فاذا كان الوضع هكذا ، فانه من قصر النظر ان نمنع اي أساليب صارمة تستخدم من قبل الحكومة السوفيتية في تدريسها الشيوعية لأبنائها وبناتها . إنني لا أقدر هذا بالتأكيد ، ولكن مجرد اقتراح ، ليس بأي حال غير محتمل .

من الواضح طبعاً انه لا يمكن ضمان السلم لغاية ما يتوقف عقاب المانيا بعد دحرها في الحرب ، وان هذا لن يحدث لغاية ما تتوقف فرنسا عن احتلال اوروبا . ومن المحتمل ان فرنسا لن تتوقف عن الاحتلال إلا نتيجة لحرب .

وبما لا شك فيه ايضاً سواء تحررت الهند من الاحتلال الانكليزي ، والصين من اليابان . يمكن التوصل الى ذلك بدون حرب من الدرجة الاولى . ان جميع هذه القضايا الكبيرة سوف يكون عليها ان تحل قبل ان يكون هناك اي امسل جدي للمحافظة على السلم بواسطة ايجاد سلطة دولية . فمن المحتمل ان تحل جميعها بواسطة انتصار الشيوعية خلال العشرين سنة القادمة ، ولكنني نادراً ما اكون متفائلاً في توقع هذا .

الشيء الثاني لإزالة الحروب وهو المطلب الأكثر أهمية في تسوية الفردية والمواطنة ، ذلك في إزالة الخرافات . ومن اجل هذا الهدف ، فاني أحدد اعتقاداً خرافياً اذا كانت قاعدته الوحيدة تقليدية او حسية . فم عندما يعتبر الناس التمسك بمثل هذه الاعتقادات هاماً ، فانهم يوجدون أنظمة للتربية تشتمل على احترام لحكمة أجدادنا ، وعادة لتقرير المشاكل خلافاً للظروف المعقولة . فمن بيدم زمام السلطة حتماً ، يرغب أغلبهم مواضيعهم

لتكون حسية اكثر مما تكون معقولة ، طالما ان هذا يجعلها اسهل لجعل اولئك الذين هم ضحايا نظام اجتماعي جائر قانعين بنصيبهم .

هكذا يصبح التخيلُ حليفاً حيادياً للظلم ، وفقط حيث تكون المؤسسات الاقتصادية والسياسية تماماً تربية حكومية محتمة ، تنمي وجهة نظر معقولة .

انها طبعاً ليست بواسطة اي وسائل معينة ، اذا أُقيم نظام اقتصادي عادل ، نتيجة للخلافات الطويلة ، وستكون في بادئ الامر غير مصحوبة بالتخيل . ففي أثناء الحروب اهتماد الاعتقاد الكاذب ان يولد الحماس ، والنظام الادراكي الصارم سيكون مفيداً في منع الشكوك فيما يتعلق بأهمية السبب .

ان الشيوعية الروسية لها تماماً جهازها من الايمان اللاهوتي وقديستها وتاريخها المقدس . فاذا بعد قرن من الكفاح ، هدى المذهب الروسي العالم ، فانه في فترات يكون قد أوجد العديد من الخرافات ، وتوصل الى عنف عقائدي عظيم . وعندما يحل الوقت ، فان الانسان الذي سوف يغامر ليقول ان ماركس ولينين لم يكونا أعظم الرجال الذين عاشوا لتاريخه ، فمن المحتمل ان يعاقب بشدة .

انها ممكنة في حين انني لا افكر انها محتمة ، على ان الحزب الشيوعي يمكن ان يحتل مركزاً مشابهاً لمركز الكنيسة في العصور المظلمة . وانه من الممكن ان الحروب التي ستسبق انتصار الشيوعية سوف تدمر جميع المعامل الصناعية في العالم ، وتسبب الموت لجميع رجال الفكر والاختصاصيين الأكفاء .

ففي تلك الحالة اذا وجد مسجلاً في الكتب المقدسة ان لينين توقع

النجاة من « التكهرب » فإن الناس يمكن ان يستغربوا ماذا عنت تلك الكلمة ، ويمكن ان يستنتجوا انها اشارة الى الاتحاد غامض مع كارل ماركس .

انه ليس معقولاً أن تأتي حكومة عالمية ذات نظام اقتصادي عادل يكون مسيطراً عليها الاوهام . ولكن هذا من الصعب أن يحدث إلا بواسطة تقديرات الحروب المدمرة الفظيعة .

وفي أي تقديرات اخرى يكون متوقفاً ان عناصر الوم ، التي هي حالياً ملازمة للحكومة السوفيتية سوف تضمحل عندما يكون النصر قد ازال الحاجة لعقلية الحرب . وعلى المدى البعيد ، حتى الاعتقاد بالشيوعية ، سوف يتوقف ليظهر هاماً ، طالما انه لن يأتي نظام آخر ضمن وجهة نظر السياسة العملية .

وسأتي الآن الى خطر ثان ، وهو الحب العظيم للابهة . هذا يمكن أن يقوم كما قلنا سابقاً في كل من البيروقراطية والجمع .

ان الاطفال هم غريزياً معادين لأي شيء غريب في الاطفال الآخرين ، خاصة في الاعمار من العاشرة الى الخامسة عشرة . فاذا ادركت السلطات ان هذه العادة غير مرغوبة فانه بإمكانها التحفظ ضدها في طرق مختلفة وبإمكانها كما كان قد اقترح في فصل سابق ان تضع الاولاد الامهر في مدارس منفصلة .

ان تعنت المعجائب الذي اكلم عنه ليس الاقوى في الاولاد البلهاء الذين يميلون لاعتبار الاذواق الغريبة للاولاد الممتازين ، كانوا تقدم مبررات للقصاص . وعندما تكون السلطات ايضاً حقاء (والذي يمكن أن يحدث)

فإنها تميل مع الاولاد الحق ، وتدعن على اقل تعديل ضئيل في معاملة قاسية لاولئك الذين يظهرون نبوغاً .

ففي تلك الحالة ، سوف يحل المجتمع الذي فيه جميع المراكز الهامة تكسب من قبل اولئك الذين حماقتهم تمكنهم من بسط الجمهور . فمثل هذا المجتمع سيكون فيه ساسة فاسدون ، وأساتذة مدارس جهلاء ، وشرطة لا تتمكن من القبض على المجرمين ، وقضاة يدينون الناس الابرياء . هذا المجتمع ، حتى اذا حل في بلد مليء بالثورة الطبيعية فسوف يصبح في النهاية فقيراً من عدم الكفاءة في اختيار الرجال القادرين للمراكز الهامة . وفي حين يكون كذلك ، فإنه يمكن ان يكون هزأراً للحرية ، وحتى ان يقيم نصباً تذكارية على شرفها . وبذلك يكون مجتمع تعذيب ، يوقع القصاص في كل انسان قد تخلصه آراؤه من الكوارث .

ان جميع هذا سوف ينبع من الضغط المفرط شكلاً من قبل المجتمع : فأولاً في المدرسة ، وفيما بعد في العالم على نطاق واسع . فحيث يكون مثل هذا الضغط المتزايد سارياً ، فان اولئك الذين يوجهون التربية ليسوا مدركين انها شريرة . وحقاً انهم جديرون تماماً ليرحبوا بها كقوة تعمل من اجل السلوك الحسن .

انه من المهم اذاً ان نعتبر الظروف التي تدفع اساتذة المدارس وموظفي التربية أن يفعلوا في خطأ نظام من المحتمل ان يمنهم من أن يفعلوا هكذا .

هناك في مهنة التدريس نوعان مختلفان تماماً . اولئك الذين عندهم حماس لبعض موضوع ، والذين يحبون تعليمه ويفرسون حماسهم الخاص في طلابهم . ومن الجهة الثانية ، هناك اولئك الذين يتمتعون بمركز السلطة

والسيادة السهلة ، والذين يحبون الحكم ، وليس عندهم مهارة كافية ليحكموا رجالاً راشدين . فبعض الأنظمة تجبذ النوع الاسبق وبعضها الاخير . وان الكفاءة الحديثة تميل أكثر فأكثر لتحبيذ الانسان الذي يحكم عن ذاك الذي يعلم .

انني لا أنكر ان نوع الحكم له فوائده ، فلقد عرفت مرة سيدة علمت في مدرسة عامة في تكساس ، وقد وجدت انه من الضروري أن تأتي دائماً مسلحة بمسدس الى الأماكن النائية . وفي الاقاليم المبعثرة السكان ، فان الاولاد او البنات الذين يكونون متمردين بصورة غير طبيعية ، بالامكان عزلهم مع النتيجة ان اولئك الذين يبقون يكونون قد فقدوا قائد حلفتهم ، وسيصبحون عرضة لأساليب أقل عنفاً .

ان الاستاذ الموحى اليه بواسطة حبه لموضوعه مرتبط مع عواطف الاولاد ، بإمكانه في أغلب المناسبات الحصول على أكثر عن طريق المعرفة والحضارة . وذلك من قبل الانسان الذي يحب النظام والأسلوب والكفاءة ، ولكنه يفتقر الى المعرفة ويكره الاولاد . ولسوء الحظ ، ففي اي مدرسة كبيرة ، هناك مقدار معتبر من الروتين الاداري ، الذي ينفذ بصورة عامة لأكمل درجة من قبل اسوأ الأساقفة .

وبما ان السلطات العليا ترى العمل الاداري ولكنها عرضة ان ترى التدريس ، فهناك ميل للرصيد أن يكون تماماً مقسماً خطأ . وعلاوة على ذلك ، ففي أي جهاز اداري كبير يكون الموظفون المشرفون عليه يعتبرون طبيعياً الادارة الأكثر شرفية في النوع الصعب من العمل ، مع نتيجة ان المراكز الأحسن والراتب الأعلى تمنح لأولئك الذين يقومون بالعمل الاداري للمدارس ، أكثر من أولئك الذين فعلاً يُدرّسون .

وجميع هذا يظهر ليجلب النوع الخاطئ من الدراسة . انه النوع التنفيذي الذي يشجع الابهة بينا النوع الآخر يسر بالمقدرة (والتي هي بحد ذاتها شذوذ) . ومن اجل شأن المقدرة ، فانها قابلة لتحمل الأوضاع الاخرى من الغرائب . وهامة جداً في منازلة خطر الابهة ، لتشجيع الاساتذة الذين يحبون التدريس أكثر من أولئك الذين يحبون الحكم .

اننا آتون هنا على صورة واحدة لمعضل من المحتمل أن ينمو بتزايد جدي ، طالما ان العالم يصبح أكثر تنظيمًا . ان الانسان الذي عنده مركز سلطة في منظمة عظيمة يتطلب نوعاً محدداً من الكفاءة اسمياً وما يدعى منفذاً او ادارياً . انها تعمل فرقاً قليلاً فيما يكون الشأن الذي تتداوله المنظمة ، ونوع من المهارة المطلوبة في القمة ، سوف تكون دائماً نفس الشيء . والانسان الذي بإمكانه أن ينظم بنجاح (دعونا نفترض) تجارة قطن لانكشير ، فانه سوف يكون ايضاً ناجحاً اذا تسلم الدفاع عن لندن ، والتنقيب في آسيا الوسطى ، او نقل الاخشاب من كولومبيا الى انكلترا .

من أجل هذه التمهيدات المختلفة فانه لا يتطلب اي معرفة بالقطن ، ولا معرفة بشؤون الحرب ، ولا معرفة بالمدن المدفونة في تركستان ، ولا معرفة بالغابات او الملاحة .

ان المساعدين في المراكز الادنى سوف يتطلبون في الحالات العديدة هذه الانواع الكثيرة من المهارة ، ولكن مهارة تكون ادراكياً خلاصة ، ولا تعتمد على علم اختصاصي . فاذاً هكذا حدث كما تزداد المنظمات في الحجم ، فان المراكز الهامة للسلطة تظهر أكثر فأكثر لتكون بأيدي رجال ليس عندهم اي إلفة مع اهداف العمل الذي ينظمونه . بينا هذا

لا يمكن تجنبه ، فان له اخطاره ؛ ولنعد الى موضوعنا فان له أخطاره في مجال التربية .

ففي ركن التربية ينبع خطر الاداري من خلال حبه للتصنيف والاحصاءات . ومن غير الممكن أن لا يكون عنده الصبر ، طالما انه يتصرف بسرعة بكتل هائلة من المواد ، والتي فقط التصنيف سوف يمكنه من أن يعمل . الآن في بعض أنواع من المواد ، يكون التصنيف كافياً تماماً ، وهذا حين يحدث ، يكون هناك أنواع خام مثمرة جداً .

فان الحضري يبيع البازيلاء والفصوليا والسبانخ والملفوف ، وليس ملزماً أن يتوقف ليسأل نفسه « هل هذا الشيء بازيلاء او قرنبيط ؟ » فمع الاولاد يكون الأمر خلاف ذلك .

فالسؤال فيما اذا كان الولد المعين ناقصاً عقلياً ، فانه غالباً يكون سؤال حد فاصل ، والذي نتكلم عنه علمياً ، فلا جواب قيم يمكن ان يعطى . ولكن لتتكلم ادارياً ، فان الجواب القيم يجب ان يعطى ، سواء ارسل الطفل الى مدرسة خاصة او حفظ في المدرسة العادية .

إن الاداري إذا ينظر حوله لبعض الوسائل للتوصل الى قيم لا وجود لها في الطبيعة ، وهذه أحد الاسباب التي من أجلها يظهر لتخريب وسائل الذكاء . وما ينطبق في حالة النقص العقلي ينطبق ايضاً في حالة تصنيف عقلي . فان الرجل الذي يتعامل عاطفياً مع فئة قليلة من الاولاد يعرفهم كافراد ويشعر بأشياء عنهم ، يصعب وضعها في كلمات ، فغالباً ما هو غريب عن الطفل هو ان مثل هذا الانسان يجب الاحسن .

ولكن الانسان الذي يستعرض الاطفال من بعد ، بواسطة ضباب التقارير الرسمية ، يكون متضجراً من هذا النوع . ويتمنى ان يكون جميع

الاولاد متشابهين ، طالما ان ذاك سيجعل عمله سهلاً ، ولكنه مرغماً ليعترف بالتصنيف بواسطة العمر ، الجنس ، الجنسية ، والدين . وان اغلب المتنورين يقرّون ايضاً التصنيف بواسطة اختبارات الذكاء .

ولكن حتى اغلب المتنورين يجذبون كل شيء مقطوع ومجفف ، وينسون نوعية حياة الفرد التي تجعل كل مخلوق مختلفاً عن كل الآخرين . فلهذا السبب ، هناك خطر خشية موظفي التربية ان يشجعوا التوحيد الذي يميل العالم باتجاهه في اي حال .

ان هذا مشكل اداري ، وحله الاداري الاسمي هو الانتقال . فاذا كانت هناك حكومة عالمية فانه مما لا شك فيه انها سوف تمارس درجة معينة من الاشراف على جميع التربية ، وانها ستمنع التعليم المتزايد للوطنية المحلية ، ومن الممكن ان تمنع العقائد التي تعتبرها هدامة .

ولكن في جميع الشؤون الاخرى ، فانها مما لا شك فيه تترك التربية لتنظم محلياً . فاذا كان موحى اليها بروح علمية ، فانها ستسمح ايضاً للتجارب المختلفة في اساليب جديدة . حيث الروح الاختبارية تكون حالياً اجنبية لأغلب الاداريين ، ولكن اذا كانت التربية أعمق علمياً فانها ستصبح اكثر الفة .

والى الروح الاختبارية يجب ان نتطلع الى احتمال منافذ واستثناءات في الوضع العلمي . وبدون منافذ او استثناءات سوف يكون هناك تقدم ضئيل وتنوع غير كاف ، ولكني اظن ان هذا يصبح مصداقاً من قبل الموظفين عندما يحصل جميعهم على تربية علمية وليس فقط على علم الطب والكيمياء ولكن ايضاً في علم الحياة .

ان الفردية في حين انها هامة ، ليس لننسى مطالبتها العادلة وحاجتها في عالم صناعي مكتظ بالسكان ، ليكون مشرفاً عليه ، حتى في علم

نفس الفرد ، اكثر مما كان عليه في الازمنة السابقة . وجميع الذين عاشوا منا في مدن كبيرة حصلوا على اساليب التوجيه في الجماهير لمنع الاضطراب : اننا نحافظ على اليمين ونتحرك بالسرعة الملائمة ونعبر الشوارع حيث يتوجب علينا ذلك .

هذه الامور صغيرة وخارجية ، ولكن شيء ما من نفس النوع يكون مطلوباً في امور اكثر اهمية . لقد اعتاد القديس يوحنا المعمدان ان يتجول بلباس غير كاف هاتفاً : « توبوا انتم من اجل ملكوت السموات التي تكون باليد » . فاذا اقدم رجل لعمل هذا في لندن او نيويورك ، فانه سوف يجمع جمهوراً كبيراً بحيث يعطل حركة السير ، ويكون على الشرطة ان تعلمه كيف عليه ان يستأجر قاعة قبل ان يطلق ميوله .

ان القليل جداً من الناس في المجتمع الصناعي يكونون وحدة مستقلة في عملهم ، والاغلبية الساحقة تنتمي الى منظمة ، وعليهم ان يقوموا بقسمهم من التعهد الجماعي .

ان ادراك المواطن للمجتمع التعاوني يكون اذن اكثر ضرورة عما كان عليه ، ولكنه يبقى هاماً لأن يضمن هذا بدون تقليل كبير من حكم الفرد وبدهاء الفرد . فاذا كانت حياة الانسان مرضية سواء من وجهة نظره او من العالم على نطاق واسع ، فانها تتطلب نوعين من التناسب ، تناسب الذكاء الداخلي ، واحساس و ارادة وتناسب خارجي مع ارادة الآخرين . ان التناسب الداخلي يمنع بواسطة الدين والتعاليم السلوكية التي تعطى في عهد الطفولة والشباب ، والتي عادة تستمر لتنحصر بالشعور ، ولكن ليس المبكرة في الحياة الاخيرة . بينما الارادة تترك قترجح في ميل جانب او آخر طبقاً لما يكون الشعور او الذكاء له مؤقتاً اليد العليا .

مثل هذه المنازعات بالامكان منعها اذا تعلم الاحداث عقائد يكون

بإمكان الأذكياء الراشدين ان يتقبلوها . بالإمكان عمل هذا في المدارس الخاصة على نطاق ضيق ، ولكن بدون معاونة الدولة لا يمكن تطبيقها على معدل كبير كاف ، لتعطي نتائج يكون عندها خلاف عن الاهمية الاختبارية .

ان امر التناسب الخارجي مع ارادة الآخرين يكون اكثر صعوبة " وليس كفوؤاً لحل كامل . التنافس والتعاون كلاهما فعاليات بشرية طبيعية في العالم الحديث . قد يتزاحم رجلان من اجل ود المرأة بدون ضرر لأي شخص ، شريطة أن يبقى تنافسهم بعيداً عن القتال . والشكل الخطير لعدم التوافق في العالم الحديث يكون الشكل المنظم فيما بين الامم والطبقات . فطالما ان هذا النوع من التوافق قائماً ، فان العالم لن يكون بإمكانه التمتع بالفوائد التي جعلها العلم والتكنيك "ممكناً" .

ان عدم التوافق فيما بين الامم يشجع بواسطة التربية في وقتنا الحاضر ، ويمكن أن يأتي على نهايته بواسطة ادخال الدعاية العالمية الى المدارس . وهذا قد يكون نوعاً ما ممكناً بصعوبة بدون الانتصار السابق للسياسة العالمية . بإمكان التربية أن تثبت الانجازات السياسية ، ولكن ليس من المحتمل أن تجعلها هكذا ، طالما انه مشرف عليها من قبل الدول الوطنية .

لقد كانت هناك أزمة عندما كانت المنافسة في شكل حرب مفيدة للمنتصر . تلك الأزمة مضت . وواضح الآن لكل شخص مفكر ان كل أمة ستكون أسعد اذا حلت جميع القوات المسلحة في كل مكان ، وتساوت جميع الخلافات ما بين الامم بواسطة محكمة عدل دولية ، وتكون كافة التعريفات قد أزيلت ، وبإمكان جميع الناس الانتقال بحرية من بلد لآخر .

ان العلم قد غير هكذا نظامنا كي يجعل العالم وحدة اقتصادية واحدة . ولكن منظماتنا السياسية واعتقادنا آخر نظامنا ، وكل أمة تجعل نفسها فقيرة اصطناعياً يكون بواسطة الحجر الاقتصادي . لقد اوجدنا تدابير توفير العمال واننا مزعجون من البطالة . فعندما لا نتمكن من بيع منتوجاتنا ، فاننا نخفض الأجور تحت الانطباع الظاهر على ان الأقل ما يحصله الناس الاكثر سينفقون . وجميع هذه الشرور تنبع من مصدر واحد ، هو انه بينما نظامنا يتطلب تعاون جميع الجنس البشري كوحدة انتاجية ووحدة استهلاكية ، فان عواطفنا واعتقادنا السياسي يثابر على طلب المنافسة .

إن عالمنا عالم مجنون منذ عام ١٩١٤ ، قد توقف ليكون بناءً لأن الناس لا يتعبون عقولهم في خلق تعاون دولي ، ولكنهم يصرون على الاحتفاظ بتقسيم الجنس البشري الى فئات متعادية . وهذا الفشل الاجاعي لاستعمال الذكاء الذي يملكه الناس لأهداف الاحتفاظ الذاتي يعود بصورة رئيسية الى غرائز الجنون المدمرة ، التي تكن في عدم ادراك اولئك الذين أديروا بسوء حكمة في طفولتهم وشبابهم وبلوغهم .

وبالرغم من تحسين النظام باستمرار في الانتاج ، فاننا جميعاً ننمو أفقر . وبالرغم من كوننا مدركين فظائع الحرب التالية فاننا نتابع لنفوس في الاحداث تلك العقائد التي سوف تجعلها محتمة . وبالرغم من العلم فاننا نتصرف ضد عادة اعتبار المشاكل بواقعية . وعلى الرغم من زيادة النظام على الطبيعة فان اغلب الناس يشعرون بدون أمل وعاجزين عما كانوا يشعرون به منذ القرون الوسطى . ان مصدر كل هذا لا ينحصر في العالم الخارجي ، ولا ينحصر في العواطف الخالصة ، بل في الجزء الحساس الخالص من طبيعتنا ، طالما اننا نعرف اكثر بما عرف الناس سابقاً . انها تنحصر

في عواطفنا ، وفي عاداتنا الشعورية ، وتنحصر في العقائد التي غرست في عهد الشباب ، وفي الذعر الذي خلق في الطفولة . والعلاج لمشكلتنا هو أن نجعل الناس عقلاء . ولجعل الناس عقلاء يجب ان يهذبوا بتعقل . وتميل حالياً العوامل المختلفة التي كنا نبحثها الى المآسي الاجتماعية . إن الدين يشجع الحق وإدراك غير كاف للحقيقة ، وتربية الجنس بصورة مستمرة تنتج اضطراباً عصبياً ، وحيثما تفشل لتعمل هكذا علناً ، فغالباً جداً تزرع التنازع في عدم الادراك ، والتي تجعل السعادة في حياة الراشد غير ممكنة . فالوطنية ، كما تدرس في المدرسة قتل على ان أهم واجبات الشباب هو القتال ، وشعور الطبقة ينمي الرضوخ لعدم العدالة الاقتصادية ، والمنافسة تنمي عدم الاكتراث في الكفاح الاجتماعي .

وهل بالامكان الاستغراب في أنه في عالم تكون فيه طاقات الدولة مكرسة لتخلق في الاحداث الجنون والحق ، والاستعداد للقتال ، وعدم العدالة الاقتصادية وعدم الاكتراث - هل يمكن الاستغراب من ذلك ؟

انني أقول أن مثل هذا العالم ليس سعيداً ؟ وسيدان الانسان كفساد وهدام لأنه يرغب أن يستبدل هذه العناصر في التربية السلوكية لذكاء الوقت الحاضر ، وطهارة الانس وادراك العدالة ؟ .

إن العلم قد أصبح هكذا لا يطاق ، متوتراً ومشحوناً بالكراهية ، ومليئاً بالتعاسة والألم . حيث فقد الناس قوة الحكم المتعادل ، والذي يحتاج اليه للتخلص من التورط الذي يتخبط به الجنس البشري . إن عصرنا مؤلم لدرجة ، حيث إن اليأس قد حل بأحسن الناس ، ولكن ليس هناك مبررات واقعية لليأس : فان وسائل السعادة للعنصر البشري قائمة ، وانها ضرورية فقط لأن العنصر البشري عليه ان يختار كيف يستعمل هذه الوسائل .

الفهرست

صفحة	
٧	مقدمة الناشر
٩	مقدمة
١١	١ - الفرد - المواطن
٢٩	٢ - النظرية السياسية للتربية
٤٣	٣ - التربية والوراثة
٥٣	٤ - العاطفة والنظام
٦١	٥ - البيت - المدرسة
٧١	٦ - الارستقراطية ، الديموقراطية والبيروقراطية
٨٣	٧ - الجمع في التربية
٩٥	٨ - الدين في التربية
١١١	٩ - الجنس في التربية
١٢٥	١٠ - الوطنية في التربية
١٣٩	١١ - الشعور الطبقي في التربية
١٥٥	١٢ - التنافس في التربية
١٧٣	١٣ - التربية في ظل الشيوعية
١٩١	١٤ - التربية والاقتصاد
٢٠٧	١٥ - الدعاية في التربية
٢٢٥	١٦ - التوفيق بين الفردية والمواطنة